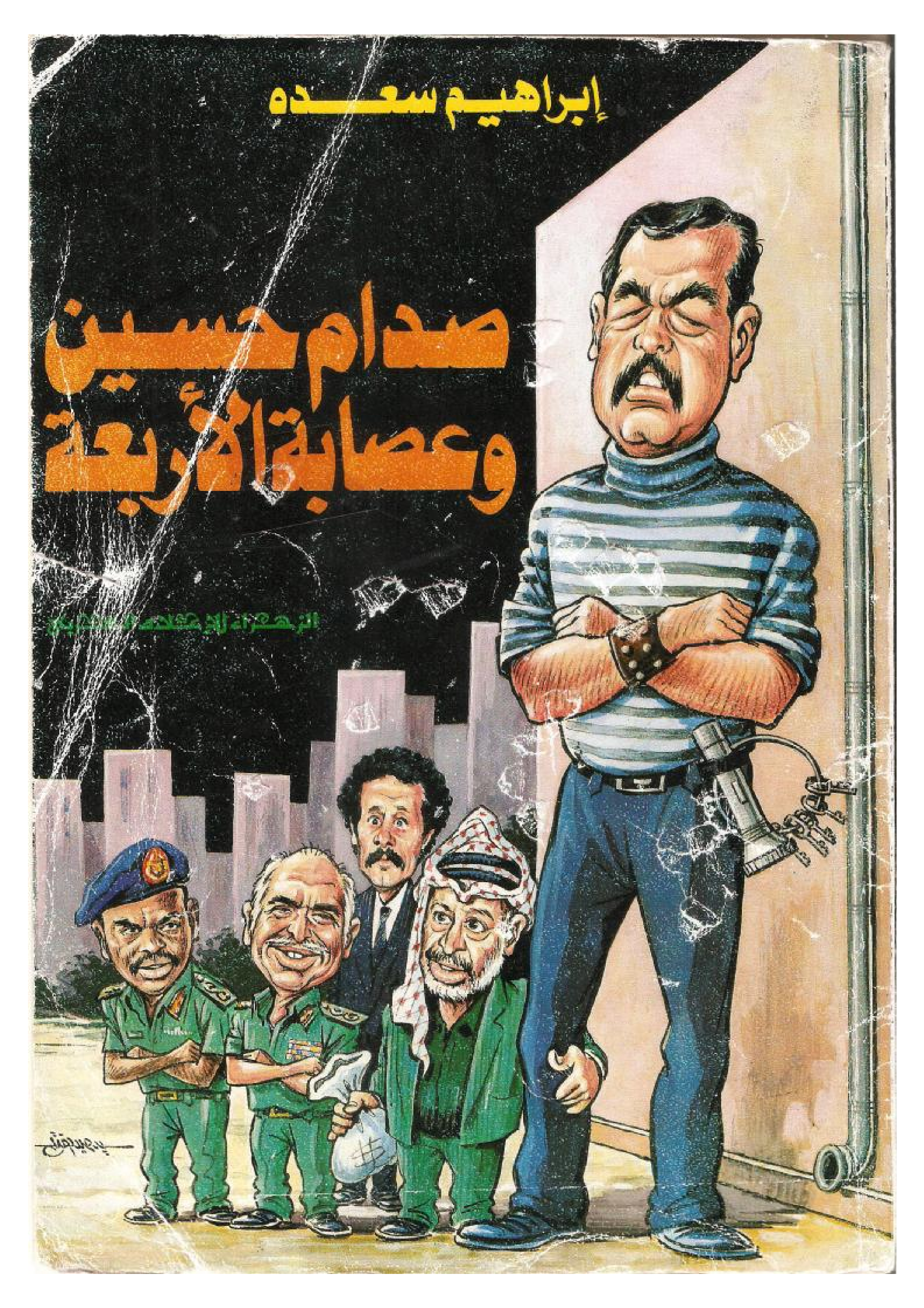
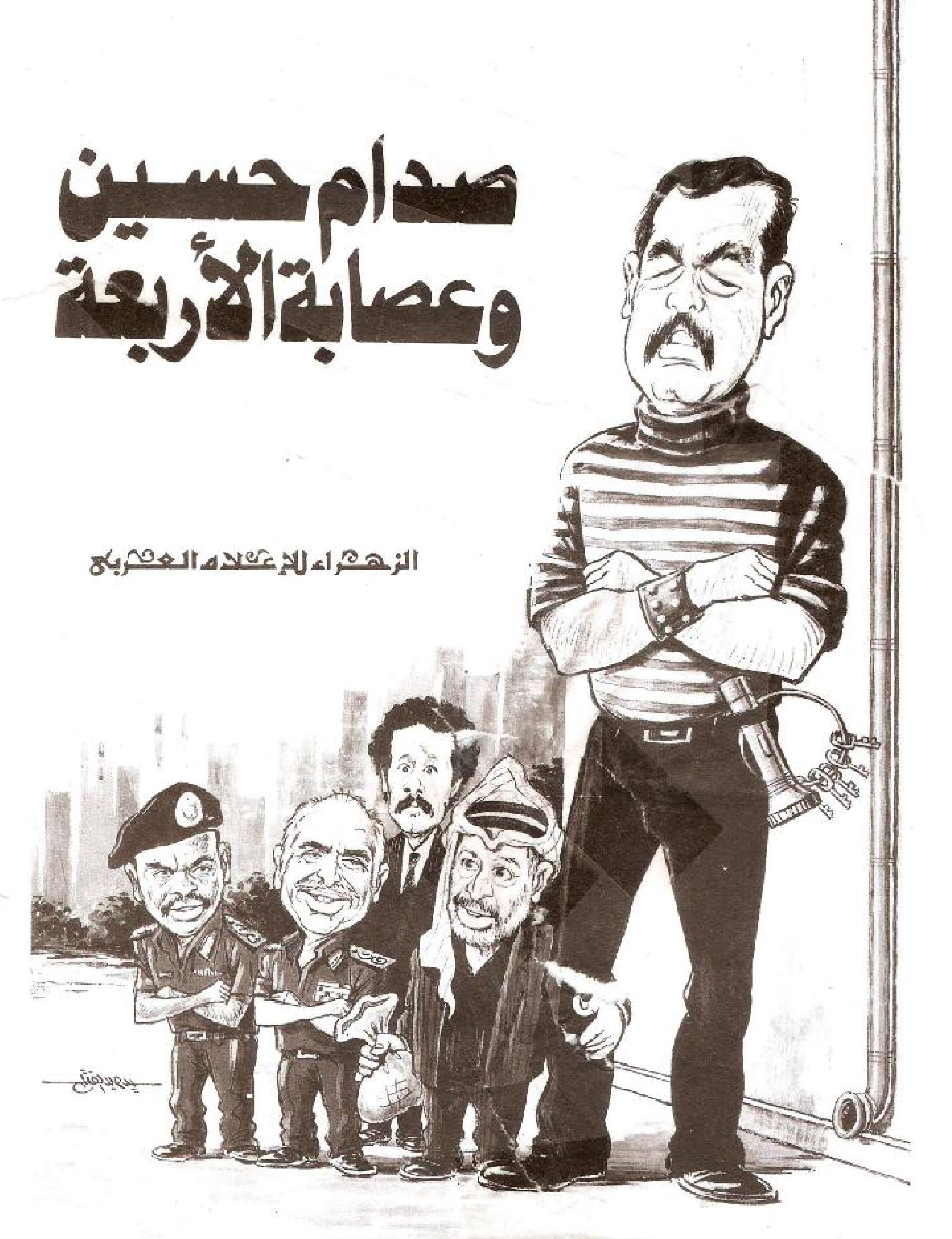
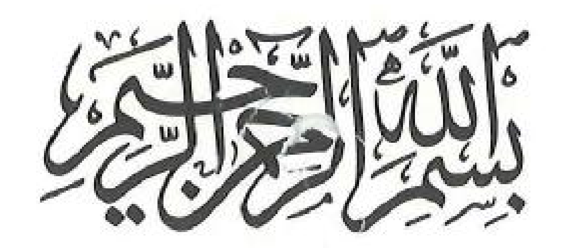

إبراهيم سعده
صدام حسين
وعصابة الأربعة
الزهراء للإعلام العربي

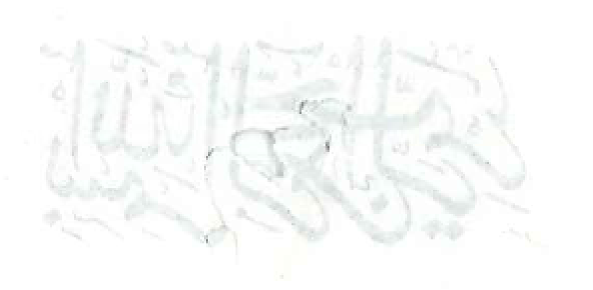
إبراهيم سعده

صدام حسين وعصابة الأربعة

الزهراء للإعلام العربي







الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشـر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهرائيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يران فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

صدق الله العظيم

فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

مقـدمة

بقلم : أحمد رائف

بأسلوبه اللاذع الرشيق يخرج علينا الأستاذ إبراهيم سعدة بما كتب عن « صدام حسين وعصابة الأربعة » وتأتي أهمية الكتاب من شجاعة الكاتب في صياغة عبارته وعرض فكرته واطلاع غزير قد توفر لديه عن كثير من الأخبار والأسرار ، وهو في كتابه هذا يقوم بدور وطني وتثقيفي في شرح طبيعة الاستبداد والفساد الذي قاد الأمة العربية إلى الكارثة المعاصرة . ولا أحد يمكنه التكهن على وجه الدقة بأبعاد جريمة صدام حسين في اجتياحه الكويت وتهديده للسعودية ودول الخليج والحرب الضروس التي نتجت عن هذه الجريمة .

كتاب الأستاذ إبراهيم سعده جدير بالقراءة والتمعن والاطلاع ولا غنى للقارىء عنه لما حفل به من معلومات قيمة قد ساقها الأستاذ في سلاسة ووضوح مع الإثارة الفائقة لما تم كشفه من وراء الستار .

أحمد رائف

15 / 2 / 1991

الحكومة الخفية .. ! (*)

الذي يهمنا – فقط – هو أمن وأمان شعب الكويت الشقيق . الذي يفزعنا – فقط – هو أن يعاني هذا الشعب الشقيق ويلات التمزق ، والاحتلال ، والخراب ، والضياع ، والذي يؤلمنا – حقيقة – أن يكون هذا هو مصير دولة عربية شقيقة كانت – ومازالت – تساند قضايانا العربية ، وتساعد كافة الدول العربية التي تحتاج إلى هذه المساعدة وتلك المساندة لسبب أو لآخر .

ومن هذا المنطلق فإننا في مصر نؤيد ، ونساند ، ما يريده الشعب الكويتي لحاضره ومستقبله . فهذا الشعب هو وحده الذي يعرف ماذا يفيده وماذا يضرّه ؟! وحده الذي يختار حكامه ، وحده الذي يملك حاضره ومستقبله ، ولا أظن أن هناك دولة عربية أخرى ترى مالا نراه ، أو تختار مالا نختاره ! فالشعوب هي التي تختار حكامها ، وهي التي تتمسك بنظام حكمها ، وهي – أخيرا – التي تفرض كلمتها وتحدد مواقفها . فهذه هي أبسط مبادئ الديمقراطية التي لا خلاف عليها ولا رفض لها إلا من جانب هؤلاء الديكتاتوريين الذين يتوهمون أن الكلمة كلمتهم ، وأن الشعوب يمكن أن تساق بالكرابيج ، وألا صوت يرتفع فوق صوت الإرهاب والإذعان والقمع !

ومن هذا المنطلق – أيضا – تعاملنا مع الأحداث الدامية – والمؤسفة – التي جرت ومازالت تجري داخل دولة الكويت ومنذ الساعات الأولى من صباح الخميس الماضي . سمعنا عن غزو عراقي كاسح للكويت ! سمعنا عن احتلال عسكري عراقي كامل للكويت لم يستغرق أكثر من ساعات قليلة ومعدودة ! وسمعنا – أيضا – أن القوات العراقية لم تغز حدود الدولة الشقيقة الملاصقة لحدودها إلاّ تلبية لدعوة خصّها بها الشعب الكويتي من خلال الحكومة الجديدة التي أطاحت بحكم النظام الكويتي الحالي !

(*) جريدة أخبار اليوم 4 / 8 / 1990

وكمصري ، أولا ، وكعربي ، ثانيا ، كان اقتناعي الشخصي بأن ما يريده الشعب الكويتي لا دخل لأحد في نقضه أو رفضه أو حتى مناقشته .

قالوا ان انقلابا سلميا قام في الكويت ، وإن زعماء هذا الانقلاب يتمتعون بتأييد وثقة 99 ٪ من الشعب الكويتي . قالوا إن زعماء هذا الانقلاب اختاروا العراق – من ضمن كافة الدول العربية الشقيقة – ليطلبوا من رئيسها مساندتهم عسكريا لدعم انقلابهم السلمي ! وقالوا – أيضا – إن القوات المسلحة الهائلة التي اجتاحت الحدود الكويتية استطاعت أن تحتل الكويت بأكملها في أقل من ساعات معدودة ولم تلق مقاومة تذكر .. بدليل أن حاكم الكويت – الشيخ جابر وشقيقه الشيخ سعد رئيس الوزراء – استقلا طائرة مروحية نقلتهما لحظة بدء الغزو العراقي إلى مكان آمن في المملكة العربية السعودية !

وما قالوه ، وما سمعناه ، يؤكدان على أن الشعب الكويتي انقلب على حكامه ، واختار الانقلاب على النظام الذي يحكمه ، وأيد الحكومة الثورية الجديدة التي لم يكن من الممكن أن تقوم لها قائمة إلا بدعم عسكري يأتيها من القوات المسلحة العراقية !

وبصرف النظر عن موافقتنا على ما حدث أو رفضنا له ، لأسباب عديدة ومتفرقة ، فإننا انتظرنا ما كان يجب سماعه أو انتظاره .. وعلى ضوء كافة الانقلابات العسكرية – وغير العسكرية – التي تعودنا على وقوعها في معظم دول العالم الثالث وعلى مدى عشرات السنين العديدة الماضية . انتظرنا أن يحدث في الكويت ما حدث عندما تحرك الضباط الأحرار في مصر وقاموا بحركتهم الكبرى في الثالث والعشرين من يوليو سنة 1952 . يومها استيقظ الشعب المصري على هذا النبأ الذي زلزل البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

سمع شعب مصر عن هذا الانقلاب فخرج بأكمله إلى الشوارع مؤيدا ومصفقا وحالما بالجديد الذي سيبدد القديم . كانت الفرحة بالانقلاب في كل بيت . كان الشعب كله مؤيدا للانقلاب الذي طال حنينه وطال انتظاره له . وبدون أن تراق

قطرة دم واحدة استطاع زعماء الانقلاب العسكري أن يحكموا قبضتهم على كافة أنحاء مصر ومنذ اللحظة الأولى . ولولا التأييد الشعبي الكاسح للانقلاب العسكري لما نجح الضباط الأحرار في تحقيق أهدافهم والإطاحة بالملكية المصرية وإقامة النظام الجمهوري مكانها . ليس هذا فقط ، بل إن العالم كله - حتى الدول التي كانت تساند وتدعم النظام الملكي الحاكم في مصر - لم تستطع إلا أن تؤيد الانقلاب وأن تعترف بنظام الحكم الجديد لا لشيء إلا لأن شعب مصر كله أيد الانقلاب العسكري ووافق على التخلص من نظام الحكم الملكي السابق .

والذي حدث في الكويت - أخيرا - كان مختلفا ومغايرا .. !

قوات هائلة مدعمة بأحدث أسلحتها النارية اجتاحت الكويت وأحكمت قبضتها على الدولة من أقصاها إلى أقصاها في ساعات قليلة ومعدودة . حاكم الكويت وولي عهده هربا من البلاد إلى المملكة العربية السعودية . الهدوء عاد إلى الكويت بعد أن تمكنت القوات الغازية من إخماد كافة أسلحة المقاومة الضعيلة التي واجهتها . ومن إذاعة ووكالة أنباء العراق سمعنا وقرأنا ما يؤكد أن شعب الكويت يعيش أجمل وأحلى ساعات عمره بعد نجاحه - بمساعدة القوات العسكرية العراقية - في الإطاحة بنظام الحكم وتولي نظام حكم جديد من الليبراليين الشرفاء مقاليد حكم دولة الكويت !

في بادئ الأمر أصبنا بالجمود الذي شكلت أبعاده المفاجأة الكبرى المصحوبة بالدهشة الغريبة ! فالذي حدث لم يكن متوقعا أو منتظرا ، وبالذات في دولة مثل الكويت ! فلم يسبق أن سمعنا عن قلق شعبي كويتي نتيجة لسياسة حكومته ! لم يسبق أن قرأنا عن تحركات شعبية كويتية لاهم لها غير الإطاحة بنظام آل الصباح ! لم يسبق أن تردد أمامنا أن المواطن الكويتي يعاني من ضيق مادي أو معنوي أفقداه الثقة في حكومته وفي حاكمه وقرر أن يناضل ويكافح ويخطط من أجل الإطاحة بهذه الحكومة وهذا الحاكم !

حقيقة أن هناك معارضة سياسية من داخل الشعب الكويتي تمثلت في آراء رافضة وفي مواقف متناقضة ، ولكننا اعتبرنا تلك المعارضة ظاهرة صحية تحسب لصالح النظام الحاكم الذي سمح للرأي وللرأي الآخر بالإعلان عنهما واعتبرنا تلك الظاهرة - غير التقليدية في دول الخليج - بمثابة ديمقراطية نادرة وشاذة وسط غابة من الديكتاتورية والاستبداد والاستعباد تكاد تربط العديد من الدول من المحيط إلى الخليج . وكان هذا في صالح الحكومة الكويتية من الألف إلى الياء .. التي لم تقنع برفع مستوى معيشة الفرد في بلادها إلى أعلى مستوياته في الكرة الأرضية بأكملها ، وإنما منحته حرية النقد وحرية الرفض في منطقة مازالت تعاند وترفض أن تستمع لصوت غير صوتها ، أو أن تعطي للشعب ما لاتراه جديرا بتحمله أو تعاطيه .

ولهذه الأسباب كلها - وغيرها - أصبنا كما قلت من قبل بالوجوم والجمود عندما سمعنا ما سمعناه عن الانقلاب داخل الكويت وعن عشرات الآلاف من الجنود العراقيين الذين توغلوا بدباباتهم وطائراتهم ومدرعاتهم داخل الكويت لا لشيء إلا - على حد قول أجهزة الإعلام العراقية - تلبية لدعوة من حكومة الكويت ، ثم فوجئنا بأن لا أحد يعرف من هم أعضاء هذه الحكومة ، ولا من هم الذين قاموا بالانقلاب الذي زعموا أنه أطاح بالحكومة الحالية وبالحاكم الحالي ؟!

لم نسمع كلمة واحدة تبدد الغموض حول ما زعمته أجهزة الإعلام العراقية حول حكومة الثورة الليبرالية التي يتحدثون عنها ؟! لم نسمع كلمة واحدة عن جماهير الشعب الكويتي الذي هب مؤيدا وراضيا ومهللا لتلك الثورة الانقلابية على نظام الحكم في بلاده ؟! لم نسمع أن جماعة واحدة من الشعب الكويتي أرسلت برقية يتيمة تؤيد هذا الانقلاب المزعوم ! ولم نسمع أن فصائل المعارضة الكويتية عقدت اجتماعاتها وأصدرت بياناتها وكلها تؤيد الانقلاب وتهلل للانقلابيين وتبشر الشعب الكويتي بالنعيم الذي ينتظره بعد أن أطاح الانقلابيون بنظام الحكم السابق والفاسد ؟! ولم نسمع - أيضا - عن البيان الأول الذي كان يجب على زعماء الانقلاب العسكري إصداره لجماهير الشعب فور تمكنهم من إنجاح انقلابهم وإحكام سيطرتهم

على البلاد ويؤكدون فيه انتصارهم ويحددون فيه – في الوقت نفسه – أهدافهم خلال المرحلة القادمة !

والأدهى من هذا كله أننا لم نتعرف على أسماء أو شخصيات قادة هذا الانقلاب الفريد من نوعه خلال القرن الحالي ! لا نعرف من هم ؟! لا نعرف ما هي وظائفهم ؟! لا نعرف الخلفية التي يستندون إليها ؟! ولا نعرف القوى التي تساندهم ، والتي يستندون إليها .. كل ما نعرفه .. وكل ما نسمعه هو مجرد بيانات وتصريحات صدرت عن الحكومة العراقية وتطالب العالم كله بتقبلها والاقتناع بها !

والمهم فقط – من وجهة نظر الأخوة العراقيين – أن نصدق كلامهم ، وأن نقتنع ببياناتهم ، وأن نسبح بحمد إرشاداتهم وتعليماتهم ! فمن رأيهم أنهم لم يحركوا قواتهم لاجتياح حدود الكويت إلا بناء على دعوة من « أشباح » كويتية لم يتعرف العالم كله على هويتهم حتى هذه اللحظة ! ومن خيالاتهم أن الدنيا كلها مطالبة بتصديق أقوالهم فيما يختص بأن شعب الكويت كفر بحكامه الحاليين وصمم على أن يستبدلهم بآخرين من الأحرار الليبراليين على حد قول بيانات أجهزة الإعلام العراقية المتعاقبة الواحدة بعد الأخرى !

ويؤسفني أن أقول إنه ما من عاقل واحد يمكنه أن يصدق كلمة واحدة مما تنقله وتذيعه تلك الأجهزة الإعلامية العراقية . فلا أحد يصدق أن هناك حكومة ليبرالية قامت في الكويت ، ولا أحد يصدق أن الشعب الكويتي كفر بحكامه الحاليين وأراد أن يأتي بمجهولين لم يسمع أحد عنهم من قبل .. فالذي حدث كان مفاجأة للشعب الكويتي قبل أن يكون مفاجأة لشعوب وحكومات العالم كله !

لا أحد يتصور أن دولة عربية يمكن أن تهاجم وتحتل دولة عربية أخرى ملاصقة لحدودها ؟! لا أحد يتوقع أن يأتي الغزو من شقيق عربي لم يلق إلا كل محبة ، وكل مساعدة ، وكل دعم مادي على مدى السنين الطويلة الماضية !

في تصوري أن الشعب الكويتي أصيب بصدمة هائلة عندما استيقظ يوم

الخميس الماضي ففوجئ بالقوات المسلحة العراقية تحتل بلاده ، وتقتل المئات من الكويتيين الذين حاولوا الدفاع عن وطنهم ، وشعبهم ، ومقر إقامة أميرهم ! .

المفاجأة كانت قاسية ، ومفزعة ، وغير منتظرة .. !

هناك - بالفعل - خلافات حول الحدود بين البلدين الشقيقين والمتلاصقين ، وهناك آراء متضاربة بين الحكومتين بالنسبة لهذه المشكلة الحدودية .. وهناك العديد من الدول العربية الأخرى التي تدخلت وحاولت - ومازالت - أن تتوسط من أجل حل هذه المشكلة بما هو في صالح الطرفين المعنيين الشقيقين . ومع تمسك كل طرف بوجهة نظره ، ورفضه لوجهة النظر الأخرى .. تفاقمت المشكلة وتشعبت ، وتعقدت ، كما هددت بمزيد من التوتر ، والعديد من الاحتمالات ، والكثير من الصراعات .. كان أبرزها البيان شديد اللهجة الذي وزعه وزير خارجية العراق . طارق عزيز - على وزراء الخارجية العرب في اجتماعهم الأخير في تونس منذ أيام ، والذي يتهم العراق فيه الكويت باتهامات خطيرة بادرت الكويت برفضها جملة وتفصيلا .

الرئيس حسني مبارك كان أول الزعماء العرب الذين أفزعهم هذا التدهور الخطير في العلاقات بين بلدين عربيين شقيقين ومتلاصقين . ولم يكتف الرئيس المصري بإبداء فزعه ورفضه لهذا الشقاق وهذا الخلاف الحاد بين الكويت والعراق ، وإنما سارع بإجراء اتصالاته بهدف تطويق هذا الخلاف بصورة أو بأخرى . ليس هذا فقط ، بل إنه قرر أن يتنقل بين عاصمتي الدولتين المعنيتين - الكويت وبغداد - ولقاء حاكميها لا لشيء الا لتحجيم الخلاف بين الحكومتين من جهة ، ولإنهاء الصراع الغريب والمرفوض بين بلدين عربيين شقيقين ، في الوقت الذي توهم العرب فيه إمكان توحيد الصف العربي في مواجهة الخطر الأوحد الذي يتربص بأمنه وحدوده وشعوبه .

ووجد الرئيس مبارك التقدير والشكر من طرفي الصراع : الكويت والعراق . وجد ترحيبا بمبادرته من حكام الكويت الذين أبدوا أمامه موافقتهم الكاملة على وجهة

نظره بضرورة احتواء الأزمة الطارئة مع العراق ، وترحيبهم في نفس الوقت بإجراء مباحثات مباشرة مع العراق من أجل تسوية الخلافات بما يحقق مطالب وحقوق الجانبين .

وبنفس القدر وجد الرئيس مبارك ترحيبًا وامتنانا من الرئيس العراقي صدام حسين للدور الذي يقوم به الرئيس المصري حسني مبارك من أجل التوفيق بين الكويت والعراق . ليس هذا فقط ، بل إن الرئيس صدام حسين طمأن الرئيس حسني مبارك على أن العراق لم - ولن - يهاجم الكويت تحت أي احتمال من الاحتمالات . وأضاف الرئيس العراقي مؤكدا على أنه تقديراً من اهتمام رئيس أكبر دولة عربية - مصر - بحل النزاع العراقي الكويتي - والذي تمثل في قيام الرئيس حسني مبارك بزيارة بغداد والكويت - فإنه يوافق على بدء المباحثات بين العراق والكويت في جدة من أجل التوصل إلى حل يرضي الكويت والعراق معا .

وعاد الرئيس مبارك إلى القاهرة سعيدا بما حققه في زياراته للعراق والكويت ، وسعيدا أكثر بما أكده له الرئيس العراقي صدام حسين من أنه لم - ولن - يفكر في استخدام القوة العسكرية ضد الكويت .

وسعادة الرئيس مبارك بهذا التأكيد لم تكن خافية على أحد . فهو أول من كان يخشى أن يتحول الخلاف بين العراق والكويت من خلاف الحدود إلى صراع عسكري يكون الأول من نوعه في تاريخ العلاقات بين الدول العربية الشقيقة الأعضاء في الجامعة العربية .

وعاد الرئيس مبارك بعد جولته الطويلة والمرهقة للغاية إلى القاهرة ، ومنها أعلن بكل ثقة - واعتمادا على تأكيدات صديقه صدام حسين - بأن العراق ليست لديه نوايا عدوانية ضد الكويت وأنه - أي العراق - لا ولن يفكر في استخدام القوة العسكرية ضد الكويت .

وهلل العالم العربي كله فور سماعه لتصريحات الرئيس المصري حسني مبارك

التي أكد فيها – بناء على ما قاله له الرئيس العراقي صدام حسين – بأن الخلاف بين العراق والكويت هو مجرد خلاف بين شقيقين وجارين ، وأنه لا تفكير من بعيد أو قريب في التدخل العسكري العراقي في الكويت .

ونشرت صحف العالم تصريحات وتأكيدات الرئيس حسني مبارك ، والتي نقلها عن صديقه الرئيس العراقي صدام حسين .

ومن الواضح أن العالم العربي صدق هذه التأكيدات ، فهي تأكيدات ذكرت بلسان رئيس أكبر دولة عربية وبعد عودته مباشرة من بغداد حيث التقى برئيس العراق الذي أكد له أن العراق صاحب قضية ، وصاحب حقوق ، ولكنه لن يستخدم القوة العسكرية أبدا للحصول على تلك الحقوق !

وفور نشر وإذاعة هذه التصريحات ، اطمأنت الشعوب العربية ، وتلاشت مخاوفها بالنسبة لتصاعد الخلاف بين العراق والكويت، فالتأكيدات قالها رئيس أكبر دولة عربية ، مصر ، ونقلها حرفيا عن رئيس دولة العراق .

وبالفعل توقفت الحملات الإعلامية بين بغداد والكويت .. كما توقع الرئيس حسني مبارك ، ليس هذا فقط بل إن مباحثات بين العراق والكويت بدأت بالفعل في جدة كخطوة ثانية وتالية لوقف الحملات الإعلامية بين العراق والكويت .

وكان يمكن أن يتحقق كل ما كان العرب يتوقعونه وينتظرونه منه خلال المباحثات الودية والأخوية التي بدأت في جدة بين الوفدين الكويتي والعراقي ، ولكن لأسباب غير معروفة – وإن كنا عرفناها فيما بعد – توقفت المباحثات وأعلن في بغداد أن الوفد الكويتي – برئاسة الشيخ سعد رئيس الوزراء – لم ينظر إلى الخلاف نظرة جدية وبالتالي اضطر الوفد العراقي إلى قطع المباحثات التي لا طائل من ورائها .. على حد وصفه لها !

حدث هذا يوم الأربعاء الماضي .. وبعد أقل من 24 ساعة زحفت القوات العراقية على الكويت ودمرت استحكاماتها ، وفرضت سيطرتها واحتلالها فوق أرضها !

ومن حق المواطن المصري أن يتساءل :

« لماذا حدث ما حدث من العراقيين على الرغم من تأكيدات الرئيس صدام حسين للرئيس حسني مبارك بأنه لن يهاجم الكويت ؟! »

السؤال بالغ الأهمية . كما أن الإجابة عنه تستحق سرعة الرد والإفصاح من جانب الرئيس العراقي صدام حسين رئيس دولة العراق العضو في مجلس التعاون العربي الذي يضم مصر والعراق والأردن واليمن .

لا أتصور أن يؤكد رئيس دولة عربية لشقيقه رئيس أكبر دولة عربية بأنه لم – ولن – يفكر في غزو الكويت مهما تدهورت العلاقات بين البلدين ، ويثق رئيس مصر في تأكيداته وينقلها إلى حاكم الكويت الذي يصدقها ويرحب بها ويهلل لها ، ويصدر أوامره بنشرها في كل الصحف الكويتية في صباح اليوم التالي . ثم نفاجأ – بعد أيام معدودة – بمئات الدبابات العراقية تقتحم الحدود الكويتية وتتوغل داخل الكويت ، وتنسف وتقتل كل ما يعترض طريقها ؟!

ولا أتصور – أيضا – كيف يمكن أن يقول رئيس العراق لرئيسنا المصري إنه لن يهاجم الكويت ، ثم نفاجأ بعد ساعات معدودة بالقوات العراقية تتوغل داخل الكويت وتحتل أراضيه ، وتدمر ممتلكاته ، وتقتل المئات من أبنائه ، وكأن كل ما قاله الرئيس العراقي لرئيسنا المصري كان مجرد أكاذيب ، أو مجرد تمويه حتى يمكن إنجاح الغزو الكبير الذي كان يخططه من قبل ؟!

* * *

إن العالم كله صدم صدمة كبرى في صدام حسين : وهذا العالم يبحث الآن في كيفية الرد وفي طريقة الردع . ويكفي فخرا للرئيس العراقي أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اتفقا معا – لأول مرة في تاريخ العلاقات بينهما – على موقف واحد وموحّد ضد الغزو العراقي للكويت . الدنيا تغيرت .. والولايات المتحدة الأمريكية ، قمة الرأسمالية ، أصبحت صديقة وحليفة – الآن – للاتحاد السوفييتي ،

قمة الشيوعية ، وهذا مالم يكن في استطاعة النظام العراقي أن يتصوره أو حتى يتخيله !

ففي الخمسينيات والستينيات كانت الأنظمة الحاكمة في دول العالم الثالث تلعب لعبتها على أساس الخلاف والتنافس بين كتلة الرأسمالية وكتلة الشيوعية . كانت الدولة المتخلفة من دول العالم الثالث تحارب ، وتبطش ، وتغتصب ، وتغزو الدول الأضعف والأصغر منها ، بلا خوف وبلا ضمير ، اعتمادا على أن الاتحاد السوفييتي – في هذا الوقت – يساند المغتصبين ، ويدلل الديكتاتوريين ، ويؤيد كل من ترفضه الولايات المتحدة الأمريكية لسبب أو لآخر !

النظام الديكتاتوري – في أية قارة من قارات الدنيا الخمس – كان يرهب شعبه ، ويعذب ويقتل خصومه بلا خوف من الأمم المتحدة أو من مواثيقها ! اعتماده الأوحد كان على الاتحاد السوفييتي .. العضو القوي داخل مجلس الأمن والذي يعادي منافسته الولايات المتحدة ، ويملك أن يقف ضدها وضد كل قراراتها « بالفيتو » الذي يتمتع به عند النظر في إدانة أية دولة ترفض الولايات المتحدة سياسة نظامها الديكتاتوري !

الوضع تغير واختلف الآن ...

الاتحاد السوفييتي أصبح كالخاتم في أصبع اليد اليمنى للولايات المتحدة الأمريكية ! فهي قادرة على أن تحتفظ بهذا الخاتم في إحدى أصابعها أو تلقي به بعيدا إذا ضاقت به لأي سبب !

وهذا ما تحقق ووضح تماما خلال الأزمة الراهنة بين العراق والكويت . لقد أدانت الولايات المتحدة التدخل العراقي في الكويت ، بكل حزم وبكل وضوح ، جمدت الأرصدة الكويتية حتى لا يستولي عليها العراقيون ، طالبت العراق بالانسحاب الكامل وغير المشروط من الكويت . وناشدت جميع دول العالم بالأخذ بما أخذته من قرارات وإجراءات .

دول أوروبا الغربية - بالإجماع - وافقت بلا تردد على قرارات الولايات المتحدة الأمريكية . وليس في هذه الموافقة ما يدهشنا أو يسترعي انتباهنا ولكن الذي يجب أن يدهش ويسترعي انتباه الأخوة العراقيين هو وقوف الاتحاد السوفييتي - لأول مرة في تاريخه - إلى جانب الولايات المتحدة وضد صنائعه وأصحابه وحلفائه من أنظمة دول العالم الثالث !

لقد كانت العادة - في الماضي - أن يؤيد الاتحاد السوفييتي نظاما في دولة من دول العالم البائس ، لا لشيء إلا لأن الولايات المتحدة الأمريكية ترفض هذا النظام وتركز جهودها في محاصرته وتصفيته ، ومن هذا المنطلق عاش الكثير من تلك الأنظمة لا لشيء إلا اعتمادا على هذا التنافس بين زعيمي الكتلتين اللدودتين : الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، ولسوء حظ تلك الأنظمة أن الاتحاد السوفييتي تخلى طواعية عن تواجده وقدراته كدولة عظمى ، وأصبح - برضاه - مجرد دولة صديقة للولايات المتحدة الأمريكية ، بصفة خاصة ، وللعالم الرأسمالي ، بصفة عامة .

، وضحت هذه الحقيقة تماما عندما نشبت أزمة العراق والكويت في هذه الأيام . فالولايات المتحدة اتفقت مع الاتحاد السوفييتي على وقف إرسال الأسلحة السوفييتية إلى العراق ، والمعروف أن 90 ٪ من الأسلحة العراقية مصدرها الاتحاد السوفييتي وكتلة الدول السائرة في فلكه ، ولم يستطع الاتحاد السوفييتي أن يرفض هذا الأمر الذي اتفق عليه مع واشنطون . على العكس من ذلك سارع بتنفيذه والإعلان عن رفضه للعدوان العراقي في الكويت وطالب العراق في بيان مشترك مع الولايات المتحدة بسرعة الانسحاب الكامل وغير المشروط من كافة الأراضي الكويتية ! .

إن العراق - في رأيي - أخطأ خطأ هائلا عندما هاجم الكويت وفرض احتلاله فوق أرضها .

والخطأ العراقي متعدد الأبعاد :

أخطأ العراقيون عندما كذبوا على رئيس مصر - حسني مبارك - وأقسموا له أنه ليس لدولة العراق أية نوايا عدوانية ضد الكويت . كما أكدوا للرئيس المصري أن العراق لم - ولن - يهاجم الكويت عسكريا لأي سبب من الأسباب .

وإذا كان الرئيس حسني مبارك قد صدق ما قاله له الرئيس صدام حسين وبادر بإعلانه ونشره على لسانه في كافة وسائل الإعلام العربية والعالمية ، ثم اتضح بعد أيام عدم صحة هذه التصريحات ، فمن المؤكد أن كل علامات الاستفهام ستتجمع أمام الرئيس العراقي صدام حسين وليست أمام الرئيس المصري حسني مبارك ، فلا يعقل أن يدلي الرئيس المصري بتصريحات ينسبها إلى العراق دون أن يكون قد سمعها حرفيا من رئيس العراق شخصيا . ولا يمكن أن يصارح رئيس العراق صديقه وحليفه الرئيس المصري بشيء ، ثم يأتي بنقيضه بعد أيام قليلة ؟!

إن غزو الكويت كان مبيتا من قبل العراق وبلا أدنى اهتمام لكافة الاتصالات وكل الوساطات التي قام بها الرؤساء والملوك والحكام العرب من أجل وأد الخلاف وإقناع الطرفين بالجلوس معا أمام مائدة المفاوضات وليس أدل على ذلك من أن مباحثات جدة توقفت نتيجة لتعنت المفاوض العراقي ، ثم بدأ الغزو العسكري للكويت بعد أقل من 24 ساعة !

ألف باء أي غزو عسكري أن يسبقه العديد من التحضيرات والتجهيزات والاستعدادات التي تحتاج إلى عدة أسابيع وليس فقط إلى عدة أيام ! معنى هذا أن العراق تماشى – خداعا – مع اقتراح عقد مباحثات ثنائية لا لشيء إلا لأنه كان في حاجة إلى فترة زمنية حتى تكتمل استعداداته ويبدأ انقضاضه على البلد الصغير والشقيق !

الذي حدث من العراق في الكويت أثار غضب وسخط العالم كله ، يكفي أن تجمع صحف أوروبا على مهاجمة حكوماتها لأنها أيدت العراق في حربها ضد إيران ! يكفي أن تسارع الحكومة الإيرانية إلى التنديد بالعراق وتدافع عن حق الكويت في اختيار سياستها واختيار حكامها ! ويكفي – أيضا – أن الولايات المتحدة ، وكل الدول الأوربية الحليفة معها ، وكل الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي ، قررت التصدي لهذا العدوان على الكويت وأعلنت أن كافة الخيارات لتحقيق هذا الهدف ستبقى قائمة ومطروحة حتى يمكن التوصل إلى طرد

القوات العراقية إلى خارج الحدود الكويتية .

إن اعتداء دولة عربية على حدود دولة عربية أخرى ، يمثل ظاهرة لم يسبق لها مثيل من قبل . والأعجب من هذا أن تكون الكويت هي ضحية هذا العدوان ومن قبل العراق بالذات ! وكلنا يعرف حجم وضخامة المساعدات المادية التي قدمتها الكويت للعراق قبل أن تنشب حرب الخليج بين العراق وإيران ، وخلال سنوات تلك الحرب البشعة ، وما بعد الاتفاق على وقف إطلاق النار بين هذين البلدين ؟!

العالم الأجنبي كله في دهشة وذهول بسبب هذا الغزو العراقي لدولة صغيرة ومسالمة مثل الكويت . والعالم العربي – في الوقت نفسه – ما زال غير مصدق ما يسمعه ومايقرؤه عن هذه الأحداث غير العادية وغير المتوقعة . فلا أحد يمكنه أن يتصور أنه في استطاعة دولة عربية أن تحشد قواتها على حدود دولة عربية أخرى ملاصقة لها ، ثم تتخطى تلك الحدود وتتوغل داخل أراضي الدول الشقيقة تمهيدا لاحتلالها وقهر إرادة شعبها !

ولكن ما كان مستبعدا ، أصبح – اليوم – واقعا !

* * *

الأخوة .. تلاشت ! القومية العربية .. لم نعد نسمع عنها ! الجامعة العربية .. أصبحت – في نظر البعض – مجرد جامعة لتخريج العاطلين ! أما المصير العربي الواحد في مواجهة الصهيونية ، فإن البعض يترجمه الآن بأن الطريق إلى تل أبيب يجب أن يمر عبر الكويت وأبو ظبي والمنامة والدوحة .. والرياض !

وكان الله في عون عرب الإسلام .

فرصــة .. لاتعوض ![*]

لم يكن الرئيس حسني مبارك مبالغًا عندما طالب بقمة عربية عاجلة لمواجهة الخطر الهائل الذي تتعرض له أمتنا العربية من محيطها إلى خليجها ، لم يكن الرئيس المصري متشائما عندما وصف صورة المستقبل القريب أمامنا بأنها سوداء . ولم يكن الرئيس مبارك متفائلا ـــ في الوقت نفسه ـ عندما طرح على كافة الأنظمة العربية الحاكمة تصوره لكيفية نزع فتيل الكارثة قبل أن تنفجر وتتفجر معها منطقتنا بأكملها .

كان الرئيس في كل ما قاله ، وكل ما تصوره ، وكل ما طرحه ـ في بيانه يوم الأربعاء الماضي ، ثم في خطابه في افتتاح القمة العربية الطارئة أمس ـ صادقا مع نفسه قبل أن يكون صادقًا مع غيره فهو يكرر للعامة ما سبق للخاصة سماعه . يعلن أمام الشعوب ما يقوله ـ بالضبط ـ للحكومات . وحديثه الذي طرح فيه تصوره لكيفية حل الأزمة بين العراق والكويت ، هو نفسه الذي نقله إلى الرئيس صدام حسين وسمو الأمير جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت ، لم يجامل طرفا على حساب الطرف الآخر ، ولم يتحرج من الرئيس العراقي عندما أوضح له رفضه ورفض الشعب المصري كله لاستخدام القوة العسكرية لإزاحة نظام الحكم الشرعي في الكويت ، تماماً ، كما أنه لم يبحث عن كلمات يختارها بعناية حتى لا يصدم أمير الكويت وهو يعدد له مسئولية الكويت في دفع العراق إلى استخدام القوة عندما تركت الكويت الخلافات القديمة جدا دون السعي الجدي للتصدي لها ومحاولة حلّها من خلال جلسات متعددة حول مائدة الحوار !

لقد استمع الرئيس مبارك من الرئيس العراقي ـ قبل نشوب الحرب ـ إلى ما أسعده وما طمأنه من تأكيدات باستحالة استخدام القوة العسكرية العراقية ضد

(*) جريدة أخبار اليوم 11 / 8 / 1990

الكويت ، وسارع الرئيس مبارك بنقل هذه التأكيدات إلى جميع الأطراف المعنية وعلى رأسها أمير الكويت الشيخ جابر .

حقيقة أن العراق سرعان ما تنكر لما سمعه الرئيس مبارك بلسان الرئيس صدام حسين ، وحقيقة أن أبواق بغداد – وعلى رأسها بوق طارق عزيز وزير الخارجية – أدلت بتصريحات تنفي فيها تلك التأكيدات وتزعم أن الرئيس مبارك كان مبالغًا عندما نقلها إلى الكويت ، ولكن حقيقة – أيضا – أن الرئيس مبارك لم يتوقف كثيرًا أمام تلك الجليطة وأمام هؤلاء الذين ينكرون اليوم ما سبق أن قالوه بالأمس ، لا لشيء إلا لحرص رئيسنا المصري على أن يترفع عن التفاهات ويرتفع فوق الصغار .

تجاهل الرئيس مبارك هذا كله وركز كل وقته وكل جهده – خلال الأسابيع العديدة الماضية – من أجل إنقاذ الأمة العربية من الأخطار الهائلة التي تتربص بها والتي وجدت – بسبب عدم تقدير المسئولية من جانب العراقيين – تأييدا كاسحا ومتعاطفا من العالم كله .. شرقه وغربه .. شماله وجنوبه ، الذي يؤيد محاصرة العراق اقتصاديا وتجويع شعبها العربي .. انتقاما من سلبية هذا الشعب تجاه تصرفات وتهورات حكامه !!

لقد أوصل النظام الحاكم العراقي أمتنا العربية إلى طريق مسدود ، وفي أسابيع – بل أيام – معدودة ! طبول الحرب نسمعها تدق بعنف ! أساطيل الدنيا تتدفق لفرض سيطرتها على بحار منطقتنا ! والدنيا كلها تتوقع الحرب وينتظرها البعض بفرح ويتوقعها البعض الآخر بقلق !

والمذهل أن أنظمتنا العربية كانت في معظمها كالمتفرج ، وكأن الأمر لا يعنيها ولا يمسها من بعيد أو من قريب ! رأينا رئيس دولة « في المنفى » يؤيد العدوان ويهرول إلى المعتدي ليبارك عدوانه ، ويهلل لانتصاره وكأن هذا العدوان على دولة عربية سيعيد له بلاده التي تركها مرتعا للإسرائيليين وانشغل بالطواف حول عواصم الكرة الأرضية ؟! رأينا ملك دولة عربية يؤيد الغزو العراقي ويهاجم كل من يحاول أن يعيد للكويت شرعيته ولشعبه حريته ولحدوده أمنها وقدسيتها ! والأغرب من

هذا فوجئنا – وبعد أيام معدودة – بنفس هذا الملك يغير موقفه وبدرجة 180 ! وأعلن رفض بلاده لمحو هوية الشعب الكويتي بعد قرار صدام حسين بضم الكويت لتصبح ضاحية من ضواحي مدينة البصرة .. مثلا ! والأكثر من هذا سمعنا جلالة الملك يعلن – بنفسه – أن بلاده ستحترم قرار المقاطعة الاقتصادية الذي صدر عن مجلس الأمن ! موقف غريب يصعب تفسيره . أو على الأصح يمكن تفهم أسباب الموقف الأول المؤيد ، ولكن من الصعب جدًا تفهم أسباب الموقف الثاني الرافض !

ورأينا رئيس دولة عربية يوافق – في حديثه التليفوني مع الرئيس مبارك – على المشاركة في مؤتمر القمة الطارئ وعلى زمن وساعة عقده في القاهرة ، ثم نجده يرفض الاشتراك قبل ساعات معدودة من بدء جلسة الافتتاح ويقترح التأجيل لعدة أيام قادمة وكأن الموقف الخطير لا يتطلب هذا التعجيل ؟! لماذا وافق هذا الرئيس أولاً .. ولماذا عاد فاعتذر عن عدم الحضور ثانيًا ؟!

نفس السؤال ، ونفس الحيرة من مواقف عربية عشناها – ومازلنا – ومنذ بدء نشوب الأزمة الخطيرة وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، ولا نجد من يجيبنا عنها ، ولا نجد – أيضا – من يحاول مساعدتنا في التخلص من حيرتنا !

ومع هذه اللامبالاة من جانب بعض أنظمتنا الحاكمة ، تشجع العراق ولم يكتف بغزو واحتلال وضم دولة عربية إلى « الإمبراطورية » التي يحلم بزعامتها ، وإنما أرسل قواته وحشوده في ملاصقة الحدود مع المملكة العربية السعودية ! ومن حق الشعب السعودي أن يفزع وأن يقلق وأن يخشى أن يتكرر معه ما لاقاه وعانى منه الشعب الكويتي بأيدي القوات المسلحة العراقية ، ومع الأسف الشديد لم يجد الشعب السعودي من معظم الأنظمة العربية عونا أو سنداً أو حتى وعدا بهذا العون وتلك المساندة !

لقد صدقت تلك الأنظمة ما أكدته الأبواق العراقية باحترامها لمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها العراق مع المملكة العربية السعودية في العام الماضي ، وتناست هذه الأنظمة أن نفس هذا العراق أعلن نفس هذا التأكيد بالنسبة للكويت ، ولم

تمض أيام قليلة حتى كانت الدبابات العراقية تتوغل داخل الحدود الكويتية وتحتلها في ساعات وتعلن ضمها بعد أيام !

الحكومة السعودية لا تستطيع أن تغامر بأمن شعبها ولا أن تهمل في حماية حدودها . كانت السعودية تتمنى أن تهب الأنظمة العربية كلها ، وتتوحد كلمتها وقرارها ضد هذا الخطر الجديد الذي يهدد دولة عربية ثانية ، وكانت تنتظر – أيضا – من تلك الأنظمة أن تهدد العراق باستخدام القوة ضده إذا صمم على استخدامها ضد جارته الشقيقة ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يعلن .

ولم يكن أمام المملكة العربية السعودية سوى الاختيار الصعب وهو الموافقة على مساعدة تأتي من الدول الأجنبية بدلا من الدول العربية الشقيقة ، مع كل ما يمكن أن ينتج عن هذا التدخل الأجنبي من أخطار يصعب تحديدها أو حتى التنبؤ بها .. هذا كله لم يكن خافيا عن الرئيس حسني مبارك عندما دعا إلى عقد مؤتمر القمة العربية خلال ساعات حتى يمكن الاتفاق – لأول مرة – على قرار عربي يكون بديلاً عن الاتفاق الذي توصلت إليه كافة الدول الأجنبية .. ولأول مرة في تاريخ العلاقات الغربية والشرقية وفي تاريخ الصراع الرأسمالي والشيوعي !

ولحسن الحظ وافقت الغالبية العظمى من الأنظمة العربية على قبول دعوة الرئيس مبارك ، وبدأت بالفعل جلسات مؤتمر القمة الطارئ في القاهرة صباح أمس . لقد قوبل خطاب الرئيس مبارك – الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية – بتأييد وإعجاب كل من استمع إليه ما عدا – بالطبع – هؤلاء الذين لا يرضيهم أن يبتعد الخطر عن الأمة العربية ، ولا يسعدهم إلاّ ترسيخ العدوان وإبادة الشعوب وفرض شريعة الغاب !

لقد طرح الرئيس مبارك أفكاره لكيفية مواجهة الأخطار التي تتربص بكل شعب من شعوبنا وبكل نظام حاكم من أنظمتنا وبكل الموضوعية وبكل الحرص على حاضر ومستقبل الأمة العربية – بعد أن تدخل الوجود العسكري الأجنبي المتعدد الجنسيات في مياهنا وعبر أجوائنا وفوق ترابنا – أعلن الرئيس حسني مبارك أن الحل ليس مستحيلا ، وأن السلام يمكن إعادته إلى منطقتنا مرة أخرى وذلك من خلال النقاط

العشر التي وصفها كل من استمع إليها بأنها تحمل الأمل وتبعد اليأس ..

الحل بمجرد الكلمات لا يكفي . المهم كيف يستطيع ملوكنا ورؤساؤنا العرب تحويل هذا الكلمات إلى قرارات يتعهدون جميعا بالتمسك بها ويضحون بكل غال ورخيص من أجل تنفيذها وفرضها فرضا على من لا يوافق عليها أو يحاول التسويف في تحقيقها ؟ .

وكان الله في عوننا جميعا ..

الأصل .. والصورة ![*]

أجمعت صحف العالم – في تحليلها لشخصية الرئيس العراقي صدام حسين – على أنه يريد أن يتقمص شخصية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فيقود الأمة العربية ، كما قادها ، ويخلق الثورات داخل قارات الدنيا الخمس ، كما خلقها .

وياليت صدام حسين كان مثل جمال عبد الناصر ! فمع كل الانتقادات التي وجهناها لعبد الناصر عندما نتعرض لإيجابيات وسلبيات سنوات حكمه ، فإن الرجل – وهذه شهادة له – لم يرتكب في حق شعبه وفي حق الشعوب العربية ، أو في حق شعوب العالم كله ما ارتكبه صدام حسين في حق هذه الشعوب كلها خلال السنوات العديدة التي حكم فيها – ومازال يحكم – العراق بالحديد والنار والغازات الحارقة والسامة !

الفارق هائل بين عبد الناصر وصدام فمثلا :

عندما قامت الوحدة الشاملة بين مصر وسوريا كانت الفرحة في قلب كل عربي من المحيط إلى الخليج . فالوحدة بين شعوب الأمة العربية كانت مجرد حلم أو وهم نصبح ونمسي عليه . وبعد تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا أصبح الوهم حقيقة وأضحى الحلم أملا يمكن تحقيقه ببعض الجهد وببعض الإصرار .

ومع الأسف الشديد . انهارت هذه الوحدة بعد شهور قليلة . فتبدد الحلم الكبير في كل القلوب وأولها قلب جمال عبد الناصر . لحظتها أيقن الرئيس الراحل أن انهيار الوحدة المصغرة – وهي مازالت تحبو – أدى إلى انهيار حلمه الأكبر – والأعظم – في قيام وحدة عربية شاملة تجمع كافة شعوب الأمة العربية من المحيط

(*) جريدة أخبار اليوم بتاريخ 18 / 8 / 1990

إلى الخليج .

وفي البداية .. لم يتحمل عبد الناصر هول هذا الفشل ، وقتها ألقى خطابا تاريخيا - أمام مجلس الأمة - أعلن فيه أمام نواب الشعب المصري أنه أصدر أوامره إلى القوات المسلحة المصرية للتحرك - بحرا وجوًا وبراً - لضرب رموز الانفصال في القطر الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة لتعود الوحدة بين القطرين وليعود الأمل الكبير للأمة العربية وعلى الفور التهبت أيدي نواب الشعب بالتصفيق تأييدًا وترحيبًا بالتدخل العسكري المصري لفرض الوحدة على الذين طعنوها من الخلف ! وقطع عبد الناصر دويّ التصفيق والتهليل والترحيب من كل نواب الشعب ، وواصل حديثه قائلا : إنه ألغى قراره في آخر لحظة لا لشيء إلا لأنه لا يريد أن يُقْتَل عربي سوري برصاصة يطلقها عربي مصري .

ولهذا السبب الوحيد نجح الانفصاليون السوريون في مخططهم ، كما نجحوا في تبديد أكبر وأعظم حلم كانت أمتنا العربية تعيش به ، وعليه تخلّى عبد الناصر عن حقه في فرض الوحدة التي كان الشعب السوري أكثر حرصًا وحماسًا لها من الشعب المصري . وتخلّى عبد الناصر عن فرصته الكبرى في استرداد ما ضاع منه ، وفي مواصلة الهدف الذي نذر نفسه وتاريخه وحاضره ومستقبله من أجل تحقيقه واضطر الرئيس الراحل إلى التخلّي عن هذا كله لا لشيء إلاّ لأنه لا يريد أن تراق قطرة دم عربية واحدة برصاصة يحملها جندي عربي آخر .

وهذا هو الفرق بين عبد الناصر وصدام حسين الذي يريد أن يتقمص شخصيته وأن يتباهى بأنه خليفته ..

صدام حسين - الصورة المشوهة والبالغة السوء لعبد الناصر - لا يهمه أن يُقْتَلَ العربي برصاص عربي أو غير عربي مادام الهدف من هذا القتل هو فرض رأي ديكتاتور العراق ، ولا يهمه أن تدمر كافة الدول العربية وتشرد شعوبها لا لشيء إلا لأن هذه الشعوب لا تقبل ما يفرضه عليها ، ولا تتحمس لمخططاته التوسعية ولزعامته المشتراة بمال شعبه وبتروله وبإرهابه ووحشيته !

أراد صدام حسين أن يّركع الكويت حكمًا وشعبًا ! أراد أن يأخذ من

الكويت ثرواته قهرًا وإرهابًا ! وأراد ـ أيضا ـ أن يسلب من الكويت أرضا كان العراق من بين كافة دول العالم التي اعترفت بسيادة دولة الكويت عليها وملكيتها لها ! وعندما ضج الشعب الكويتي من فحش هذا الابتزاز ، ومن ضخامة المساعدات والهبات المالية ـ التي تحسب أرقامها بآلاف الملايين وعلى مدى السنوات العديدة الماضية التي عاشتها منطقتنا حربا بين العراق وإيران ـ جاء رد الديكتاتور العراقي باترا ومتبجحا ! زحفت قواته ودباباته وطائراته لتحتل البلد الصغير والآمن والمسالم في ساعات !

كانت تعليمات صدام حسين لضباطه وجنوده :

(ادخلوا الكويت ! دمّروا قواتها الرمزية ! احتلوا أرضها اقتلوا من يتحرّك داخلها ! اسرقوا أموالها ! انهبوا خيراتها ! أذلّوا شعبها ! اغتصبوا حريمها ! فكل ما في الكويت هو ملك لكم) !

وتحقق لديكتاتور العراق هذا كله ، في ساعات معدودة !

أوهام صدام حسين صوّرت له أن شعب الكويت يمكن أن يرحب باحتلال أرضه ، ويرحب أكثر بتغيير نظام حكم بلاده ، ففوجىء برفض عام من كافة الشعب لهذا العدوان ، وهذا الاحتلال ، وهذا السلب والنهب واغتصاب النساء من (الاخوة) العراقيين وأذنابهم الفلسطينيين !

الصورة بين عبد الناصر وصدام حسين بالغة النفور ..

عبد الناصر كان يعلم أن الشعب السوري كله كان مؤيداً ومرحباً بالتدخل العسكري المصري لضرب حركة الانفصاليين العملاء ولكن عبد الناصر رفض هذا التدخل احتراماً للدم العربي حتى لا يراق برصاص عربي . تقبّل عبد الناصر أقوى ضربة لأحلامه في تحقيق وحدة الشعوب العربية لا لشيء حتى لا يقال عنه إنه هاجم سوريا ، وقتل من شعبها من قتل ودمر من مدنها وقراها ما دمّر .

هذه الاعتبارات كلها لم تلق اهتماماً من صدام حسين ! على العكس من ذلك ، فإنه عندما وجد رفضاً كاملاً وشاملاً من كافة فئات الشعب الكويتي أصدر

قرارا بضم الكويت إلى العراق باعتبارها – كما يزعم – مجرد ضاحية من ضواحي مدينة البصرة !

عبد الناصر – الأصل – تجاهل أحلامه حتى لا يسيء إلى شعب عربي ، أما صدام حسين – الصورة المشوهة – فإنه هاجم واحتل وأذل شعبا ، ليحقق أطماعه وزعامته !

وعندما نشبت الثورة الشعبية في اليمن بقيادة المشير عبد الله السلال وأطاحت بنظام الحكم في صنعاء سعد عبد الناصر سعادة كبيرة بهذه الثورة ، وهو الذي نذر نفسه لتشجيع ثورات الشعوب في كل مكان حتى لو كانت تلك الثورة فوق السفينة « بونتي » ! ولم يتردد عبد الناصر في مساندة هذه الثورة منذ لحظة الإعلان عنها لأول مرة . كما أنه وافق – بلا تردد أيضا – على إرسال قوات مسلحة مصرية إلى اليمن لمساعدته ضد المعارضة الملكية لا لشيء إلا لأن الشعب اليمني كله كان رافضًا لنظام الحكم الرجعي والمتخلف السابق ، ومؤيدا ومرحبًا بثورة المشير عبد الله السلال وجماعته ..

ولا علاقة بين التدخل العسكري المصري في اليمن والتدخل العسكري العراقي في الكويت ، فعندما أرسل عبد الناصر قواتنا العسكرية إلى اليمن كان يستند إلى أن الشعب اليمني يؤيد الثورة ، وبالتالي فلا حرج من إرسال قوات مصرية لمساندة ومساعدة الشعب اليمني ضد أعداء ثورته ، على الرغم من أن قطاعات عريضة من الشعب المصري – وأنا منها – كانت رافضة لهذا التدخل ورافضة أكثر لضخامة الأموال المصرية التي صرفت على هذا التدخل وحزينة – أيضا – على الدماء المصرية التي سالت فوق صحراء وجبال اليمن في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل !

ومع كل هذه التحفظات على تدخلنا العسكري في اليمن فإن الفارق كان شاسعا – أيضا – بين هذا التدخل من جانب عبد الناصر والتدخل الوحشي من جانب ديكتاتور العراق في الكويت .

فعبد الناصر تدخل في اليمن من أجل تحقيق ثورة أيدتها غالبية الشعب اليمني بلا تحفظ ، وهذا التدخل – رغم رفضنا له – جاء منسجما مع أهداف عبد الناصر – وقتذاك – في مكافحة الاستعمار ومحاربة الأنظمة الرجعية وتحقيق الزعامة العربية له من خلال وحدة الأمة العربية تحت رئاسته .

أرسل عبد الناصر جيشا هائلا إلى اليمن أقام وحارب هناك لسنوات عديدة . أعداء هذا التدخل - من العرب وغير العرب - قالوا فيه ما لم يقله مالك في الخمر ! ولكن من المؤكد أننا لم نسمع منهم كلمة واحدة يفهم منها أن القوات المصرية أذلّت الشعب اليمني ، أو أنها مارست إرهابها ووحشيتها من أجل إخضاع هذا الشعب لقبول مالا يقبله ! على العكس من ذلك كانت الاتهامات الوحيدة التي ووجهنا بها تتركز فقط في أن عبد الناصر أرسل جنوده ليقتل الآلاف لمجرد تحقيق زعامته العربية الكبرى ، وأن خزانة مصر المثقلة بالديون تحملت المزيد من الخسائر والمزيد من الديون والمزيد من العجز .

لم يقل أحد كلمة واحدة ضد إنسانية القوات المسلحة المصرية في اليمن . لم يقل أحد كلمة واحدة عن قيام الجنود المصريين باغتصاب السيدات والفتيات اليمنيات والأهم من هذا وذاك .. أنه لم يقل أحد كلمة واحدة عن قيام القوات المسلحة المصرية بسلب أو نهب الثروات اليمنية . على العكس من ذلك قالوا إن عبد الناصر أخذ رصيد مصر من الغطاء الذهبي المصري ووضعه في حقائب ووزعه على رؤساء القبائل اليمنية المؤيدة لنظام الحكم السابق حتى يضمن تحالفهم معه وتأييدهم لوجود قواته في بلادهم !

أين هذا كله مما فعله صدام حسين الذي يصر على أنه « خليفة » الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر ؟! « الصورة المشوهة » لعبد الناصر في العراق أمرت جنودها باحتلال بلد رغما من أنف شعبه ! صدام حسين أعطى الضوء الأخضر لضباطه وجنوده بإذلال الشعب الكويتي ، ونهب أمواله ، وسرقة محلاته ومنازله ومخازنه ! « خليفة » عبد الناصر اقتحم البنوك الكويتية وسرق ذهبها وأموالها لعله يستطيع بها أن يعيد لميزان مدفوعاته النقص والعجز الهائلين اللذين أصيب بهما رغم أنه صرف من عرق ودموع شعبه المنكوب أكثر من 500 ألف مليون دولار على حربه الحمقاء ضد إيران ! زعيم القومية العربية - كما يحلو لصدام حسين تسمية نفسه - أمر جنوده بسحق الشعب الكويتي كما لم يفعل جنكيز خان في حملاته

وغزواته ضد العالم كله وضد الشعوب العربية والإسلامية بصفة خاصة !

هذه الحقائق كلها – وغيرها – يبدو أنها غابت عن هؤلاء السذج الذين نسمع عن تأييدهم لصدام حسين ووقوفهم إلى جانب حماقاته وبذاءاته التي ينطق بها فمه الكريه يوما بعد يوم ولحظة بعد أخرى ! لقد سمعنا عن قيام مسيرات شعبية تؤيد هذا العلماني الذي أصبح – في يوم وليلة – عالمًا من علماء الإسلام ، وداعية من أكبر دعاة الإسلام ! سمعنا عن مظاهرات تطوف عمان وتونس وصنعاء وعدن وبيروت وصيحات المشاركين فيها تبارك « خليفة » عبد الناصر وتبايعه بالروح والدم ! سمعنا أراجوزات سياسة – وما أكثرهم في عالمنا العربي – تبارك العدوان العراقي على الكويت وتبشر بعدوانه الوشيك على السعودية وعلى جميع دول الخليج العربي ! سمعنا هذا السائح حول العالم – ياسر عرفات – يؤيد سيده القابع في بغداد ونسي أن هذا التأييد أفقده كل صلاحيته في أن يكون المتحدث الرسمي والأوحد باسم الشعب الفلسطيني ، فإذا كنا ندين الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ، وطرد شعبها من أرضه وتشريده في قارات الدنيا الخمس ، فمن المؤكد أن تأييد المتحدث الرسمي والأوحد – سابقا – لعدوان العراق على الكويت واحتلال أرضها وتشريد شعبها ، لا نتيجة له غير إبعاده نهائيا عن منصبه وإظهاره أمام العالم كله في صورة الانتهازي الذي خان شعبه قبل أن يخون أمته العربية ، وأصبح شخصا مكروها وممقوتا ، في نظر الشعب الكويتي ، الذي لولاه لما تضخمت ثروات منظمة التحرير الفلسطينية ، ولما استطاع ياسر عرفات أن يعيش – هو والعصابة من حوله – عيشة أصحاب البلايين اعتمادًا على رصيده الهائل الذي تصدقت به عليه شعوب الكويت والسعودية والبحرين وقطر والإمارات وعُمان .

سمعنا الملك حسين الذي لا هم له غير الحفاظ على عرشه حتى لو تنازل عن اقتناعه الشخصي يؤيد العدوان ويحاول أن يعطي للجاني أكثر مما يعطيه للمجني عليه ! سمعنا هذا اليمني الذي لا هم له غير الإشادة بالدور المصري الذي لولاه لما قامت للثورة اليمنية قائمة ، ولما استطاع ، وهو الجندي برتبة (شاويش) أن يصبح الآن

على قمة قيادة بلاده ويجالس الملوك والرؤساء ، سمعناه وهو يؤيد ويبارك المظاهرات المؤيدة للعدوان العراقي والمهاجمة والمنددة بمصر – شعبا قبل قيادة – لا لشيء إلا لأنها رفضت أن يُترك للغرب معالجة الأزمة بين العراق والكويت ، وصممت على أن يكون العلاج لهذه الأزمة – التي تسببت فيها حماقة صدام حسين – علاجا عربيا ، فوافقت على طلب السعودية بإرسال قوات مصرية لتشارك في قوة عربية عربية – مع سوريا والمغرب – في الدفاع عن الأراضي المقدسة في السعودية وضد الخطر القادم من العراق ! وسمعنا – أيضا – هذا الذي جاء من المجهول – زين العابدين بن علي – الذي تولى حكم تونس في أعقاب انقلاب عسكري مشبوه قام به ، وهو يؤكد للرئيس حسني مبارك ترحيبه وسعادته بعقد مؤتمر القمة الطارئة في القاهرة ، ثم نفاجأ به يعتذر عن عدم الحضور قبل ساعات معدودة من بدء انعقاد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .. لا لشيء إلا تنفيذا لأوامر وصلته من ديكتاتور بغداد ، وعلى وعد من الأخير بالإبقاء على مقر الجامعة العربية في تونس ومنع نقلها إلى القاهرة كما اتفق كافة ملوك ورؤساء الدول العربية !

* * *

ما أبخس الثمن الذي تقاضاه كل من هؤلاء الأراجوزات العرب من ديكتاتور بغداد للوقوف إلى جانب عدوانه ، والتغاضي عن وحشية ضباطه ، وتجاهل سفالة وحيوانية جنوده !





« روبين هود » .. المزعوم !(*)

غضب مرتزقة الرئيس العراقي صدام حسين من وصف العالم له بأنه صورة من مصاصي دماء الشعوب من أمثال : جنكيزخان ، وهولاكو ، وموسيليني ، وهتلر ! وارتفعت أصوات هؤلاء المرتزقة ــ في بعض العواصم العربية ، وداخل مقار منظمة التحرير الفلسطينية ــ تندد بهذه الأوصاف ، وتدافع عن ولى نعمتها ومُضاعف أرصدتها ومُتخم جيوبها ، وتؤكد ــ في الوقت نفسه ــ على أن صدام حسين هو خليفة اللص الشريف « روبين هود » الذي كان يسرق الأغنياء ــ في العصور الوسطى ــ ويوزع أموالهم على الفقراء .. كما تروي الأساطير الإنجليزية القديمة !

ومرة أخرى أقول : ما أسخف هذا الوصف ، وما أبعده عن حقيقة حاكم العراق ، فالفارق كبير بين اللص الشريف « روبين هود » واللص غير الشريف « صدام حسين » . اللص الأول كان يزعجه ويؤلمه أن شعب بلاده لا يجد ما يأكله ، فاضطر إلى أن يعتمد على نفسه في التسلل إلى بيوت الأثرياء ويسرق منها ما يستطيع حمله ثم يوزع حصيلته على الفقراء والبؤساء ، أما اللص الثاني ــ الذي ظهر في وطننا العربي في نهاية القرن العشرين ــ فإنه قلب الآية وأدمن سرقة شعبه ونهب خيراته ليوزع حصيلتها الهائلة على نفسه وأفراد أسرته وحراس جسمه والمرتزقة والمنافقين من حوله !

عندما قفز صدام حسين فوق قمة السلطة في بغداد ، لم يكن الشعب العراقي فقيراً أو بائسًا . فالثروة الطبيعية التي وهبها الله للعراق أتاحت له إنتاج أكثر من

(*) جريدة أخبار اليوم بتاريخ 25 / 8 / 1990

3 ملايين برميل من البترول الخام يوميا وهذا الإنتاج الضخم يفسح المكان أمام العراق ليحتل المرتبة الثانية – بعد السعودية مباشرة – في قائمة أكثر دول العالم إنتاجا للبترول كما أن عدد السكان في العراق – 17 مليون نسمة – يتقارب مع عدد سكان المملكة العربية السعودية الذي يبلغ 15,5 مليون نسمة ، مما كان يحتم أن يقفز دخل الفرد في العراق إلى أعلى مستوى دخل بين شعوب الكرة الأرضية كما هو الحال بالنسبة لدخل الفرد في المملكة العربية السعودية أولى دول العالم إنتاجا للبترول بالخمسة ملايين برميل التي تضخها يوميًا .

ففي سنة 1988 – على سبيل المثال – كان دخل العراق من البترول يصل إلى 11 مليارا و 400 مليون دولار في حين أن دخل السعودية – في السنة نفسها – كان 18 مليارا و 500 مليون دولار ، وعلى الرغم من ذلك فالفارق هائل ، وشاسع ، بين حال الشعب في العراق ونظيره في السعودية والمقارنة بين الشعبين واضحة ومعروفة وأبسط وصف لها أن المواطن العراقي لم يعرف الحرمان من أي شيءوكل شيء كما عرفه ويعيشه منذ أن سطا الرئيس صدام حسين على مقاليد الحكم في بلاده .. وحتى يومنا هذا ، وإذا كان المواطن العراقي يشكو – الآن – من الفقر ، والحرمان ، والجوع ، والفاقة ، فليس هذا نتيجة لنقص في الموارد ، أو قحط في الثروات الطبيعية ، أو قيام دولة الكويت فوق أرض عراقية ، أو ثراء السعودية وارتفاع مستوى معيشة المواطن السعودي ! السبب الوحيد وراء هذا الفقر وهذا الحرمان هو تعرض ثروات وخيرات الشعب العراقي الشقيق إلى أكبر وأبشع عملية نزف واستنزاف لهذه الثروات وتلك الخيرات قام بها ديكتاتور بغداد عمدًا ومع سبق الإصرار والترصد !

منذ أن تولى الرئيس صدام حسين الحكم في بلاده ولا هدف له غير تبديد تلك الثروة الهائلة وفق برنامج محدد نذر ماضيه وحاضره ومستقبله من أجل تنفيذه وتحقيقه بندا بندا . أراد أن يجعل من العراق أقوى دولة في الشرق الأوسط ! فالجانب الأكبر من دخل البلاد يوجه من أجل بناء قواته المسلحة ، فلا صوت يعلو فوق صوت القوة ، ولا مقارنة بين دخل الفرد في السعودية أو الكويت ودخل الفرد

في العراق إلا بعد أن تتحقق للعراق القوة العسكرية القادرة على التهام هاتين الدولتين في يوم وليلة !

وأصبح لدى العراق ـ الآن ـ قوات عسكرية تزيد 20 ضعفًا على القوات العسكرية السعودية ! أصبح عدد الدبابات العراقية عشرة أضعاف عدد الدبابات السعودية ! أصبح عدد المقاتلات العراقية خمسة أضعاف عدد المقاتلات السعودية ! وأصبح العراق يملك مئات الصواريخ المزودة برءوس كيماوية سامة وحارقة ، لا تملك السعودية صاروخاً واحدًا منها .. احتراما للإنسانية ، واحتراما للقوانين الدولية التي تحرّم تملكها واستخدامها .

وقبل أن يخطط ديكتاتور بغداد لاستخدام هذه القوة الهائلة ضد الشعوب العربية الشقيقة الملاصقة لحدوده ، أراد أن يستعرضها أمامها في حربه الحمقاء التي افتعل شرارتها الأولى ضد إيران ، والتي استمرت لأكثر من ثمانية أعوام أنفق عليها ـ من دخل الشعب ـ نحو 500 مليار دولار ، وراح ضحيتها أكثر من مليوني قتيل وجريح ومعوّق ، إلى جانب وقوع أكثر من 100 ألف عراقي في الأسر الإيراني !

صحيفة بريطانية علقت على مخاوف العالم من القوة العسكرية العراقية فقالت ساخرة : (انظروا إلى ما فعله صدام حسين بهذه القوة في حربه الطويلة ضد إيران . النتيجة النهائية لهذا الخراب الهائل الذي أصيب به الشعب العراقي المنكوب هو تقدم القوات العراقية إلى خمسة أمتار داخل الحدود الإيرانية ثم تراجع خمسة أمتار إلى داخل حدوده .. طواعية واستسلامًا وواضعا أكاليل الفخر والانتصار فوق رءوس آيات الله في طهران) !

لو أن هناك شعبا تحمّل من حكامه أبشع أنواع البطش والردع والتعذيب والتنكيل ، فمن المؤكد أنه الشعب العراقي الشقيق الذي حكمه ـ ومازال ـ ديكتاتور بغداد بالحديد والنار ، ولو أن هناك دولة نجح مغتصب حكمها وقيادتها في نهب ثرواتها ، وإفقار وتجويع شعبها ، على مدى السنوات العديدة الماضية والمتصلة ، فهذه الدولة ـ بالقطع ـ العراق الشقيق .

ويخطىء من يتصور أن في استطاعة الشعب العراقي وحده أن يطيح بمصاص الدماء الذي يجثم فوق أنفاسه ، ويبدد ثرواته ، وهو يعبد ذاته ، ويرجع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب ، كما قال ضمن رسالته المفتوحة التي وجهها – بالأمس – إلى الرئيس حسني مبارك !! فبدون مساعدة ومساندة من كافة الشعوب العربية ، أولا ، وكافة حكومات العالم كله ، ثانيا ، فإنه من الصعب جدا على الشعب العراقي المنكوب أن يحرر إرادته ويستعيد حريته وثرواته وحياته ذاتها .

ولحسن الحظ أن حماقة صدام حسين – الأخيرة – أثارت الدنيا كلها ضده ، وأجمعت الآراء على ضرورة الإطاحة بهذا المتعطش للدماء والذي يريد أن يشعل حربًا عالمية تدمر كرتنا الأرضية ، لا لشيء إلا ليدخل بها تاريخ الطغاة ، ويضاف اسمه إلى ذيل القائمة بعد أدولف هتلر مباشرة !

استمعنا إلى الرسالة المفتوحة والركيكة التي وجهها صدام حسين – عبر الأثير وفوق شاشة تليفزيون بغداد – إلى الرئيس حسني مبارك ردا على مناشدة الرئيس مبارك له بتحكيم العقل وبنزع فتيل الانفجار قبل فوات الأوان ، وأعترف أنني ضحكت مما قاله الرئيس صدام حسين .. فشر البليّة ما يضحك .

تقمص الرئيس صدام حسين – في رسالته المفتوحة والركيكة – شخصية روبين هود المفترى عليها ! ظهر أمامنا في صورة حامي حمى الفقراء ضد الأغنياء والأثرياء ! تباكى على الشعوب العربية الفقيرة التي تعاني في سبيل الحصول على أبسط حقوقها من طعام وكساء وتعليم وعلاج ! تحسرّ على حال الشعب العراقي الذي زعم أنه أعطى للأمة العربية حريتها ونذر نفسه لحمايتها ، واسترداد ما ضاع منها في الوقت الذي – كما يزعم – لم يجد فيه من أثرياء هذه الأمة غير الجحود والبخل والتنكر واللامبالاة . تحدث حديثًا – طويلاً ومملاً – عن نظرياته الاقتصادية والسياسية في كيفية وضرورة إعادة رسم خريطة الأمة العربية بحيث توزع ثرواتها كل حسب حاجته وكل حسب قوته !

فمن رأيه أنه لا يقبل أن يتمتع شعب عربي برغد العيش في الوقت الذي يشكو فيه جاره من الحرمان والفقر ! ومن رأيه ـ أيضا ـ أنه يستحيل أن يكون لدى دولة مثل الكويت هذا الثراء كله ، في الوقت الذي يعاني فيه الشعب العراقي من الفاقة وضيق ذات اليد ! فالقومية العربية ـ كما يراها ـ أن ينهب الفقير مال الثري ، وأن يخضع الضعيف لمطالب وأوامر القوى !

أبدى صدام دهشته من موقف الرئيس حسني مبارك الذي أعلن رفضه ـ ورفض شعب مصر قبله ـ للعدوان العراقي ضد دولة الكويت ! كما أبدى حزنه العميق لأن الرئيس مبارك يؤيد هذا العدوان ولم يسارع بمشاركته في التهام الكعكة الضخمة التي يستعد لالتهامها ! ففي تصوّر الرئيس صدام حسين أن الضغوط التي دفعت العراق إلى العدوان واحتلال الكويت هي نفسها التي تئن مصر منها ، وهذا وحده كاف لتوحيد موقف البلدين ، تأييدا للعدوان على الكويتيين وإرهابًا لغيرهم !

ومن المؤكد أن الرئيس صدام يكذب على نفسه قبل أن يكذب على غيره . فهو يزعم أنه يحب مصر ورئيس مصر ، ولكن ما كان ينتظره منا يبرهن على أن الرجل لم يفهم شعب مصر ولا يفهم رئيس مصر .

حقيقة أن مصر تواجه صعوبات اقتصادية كبيرة ومعقدة . حقيقة أن الشعب المصري ـ أكثر من 50 مليون نسمة ـ يعاني من ارتفاع الأسعار ومن صعوبات يومية بالغة القسوة . وحقيقة ـ أيضا ـ أن حكومة مصر تجد صعوبات بالغة في رفع مستوى المواطن المصري ، ولكن هذه الصعوبات كلها ـ وغيرها ـ تختلف في أسبابها ومبرراتها عن أسباب ومبررات الضغوط التي يعاني منها الشعب العراقي والتي حوّلت حياته إلى حرمان وجوع وجحيم لا يطاق . فمصر تستثمر كل مواردها ، وكل ثرواتها الطبيعية والإنتاجية من أجل تنمية بلادها ورفع المعاناة عن شعبها عشرات الآلاف من ملايين الدولارات تصرفها مصر سنويا على تنفيذ خططها الاقتصادية ، وزيادة رقعتها الزراعية ، ومضاعفة إنتاجها الصناعي ، وتوفير فرص العمل الشريف لملايين من شبابها .

عشرات الآلاف الأخرى من ملايين الدولارات صرفتها مصر – وستظل تصرفها تباعا – من أجل إصلاح ما كان مهملاً لسنوات طويلة ، اضطر حكامنا السابقون إلى تجاهلها عندما كانت مواردنا تتجه إلى أولويات قومية تمثلت في الحروب التي خاضها الجيش المصري دفاعا عن الأمة العربية كلها قبل أن تكون دفاعًا عن مصر وحدها ، ولم تتحمل موارد مصر هذه الأعباء المادية الهائلة التي تواجهها الحكومة المصرية ، واضطررنا إلى الاقتراض من العديد من دول العالم ، والتزمنا – دائما – بسداد هذه الديون في مواعيد استحقاق أقساطها ...

والأمر يختلف بالنسبة لأسباب معاناة الشعب العراقي ، فموارد العراق الهائلة تكفي لترفع من مستوى دخل المواطن العراقي إلى أعلى المستويات العالمية في أكبر الدول الصناعية الكبرى ، ولكن هذه الموارد أضاعها صدام حسين في مغامراته ، وفي مؤامراته ، وفي شراء الأسلحة من الشرق والغرب ، وكأنه يريد بها أن يحتل الكرة الأرضية بأكملها !

الصناعة أهملها ! الزراعة قتلها ! التعليم أفسده ! وصحة الشعب تجاهلها ! فهناك – كما يرى – أوليات أخرى تسبق هذه الكماليات وتركز فقط على تحقيق الهدف الأعظم الذي توهم صدام حسين أن العناية الإلهية خلقته من أجله ! وفي سبيل تحقيق زعامته وقيادته بدّد صدام حسين ثروة شعبه – وثروات الشعوب العربية التي أجزلت له العطاء طواعية بإسراف وتبذير لم يسمع العالم بمثيلهما من قبل !

الفارق صارخ – إذن – بين معاناة مصر ومعاناة العراق . معاناة مصر سببها تدارك سنوات الإهمال القديمة لكافة مرافقها ، وبذل كل ما تستطيع حكومتها أن تفعله من أجل تنمية اقتصادها حاليا ومستقبلا في الوقت نفسه ، أما معاناة العراق فسببها يرجع – أولا وأخيرا – إلى هذا الديكتاتور الذي لا هم له غير تبديد ثروات بلده وإرهاب شعبه ، وقتل شبابه في حروب ومغامرات عسكرية حمقاء راح ضحيتها مئات الآلاف ، وضاعت في معاركها مئات المليارات من الدولارات اشترت بها العراق أسلحة وقنابل وصواريخ سامة وحارقة !

في خطابه المفتوح والبذيء الذي وجهه الرئيس صدام حسين للرئيس حسني مبارك . سمعناه يتحدث عن حق الشعوب العربية الفقيرة في ثروات الشعوب العربية الغنية ، كلام لا بأس به بشرط أن يكون ناطقه أول من ينفذه ، لقد تناسى « روبين هود الأمة العربية » موقفه هو بالذات بالنسبة لشعب مصر عندما كان في حاجة إلى مساعدة الأشقاء قبل الغرباء ! تجاهل حامي حمى الفقراء العرب ضد الأغنياء العرب كيف خرجت مصر منتصرة وظافرة في حربها ضد إسرائيل – سنة 1973 – وألحقت أول وأكبر هزيمة ضد إسرائيل وفي أعقاب سلسلة من الهزائم العربية بدأت بضياع فلسطين في سنة 1948 ومرورا بحرب سنة 1956 وانتهاء بحرب 1967 !

كانت مصر – وقتذاك – في حاجة إلى دعم اقتصادي كبير من الدول العربية الشقيقة ، وبالفعل لم يخب ظن مصر في دول العرب الخليجية التي ساهمت في هذا الدعم كل حسب قدرته ووفق إمكاناته . لم تعترض مصر على ضآلة هذا الدعم ، لم تهدد أنظمة وحكومات تلك الدول بالدفع أو بالضرب ! على العكس من ذلك .. كانت مصر – شعبا قبل قيادة – شاكرة لكل من أعطى ، وراضية بكل ما أخذت .

والسؤال – الآن – الذي فرضه فرضا الرئيس صدام حسين بعد سماع خطابه المفتوح .. هو :

– (وأين كانت دولة العراق في هذا الوقت ؟! ماذا قدم حاكم ثاني أضخم دولة في العالم إنتاجا للبترول من دعم ومساعدة إلى مصر التي أعادت للأمة العربية كرامتها وكبرياءها ورفعت سمعة المقاتل العربي إلى عنان السماء بعد أن لطختها إسرائيل لسنوات وسنوات ؟!)

الرئيس صدام حسين سيترفع – بالقطع – عن الرد على هذا السؤال ! ولا بأس من أن أنوب عنه في هذا الرد . فحامي حمى الشعوب العربية الفقيرة لم يقدم مليما أو فلسا واحدا لمصر ! وحاكم ثاني أضخم دولة في العالم إنتاجا للبترول كان سعيداً بأن حرب أكتوبر التي أشعلتها مصر قد قفزت بسعر البترول إلى أكثر من خمسين دولارا للبرميل الواحد وهو الذي كان يباع بأقل من أربعة دولارات

قبل تلك الحرب ، وبدلا من أن يسارع بدعم مصر المنتصرة عسكريا – التي لولا حربها لما انهال الذهب من كل مكان على الخزانة العراقية – فوجئنا به يكتفي بتوجيه النقد واللوم للقيادة المصرية لأنها قبلت وقف إطلاق النار بعد أن نجحت في اجتياح القوات المحتلة الإسرائيلية وإجبارها على الانسحاب من فوق الأرض المصرية !

وياليت حامي حمى الفقراء في مواجهة الأغنياء اكتفى بهذا الموقف المخزي ! الأكثر من ذلك سمعنا وقرأنا بألسنة وأقلام المرتزقة من حوله ما يؤكد حقده على الجيش المصري الذي استطاع أن يحقق النصر العظيم ضد إسرائيل ، وهو – أي صدام حسين – الذي بنى دعايته لعبادة شخصه على أنه القائد العربي الوحيد الذي سيقهر إسرائيل في يوم يختاره وفي ساعة يحددها وبمجرد إعادته ترتيب البيت العربي وتطهيره من الرجعيين والمستسلمين والعملاء .. كما يحلو له دائما وصف « الأشقاء العرب » من المحيط إلى الخليج ..

أراد « روبين هود العرب » معاقبة مصر – قيادة وشعبا – على نصرها العسكري بمضاعفة أزمتها الاقتصادية ومحاولة تجويع شعبها لعله يثور على قيادته ويطيح بها ، فينسى العالم قرار السادات التاريخي بضرب إسرائيل في 6 أكتوبر سنة 1973 !

فلسا واحدا لم يرسل صدام إلى مصر ، والأخطر من هذا أنه مارس ضغطا إرهابيا على بعض دول الخليج العربي لتتوقف عن مساندة ومساعدة مصر ماديا بزعم أن ما أخذته من هذه الدول يكفي ويزيد على حاجتها ..

لم تغضب مصر من حكومة العراق ولم ترق ماء وجهها .. لعل ديكتاتور بغداد يتعطف ويتصدق عليها ببعض الأرباح الطائلة التي تدفقت عليه نتيجة لحرب أكتوبر التي قفزت بسعر برميل البترول إلى رقم لم يكن في الحسبان ! واضطرت مصر إلى البحث عن القروض من الدول الأجنبية – في أوروبا وأمريكا – حتى لا تحرج شقيقا يملك ولكنه يبخل ، وحتى لا تفضح نظاما ينهب ثروات شعبه ويبددها على حماقاته والدعاية لعبادة شخصه ويرفض أن يساعد شعب أكبر دولة عربية وقت الشدة ! .

ولم يتوقف حقد صدام حسين على مصر عند هذا الحد .

فوجئنا به يقيم الدنيا كلها ولا يقعدها ضد مصر وضد الرئيس الراحل أنور السادات لا لشيء إلا لأن مصر لم تكتف بهزيمة إسرائيل وطرد قواتها من بعض الأراضي المصرية المحتلة وإنما صممت على استعادة كل أراضيها المحتلة ، سلما بعد أن نجحت في استرداد بعضها حربا ! ونجحت براعة القيادة المصرية سياسيا ودبلوماسيا في استرداد سيناء بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل وبسرعة البرق مارس صدام حسين إرهابه على كافة الأنظمة العربية وأجبرها إجبارا على أن تجتمع في مؤتمر قمة عربي في بغداد .. كان صدام رئيسه ، ومنظره ، ومقرره ، في وقت واحد !

. وجاءت قرارات المؤتمر كما أرادها ديكتاتور بغداد بالحرف الواحد ! وقطعت كافة الأنظمة العربية – ما عدا سلطنة عمان – علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع مصر ومنعوا العرب من زيارتها !

وكان صدام حسين أسعد الناس وأكثرهم تفاؤلا بهذه القرارات ! ففكره المريض ، وقلبه الحالك السواد أوهماه أن شعب مصر سيعاني من الجوع ومن الحصار ومن العزلة بابتعاد العرب عنه ، فلا تجد قيادته غير الزحف إلى بغداد طالبة العفو والمغفرة ، وتتنازل لصدام حسين عن موقعها ووزنها وتنادي به زعيما للأمة العربية من المحيط إلى الخليج .

وخابت توقعات صدام حسين .. كما خابت من قبل – ومن بعد – كل توقعاته وكل مخططاته .

أضحكنا الرئيس صدام حسين عندما قال في رسالته المفتوحة إلى الرئيس حسني مبارك مطالبا بتغيير موقفه بالنسبة لما حدث في الكويت حتى تأخذ مصر حصتها وحقها في الكعكة الكبيرة .

وما أبشع وأفظع ، ما يطالبنا به حامي حمى الفقراء ضد الأغنياء ! فالرجل

يتوهم أن رئيس مصر يشاركه فكره واقتناعه لا لشيء إلا لأنه – أي الرئيس مبارك – من أسرة مصرية متواضعة وليس سليل النبلاء والأمراء قبل الثورة ، وبالتالي لن يدافع عن الملوك والأمراء والشيوخ العرب في دول الخليج !

الفارق هائل بين الرجلين : الأول – في بغداد – ملأ الحقد قلبه وعقله منذ أن هام على وجهه في الشوارع صغيرا ، ضائعا ، جاهلا ، يبحث عن موطىء لقدمه ورأسه في أحد بيوتات وبوتيكات الأحزاب السياسية ! والثاني – في القاهرة – تربى في مجتمع متحضر لا يعرف الحقد ولا يؤمن إلا بالعلم والعمل ليحقق المرء أحلامه وطموحاته .

الأول – في العراق – فشل في الالتحاق بالكلية الحربية . فحقد على كل العسكريين ولكنه أصر على أن يرق بنفسه إلى أعلى رتبة عسكرية ويغطي صدره بالنياشين والأوسمة ، وهو الذي لم ينتظم في طابور واحد في حياته ، وهو الذي لم يشارك في حرب نظامية واحدة في شبابه، وصلته الوحيدة بالسلاح تنحصر فقط في أنه حمل مدفعا رشاشا وفتح نيرانه على العزل من السلاح من خصومه في حياته السياسية والحزبية والعائلية !

والثاني – في مصر – التحق بالكلية الجوية وتخرج فيها طيارا ، وتدرج – بالعلم – في مواقع قواتنا الجوية حتى قمتها ، وشارك في كل الحروب النظامية التي خاضها الجيش المصري من أجل القضايا القومية العربية ، لم يتلوث فكره – في شبابه – بالخدع الحزبية . لم يعمل بالسياسة وألاعيبها باعتبار أن العسكري لا شأن له بالسياسة . لم يمسك بمسدسه ويرفعه في وجه مصري أو عربي . لم يفكر لحظة واحدة في أن التصفية الجسدية يمكن أن تضع حدا للصراع على منصب أو على مقعد . على العكس من ذلك رأينا الرئيس حسني مبارك – عندما خلع حلته العسكرية وأصبح رئيسا للجمهورية – ملتزما بنفس أفكاره ونفس نقائه ونفس المثل والمبادىء والتقاليد التي شب عليها . لم نسمع منه كلمة واحدة تسيء إلى الذين أدمنوا الإساءة إليه . لم نسمع عنه أنه يقول لغيره مالا يقوله لنفسه .

كثيرون يحسدون الرئيس مبارك على سعة صدره وعلى طول صبره على الذين تطاولوا عليه – في بعض العواصم العربية – ووجدناه يتجاهلهم ويتسامح مع إساءاتهم لشخصه ! وآخر هؤلاء المتطاولين هو الرئيس العراقي صدام حسين الذي توهم أنه – باقترابه من الرئيس مبارك على مدى السنوات العديدة الماضية – قد فهم الرجل وتعرف على معدنه وفكره وطموحاته . وهداه هذا الوهم إلى أنه توقع أن أول مكالمة تليفونية سيتلقاها فجر يوم 2 أغسطس الحالي ستكون من الرئيس مبارك مهنئا ومهللا للنصر العظيم الذي حققته القوات العراقية في غزو الكويت ، ولكن الصدمة الكبرى التي أفقدت صدام توازنه واتزانه كانت عندما فوجيء برفض رئيس مصر لهذا العدوان ومطالبته بالانسحاب الفوري غير المشروط من دولة الكويت وإعادة الحكومة الشرعية إليها ..

العالم كله أدان العدوان على الكويت ، ولم يهتم ديكتاتور بغداد !. رؤساء الدنيا نددوا بحماقة صدام حسين ، فلم يهتز ولم ينفعل ! ثورته الكبرى وغضبته العظمى تركزتا – فقط – على الرئيس حسني مبارك !. الموقف البطولي والمشرف الذي وقفه الرئيس مبارك وعبّر به عن رأي واقتناع أكثر من 50 مليون مصري ، كان أكبر من أن يتحمّله صدام حسين ، وآخر ما كان يتوقعه من الرئيس المصري ! وعلى الفور أمر ديكتاتور بغداد بتخصيص إذاعة تبث سمومها وبذاءاتها وسفالاتها ضد مصر : شعبا وقيادة وجيشا !

سمعناه – بألسنة وأقلام المرتزقة من حوله – يعيرنا بأن بلاده تستضيف أكثر من مليون مصري ضاقت بهم سبل العيش في مصر ! ونسي هذا الكاذب أن الشعب المصري لم يندم في حياته أكثر من ندمه على إرسال أبناء مصر ليعملوا بسواعدهم لدى نظام صدام حسين .

لقد ارتكب هؤلاء – في تصوري – جريمة في حق بلدهم وفي حق أنفسهم عندما صدقوا أكاذيب العراق وحلموا بآلاف الدنانير التي ستنهال عليهم بمجرد وصولهم إلى العراق . فتركوا أرضهم وزراعتهم ووظائفهم وذهبوا إلى الجحيم الذي كان في انتظارهم في أرض الرشيد ! أهانوهم ! ضربوهم ! اعتدوا عليهم بأفحش

الألفاظ ! دفعوا بآلاف منهم للدفاع بأجسادهم ضد رصاص الإيرانيين بدلا من جنودهم العراقيين !. أوهموهم بالعائد المادي المجزي الذي سيتقاضاه كل واحد منهم مقابل عمله في الحقول ومقابل حرق جلده تحت أشعة الشمس طوال ساعات النهار ، وعندما طالب العمال والفلاحون المصريون بحقوقهم المالية رفضت الحكومة صرف هذه المستحقات !. و لم تكتف بهذا الرفض ، وإنما أطلقت كلابها البشرية المسعورة لتنهش لحومهم وتضرب رءوسهم وتشحن المئات منهم في توابيت طائرة إلى بلادهم !

سمعناه يتساءل بكل وقاحة – في خطابه المفتوح إلى الرئيس حسني مبارك – عن قواتنا المسلحة المصرية التي أرسلناها إلى المملكة العربية السعودية بناء على طلبها وبقرار من مؤتمر القمة العربية الذي عقد – منذ أيام – في القاهرة ؟! فديكتاتور بغداد – الذي دفع بعشرات الآلاف من جنوده لاحتلال الكويت وقتل شعبها واغتصاب نسائها وفتياتها – يتوقع من القيادة المصرية أن تبارك هذا العدوان على بلد عربي ، في نفس الوقت الذي يفقد فيه صوابه لأن هذه القيادة وافقت على إرسال وحدات من الجيش المصري لتدافع عن بلد عربي آخر – السعودية – وحماية لحدوده من عدوان عراقي جديد كان صدام حسين يخطط له لولا يقظة السعودية وسرعة مساندة العالم لها ووقوفه إلى جانبها ؟!

تساءل صدام حسين – بكل وقاحة – (كيف يمكن أن يرسل جيش مصر إلى السعودية ليواجه جيش القادسية ؟! هل لمثل هذه الأدوار تأسس جيش مصر العربي لكي يعطي الغطاء لجريمة المجرمين الأمريكان ؟! إن جيش مصر عليه أن يكون مع فقراء الأمة العربية وضمن صفوف المسلمين المجاهدين وضد جيش الغزاة) .

وما أعجب – وأغرب – تساؤلات روبين هود القرن العشرين ! فهو أول من يعرف كذبها وضلالها ، وتضليلها . فجيش مصر ليس في حاجة إلى شهادة من صدام حسين بالذات ، وهو الذي شكك – من قبل – في قدراته ، وهو الذي لم يترك مناسبة إلا انتهزها لمحاولة تشويه النصر العظيم الذي حققه جيش مصر في حرب أكتوبر المجيدة ، مرة يقول إن جيش مصر لم يحارب أكثر من ست ساعات سنة 1967 ! مرة ثانية يقول

إن جيش مصر حارب 6 أيام ثم قبل وقف إطلاق النار سنة 1973 !. مرة ثالثة يتباهى بأن جيشه العراقي استطاع أن يحارب ويصمد لأكثر من 8 سنوات ! ومرة رابعة – وعاشرة – يصر على تجاهل بطولة الجيش المصري وانتصاره الأسطوري في أكتوبر ويتمايل زهواً وفخرًا مؤكدًا أن الجيش العراقي هو صاحب أول وأعظم انتصار عسكري في تاريخ العسكرية العربية !

جيش مصر ليس – كما تطاول ديكتاتور بغداد – جيش مرتزقة يحارب من أجل المال أو يقاتل طمعًا في غنائم وسبايا !. على العكس من ذلك ، فإنك – ياروبين هود القرن العشرين – الذي أظهرت جيش العراق الباسل في صورة قوافل المرتزقة عندما أجبرت ضباطه وجنوده الأشقاء على أن يغزوا بلدا عربيا شقيقا ومسالما وكريماً ، وأصدرت إليهم الأوامر بقتل شعبه وتشتيته وحرمان الذين خارج حدوده من العودة اليه ! أنت يا حامي حمى الفقراء الذي شوهت تاريخ جيش العراق العظيم عندما دفعت به في أبشع مغامرة عسكرية واجهتها الأمة العربية على طول تاريخها القديم والحديث ! أنت يامن تتباكى على الشعوب العربية المسئول الأول والأخير عن تحالف العالم كله – الآن – ضد نظامك وضد قواتك وضد شعبك الذي لا حول له ولا قوة أمام جبروتك وإرهابك ووحشيتك ودمويتك ! أنت يا من تجرأت ونسبت نفسك إلى سلالة نبينا محمد ﷺ الذي حشدت جيشك وغامرت بأرواح ضباطه وجنوده لا لشيء إلا لأنك لم تستطع أن تنهب وتسطو على أموال الشعوب العربية ، سلما ، فقررت أن تسطو عليها وتنهبها حربا !. جيش من – إذن – الذي يحارب مقابل المال وطمعا في الغنائم والسبايا ؟!

القوات المسلحة المصرية ذهبت للدفاع عن السعودية وليس العدوان عليها . وحدات الجيش المصري التي نقلت إلى الحدود السعودية ، ذهبت بناء على طلب الحكومة السعودية وبموافقة من جامعة الدول العربية و لم تذهب إلى هناك بناء على أوامر من الحكومة الأمريكية .. كما تجرأت وتدنيّت وقلت في رسالتك المفتوحة عبر

الإذاعة والتليفزيون ! وقواتنا المسلحة المنتشرة – الآن – عند الحدود السعودية لديها قيادة مصرية تتلقى منها الأوامر ولا علاقة لها بالقوات الأمريكية أو الانجليزية أو الفرنسية أو البلجيكية أو الألمانية التي تدفقت على منطقتنا نتيجة لطيشك وحماية لمصالح العالم كله من شطحاتك وحماقاتك وتغيّر وتبدّل قراراتك ..

لقد أخطأت كثيرا في حق مصر .

أخطأت أولا في حق الشعب المصري الذي وفر لك الأمن والأمان خلال سنوات إرهابك وهروبك ومنحك فرصة التعليم الجامعي حتى تتثقف ، ولكنك فشلت في دراستك وهجرت كليتك وفضلت الجهل على العلم والظلام على النور !

وأخطأت – ثانيا – في حق الرئيس المصري الذي لم تلق منه غير كل حب ومودة وتسامح مع أكاذيبك ومخططاتك وطعناتك ، لقد كان رئيسنا المصري صبوراً معك إلى أقصى الحدود . صبر على تطاولك ! صبر على شتائمك ! وصبر – أيضا – على افتراءاتك ! ليس هذا فقط ، بل إنه تجاهل هذا كله ووجه إليك رسالة مفتوحة ناشدك فيها بالرجوع إلى الحق والبعد عن البغي ، وإنقاذ الشعوب العربية من هول ما ينتظرها إذا لم تسارع بانتزاع الفتيل المشتعل قبل حدوث الانفجار ، وبدلا من أن تخجل وتنتهز هذه الفرصة النادرة للخروج من محنتك بأقل قدر من الإصابات .. فوجئنا بك ترد على الرسالة الرقيقة بأخرى بذيئة المعاني ، ركيكة الألفاظ دنيئة النوايا والأهداف !

وأخطأت – ثالثا – في حق الجيش المصري الذي كان دائما – ومازال – الدرع الواقية والحامية لأمتنا العربية دون انتظار لمال أو طمع في بترول أو سعي إلى اقتناص غنيمة .. كما خططت أنت ، وكما حشدت قواتك ودباباتك وصواريخك عند الحدود السعودية بعد أن التهمت الكويت .

* * *

أخطاؤك الثلاثة في حقنا ، لا ننتظر منك اعتذارا عنها فلست الشخص الذي يعني ما يقوله ، ولسنا الشعب الذي يسهل خداعه ، يكفينا أنك أصبحت – اليوم – عدو البشرية رقم واحد في العالم ، يكفينا أن شعوب الدنيا كلها أيدت حكوماتها في إرسال قواتها لمحاصرتك وشل حركتك ، ويكفينا أيضا أن البشرية كلها تتمنى أن ترتكب خطأً من خطاياك المعروفة عنك حتى يكون هناك المبرر الذي تنفتح من أجله أبواب الجحيم في وجهك ، وتكون فيها نهايتك غير مأسوف عليها .. أو عليك !





« الفرسان » الثلاثة .. !(*)

لا علاقة بين الفرسان الثلاثة – في قصة الكاتب الفرنسي الشهير ألكسندر دوما – وبين فرسان العرب الثلاثة الذين أتحفوا أمتنا العربية بتحالفهم « غير المقدس » قبيل وأثناء وبعد الغزو الوحشي لدولة الكويت . فرسان فرنسا – في العصور الوسطى – كانوا تجسيداً للنبل والتضحية والفداء وإنكار الذات ، أما فرساننا العرب فهم يجسّدون – الآن – الغدر بكل طعناته ، ويؤكدون الانتهازية بأفظع صورها !

فرسان العرب الثلاثة – صدام حسين ، وجلالة الملك حسين ، وثالثهم الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات – فاقت شهرتهم وتضخمت مؤامراتهم ، وتعاظمت فضائحهم ، مما أبعدهم تماما عن نبل فرسان فرنسا كما قرأنا عنهم ، وكما شاهدناهم في أفلام سينمائية ومسلسلات تليفزيونية .

الفارق الأول : فرسان ألكسندر دوما كانوا يحملون جنسية واحدة – الفرنسية – أما فرساننا العرب فأولهم يحمل الجنسية العراقية ، وثانيهم يحمل الجنسية الأردنية ، وثالثهم بلا جنسية بعد أن أضاع قادة قومه بلدهم ، وباعوا قضيتها ، وشرّدوا شعبها في قارات الدنيا الخمس !

الفارق الثاني : فرسان العصور الوسطى وقفوا ضد بطش الأقوياء ، ومالوا إلى جانب المظلومين الضعفاء بينما فرسان نهاية القرن العشرين أيدوا بطش القوي بالضعيف ، وخططوا للإرهاب ، ونادوا بشريعة الغاب .

الفارق الثالث : فرسان النبل والفداء وإنكار الذات ، غامروا بأرواحهم إنقاذا

(*) جريدة أخبار اليوم بتاريخ 1 / 9 / 1990

لحياة شعبهم ، أما فرسان الغدر والانتهازية في بلادنا فإنهم غامروا بأرواح الملايين ، وخططوا لتدمير أمتنا العربية لا لشيء إلا تمسكا بعروشهم وجمهورياتهم وألقابهم وزعاماتهم !

والفارق الرابع : فرسان القصة الفرنسية الشهيرة كانوا يجيدون القتال بالسيف ، ولا يتقاتلون إلا ضد الخونة واللصوص المتآمرين ، أما فرسان الواقع العربي في زمنه الرديء فسلاحهم يتركز في ألسنتهم ، وفي براعة تلاعبهم بالألفاظ ، فيقولون ما لايؤمنون به ، وينادون بما لا يحققون !

سنوات طويلة وفرساننا الثلاثة يتكلمون ويعدون ويتوعدون . الغالبية منا صدقتهم في بادئ الأمر ، والأقلية وهبها الله نعمة الشفافية فكشفت حقيقتهم ، وتكشفت أمامها عوراتهم ، وتبدّلت الصورة الآن من النقيض ، إلى النقيض الأغلبية الساحقة تنبهت إلى خطئها واستردت ثقتها ممن خانوها ، والأقلية الضائعة ــ وتضم المرتزقة التي تنطق وتزأر وتكتب بقدر ما تتقاضاه ــ تتحدى الدين والمنطق وتؤيد العدوان ، وتشجع الإرهاب وتهلل لطعن الشقيق في الخلف !

يصيبنا الذهول مما نسمعه ــ ونقرؤه ــ بألسنة وأقلام هذه القلة الضائعة التي تركت القضية الأصلية ، غزو الكويت ، وتفرغت تماما للقضية الفرعية الخاصة بالوجود العسكري الأجنبي فوق الأرض العربية .

سمعناهم ينددون بهذا التواجد العسكري الأجنبي ! سمعناهم يشككون في وطنية كل من قال ــ أو كتب ــ مؤيدا لهذا التواجد ! فمن رأيهم أنه عودة للاحتلال والامبريالية إلى بلادنا بعد أن نجحت شعوبنا ــ منذ زمن طويل ــ في تطهير الأرض العربية من الغزاة والمحتلين ! ومن رأيهم ــ أيضا ــ أن الفارق كبير بين دخول القوات العراقية إلى الكويت والتواجد العسكري الأمريكي في السعودية ! فمن السهل ــ كما تزعم هذه الأقلية الضائعة ــ أن تحل الأزمة الطارئة بين العراق والكويت من خلال حوار عربي / عربي ينجح في تطويق الأزمة وإعطاء كل صاحب حق حقه ليعود الوفاق والسلام والتضامن إلى أمتنا العربية من المحيط إلى الخليج !

وما أسخف منطق وسذاجة ما سمعناه وما قرأناه ..

وما أسهل – في نفس الوقت – الرد على هذا السخف وتلك السذاجة ..

قوات عربية تغزو دولة عربية صغيرة ومسالمة ، وتقتل الآلاف من شعبها ، وتعلن عزل حكومتها الشرعية وقيام حكومة خفية بدلاً منها ، ثم تلغي هوية هذه الدولة وتجعل منها إحدى محافظات الجمهورية العراقية ! حدث هذا كله في أيام معدودات ! ليس هذا فحسب ، وإنما فوجئنا بالقوات العراقية تتقدم في اتجاه حدود السعودية !

أصيب العالم كله – والشعوب العربية على رأسه – بالذهول وبالصدمة ! فالذي لم يكن يخطر على بال أكثر المتشككين في التضامن العربي ، حدث ! والذي كان في عداد المستحيل ، تحقق أفظع منه ! وفوجئنا بصمت رهيب ، وعجيب من العديد من أنظمة الدول العربية ! ثم بدأنا نستمع إلى كلمات الوعظ والإرشاد التي تعوّد بعض حكامنا على النطق بها في تلك الأزمة التي تعرضت لها الأمة العربية ، مجرد كلمات في الهواء ! مجرد جعجعة فارغة تتغزل في القومية العربية ووحدة الصف العربي ! والخصوصية العربية المحرّم على الأجنبي التطفل عليها !

وكان « الفارس » المغوار – ياسر عرفات – أول من قطع هذا الصمت واستقل الطائرة التي وهبها له صدام حسين من أموال الشعب العراقي الكادح والمحروم وطار بها إلى بغداد فاتحا ذراعيه ليستقبل صدام في أحضانه ويتدنّى برأسه ليقبل صدره وكتفه وحتى آخر موضع يستطيع الارتفاع له أو الهبوط إليه !

كان الفارس ياسر عرفات أكثر سعادة من صدام حسين بهذا الانتصار الخرافي الذي تحقق للأمة العربية في الكويت !

ولم تمض أكثر من لحظات حتى كان « الفارس » العربي الثاني جلالة الملك حسين مع الفارس الأول لمتابعة (آخر تطورات الموقف في الشرق الأوسط) .. كما تعودنا سماعه في أعقاب كل لقاء يتم بين زعيمين عربيين منذ ضياع فلسطين سنة 1948 وحتى هذه اللحظة .

ساعات أخرى .. وتصلنا بعدها أنباء عن المظاهرات التي نظمت وسارت في شوارع بعض العواصم العربية تـزأر بحياة « الفارس الأول » – صدام حسين – وتهلل لصلابته وتناصر تحديه لأساطيل وجيوش الدنيا كلها !

كل هذا سمعته وعرفته الحكومة السعودية ، أذهلها ما حدث في الكويت .. وأذهلها أكثر هذا التخبط والتفتت ، والتخاذل من هذا الجانب العربي أو ذاك ! لقد تم احتلال دولة عربية بقوات عربية شقيقة و لم يفعل العرب شيئا أكثر من التنديد من جانب البعض والتأييد المستتر لهذا العدوان من جانب البعض الآخر .

كان السعوديون ينتظرون أن يهب الملوك والرؤساء لعقد مؤتمر قمة طارىء في نفس اليوم الذي بدأ فيه الزحف الوحشي العراقي لاكتساح ونهب وسرقة دولة عربية . كان السعوديون ينتظرون أن تتوحد كلمة كافة الأنظمة العربية وتندد بالعدوان العراقي وتوجه إلى صاحبه ومخططه إنذارا واضحا وصريحا وحاسما ، وكان السعوديون يتوقعون – أيضا – ألا يشذّ رئيس عربي واحد عن إجماع الشعوب العربية الرافضة للعدوان والنافرة من طعنة الشقيق للشقيق ... شيء من هذا كله لم يتحقق ، والأخطر من ذلك أن قوات البغي والعدوان العراقية واصلت دعم قواتها عند الحدود السعودية ووجهت منصات إطـلاق صواريخها السامة والحارقة في اتجاه معظم المدن والمراكز الحيوية في المملكة العربية السعودية !

ماذا كان في استطاعة حكومة دولـة – مثل السعودية أن تفعله لأمنها ، وحماية لشعبها التي تتحمل مسئولية الدفاع عن أرواحـه وأملاكـه ؟! هل كان المنتظر من الحكومة السعودية أن تنتظر حتى تتوحد كلمة الحكام العرب ، وهي التي لم تتوحد بالنسبة لأزمات ومواقـف قديمة وحديثة ؟! هل كان المتوقع من الحكومة السعودية أن تقنع بقواتها المحدودة وبأسلحتها الدفاعية على أمل نجاحها في وقف زحف التتار القادم بأوامر من فارس العرب الأول : صدام حسين ؟!

لقد أجمع كافة خبراء الحرب – العرب وغير العرب – على أن هولاكو العرب احتل الكويت في 7 ساعات ، وكان يستطيع أن يحتل السعودية في ثلاثة أيام ، فهل

تقف الحكومة السعودية في موقف المتفرج أمام هذا الخطر الذي يتربص بشعبها ويطمع في نهب ثروات البلد الذي أوكل إليه مسئولية حمايته والحفاظ عليه ؟!

لو حدث هذا لما رحم أحد الحكومة السعودية ، ولو أن صدام حسين فعل في السعودية ما فعله في الكويت ، لما استحقت الحكومة السعودية ثقة شعبها في قيادتها وفي حماية أمنه واستقراره .

وجدت الحكومة السعودية نفسها في موقف لا تحسد عليه ، قوات معادية تستعد للهجوم والانقضاض على بلدها وشعبها ، ومواقف الأنظمة العربية الأخرى تتناقض وتتباين وفق حسابات كل طرف منها ! خطر هائل يتهدد أمن وسلامة الشعب السعودي ، والحكام العرب يكتفون بإصدار البيانات وإطلاق الشعارات والتغني بكلمات الوحدة العربية والتضامن العربي ، والتنديد بإسرائيل وكأنها هي التي سحقت دولة الكويت وتستعد للهجوم على السعودية ثم الإمارات العربية مرورا على قطر والبحرين !!

اختارت الحكومة السعودية الطريق الوحيد الذي لا يرفضه عربي واحد . طلبت من كافة الدول العربية أن تقف إلى جانبها عسكريا لمساعدتها في مواجهة الخطر القادم من عاصمة الرشيد . ثلاث دول عربية فقط هي التي بادرت بتلبية الدعوة المشروعة وأرسلت قواتها للمساهمة مع القوات السعودية في الدفاع عن بلد عربي شقيق ، أما باقي الأنظمة العربية الأخرى فإنها رفضت تقديم هذه المساندة وحذرت من تلبية دعوة السعودية حتى لا يزداد – كما زعموا – تعقيد الأزمة الطارئة بين العراق والسعودية !

ليس هذا فقط ، بل إن بعض هؤلاء القادة – الملك حسين وياسر عرفات ورئيس اليمن ورئيس تونس – أكدوا أنهم يؤمنون بعروبة صدام حسين ويثقون أكثر في أنه لن يهاجم السعودية ! تماما كما كان يقسم الكذاب صدام حسين عندما أكد للعالم كله أنه لن يهاجم الكويت ، ثم فوجئنا به لا يكتفي بغزو الكويت وإنما يريد أن يلغي هويتها ويمحو اسمها من فوق خريطة الشرق الأوسط ! .

ومع ترحيب السعودية وامتنانها لموقف مصر وسوريا والمغرب ، إلا أن الدفاع عن السعودية يتطلب أكثر من هذه القوات الرمزية التي نقلت وحشدت وانتشرت عند الحدود السعودية ، فصدام لديه من القوات ومن الأسلحة المحرّمة وغير المحرّمة ما يمكنه من اجتياح هذه القوات الدفاعية التي لاتقارن بالنسبة للقوة الهجومية الكبيرة التي حشدها لضرب السعودية والتي لولا أموالها لما استطاع ديكتاتور العراق أن يمتلك تلك الأسلحة وهذا العتاد العسكري الكبير !

ومرة ثانية اتخذت الحكومة السعودية القرار السليم الذي تحتمه عليها المسئولية الكبيرة التي تتحملها في الحفاظ على أمن وسلامة شعبها ، حكومة تتوقع هجوما من تتار صدام حسين يجب عليها أن تطرق باب كل من يوافق على مساعدتها ومساندتها في حماية أرضها وشعبها ، بصرف النظر عن هويته أو جنسيته وهي – السعودية – التي لم تجد من كل الأنظمة العربية غير ثلاثة فقط – مصر وسوريا والمغرب – وافق حكامها على مساعدتها والوقوف إلى جانبها ..

وجاءت القوات الأجنبية – وعلى رأسها قوات أمريكية – للدفاع عن السعودية وإجبار الغازي العراقي على الانسحاب غير المشروط من دولة الكويت من خلال المقاطعة الاقتصادية للعراق والحصار البحري المفروض حوله لقطع صادراته ووارداته وبقرار إجماعي من مجلس الأمن في مقابل صوتين امتنعا عن التصويت ، أحدهما صوت مندوب اليمن « السعيد » .. للأسف الشديد !

فرسان العرب الثلاثة ندّدوا بالوجود العسكري الأجنبي في السعودية وتجاهلوا في نفس الوقت غزو وسحق دولة عربية من جانب قوات الفارس الأول وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها حتى هذه اللحظة ضد السعودية التي طلبت مساندة دول العالم كله ، وضد مصر وسوريا والمغرب التي التزمت بميثاق الجامعة العربية ووقفت إلى جانب الحق وضد الباطل .

كان المطلوب من السعودية أن تقف ساكنة وساكتة أمام الخطر التتاري العراقي الزاحف عليها ؟! كان المطلوب من الحكومة السعودية أن تظل مكتوفة الأيدي حتى

تتاح الفرصة لديكتاتور العراق ليغزو السعودية ، ويلغي هويتها ويجعل منها المحافظة العشرين في الإمبراطورية التي يحلم بقيامها وبزعامتها ؟! كان المنتظر من ملك السعودية أن يركب طائرته ويترك بلده وشعبه فريسة للص بغداد ويضيف إلى ألقابه صفة لص السعودية بعد أن انتزع – من قبل – صفة لص الكويت ؟! أو كان المتوقع من حكومة مسئولة عن أمن شعبها أن ترفض الحماية الرادعة للهجوم العراقي الزاحف ، لا لشيء سوى ألا يغضب الملك حسين أو يشجب ياسر عرفات ؟!

من المؤسف – حقيقة – أن نسمع ونقرأ ، في هذه الأيام من يتباكى على السيادة العربية التي تبددت – كما يقولون – لمجرد أن قوات أمريكية وإنجليزية وفرنسية جاءت إلى منطقتنا وبدعوة من الدولة العربية المهددة بالغزو ، وطبقا لاتفاق مكتوب يحدد لهذه القوات دورها ومناطق انتشارها وتوقيت انسحابها !

لماذا هذا الخوف من الوجود العسكري الأجنبي في دولة عربية تحرص كل الحرص على إبعاد الغزو العراقي عنها بكل ما تملكه من قوة ، وبكل المساعدة العربية – وغير العربية – التي تستطيع جمعها وحشدها .

لماذا هذا الحرص المشبوه على مساندة ديكتاتور العراق ولص الكويت في رفضه للقوات العربية والأجنبية مادام الهدف الأوحد من وجود هذه القوات هو حماية السعودية وكرد فعل للتخطيط الإجرامي الذي أعده صدام حسين لغزو هذه الدولة الشقيقة ، بعد فرض سيطرته وإرهابه على الكويت المنكوبة ؟!

ولماذا – أيضا – تلك الجعجعة الفارغة عن المخطط الصهيوني الأمريكي لضرب الأمة العربية وفرض الاحتلال عليها ؟! إن صدام حسين هو الذي غزا واحتل الكويت وليس إسرائيل ولا الولايات المتحدة الأمريكية ! وديكتاتور العراق هو نفسه الذي حشد قواته عند الحدود السعودية و لم نسمع عن قوات إسرائيلية تم نقلها بحراً أو جواً أو براً في اتجاه المملكة العربية السعودية !

والطريف إلى حد البكاء أن هؤلاء الذين ينافقون ديكتاتور العراق ويندددون

بالوجود العسكري الأجنبي بزعم أنه يحقق المخطط الصهيوني الأمريكي ، نسوا – أو لعلهم يتناسون – أن منطقهم هذا يشكل ضربة قاضية لزعيمهم ومذل كرامتهم ومشتري ذممهم !. فصدام حسين هو الذي فجر هذه الأزمة ، وهو المخطط لها من الألف إلى الياء ، ولولا غزوه للكويت ، ولولا تهديده للسعودية ، لما أصدر مجلس الأمن قراراته المتعاقبة ، ولما أبحرت أساطيل الدنيا إلى منطقة البحر المتوسط والخليج والمحيط الهندي ، ولما اضطرت السعودية أيضا إلى طلب قوات دفاعية أمريكية فوق أرضها !

الحديث – إذن – عن مخطط إسرائيلي أمريكي لضرب الأمة العربية واحتلال مناطق ثرواتها لن يكون مقنعا لأحد ، إلا إذا اعترفنا – بداهة – بأن ديكتاتور القومية العربية القابع في بغداد هو الشريك الثالث في هذا المخطط الذي يتجعجعون به ليل نهار في إذاعاتهم وأبواقهم وصحفهم !

أعداء صدام حسين – وأنا من بينهم – قلنا الكثير عن حماقته ووحشيته وعدوانه وكراهيته للبشر جميعا ، ولكننا لم نصفه – في الوقت نفسه – بالعمالة لإسرائيل أو الولايات المتحدة الأمريكية ، أصدقاء وأنصار صدام حسين هم الذين اتهموا زعيمهم بالعمالة لإسرائيل وأمريكا عندما كشفوا أسرار هذا المخطط الجهنمي الذي يتحدثون عنه ويتخوفون منه .. بدليل أنه – أي زعيم القومية العربية – هو الذي أعطى الضوء الأخضر للإسرائيليين والأمريكان لتنفيذ ضربتهم التي يتحدثون عنها ضد الأمة العربية .

هل هناك تفسير آخر غير هذا التفسير ؟!

لا أظن .

السـلام .. الذي يحلم به ![*]

في خطابه الأخير الذي وجهه عبر الأثير قال الرئيس العراقي صدام حسين : (إذا ما عرفنا أن عدد المتطوعين العراقيين الذين جاءوا ليقدّموا أنفسهم فداء المبادئ والوطن يزيد على خمسة ملايين عراقي بالإضافة إلى المليون مقاتل في القوات المسلحة ، فإن هذا العدد حتى يهاجم من قبل الغزاة فلا بد أن يجمع مقابله ضعف عدده وعند ذلك يقتضي أن يجمع الغزاة 12 مليون مقاتل كحد أدنى) !

وواصل « الخبير » العسكري العالمي ـ الذي لم ينتظم في طابور عسكري واحد ، ولم يلتحق بأي معهد عسكري لإعداد الجنود وضباط الصف على الرغم من أنه منح نفسه أعلى رتبة عسكرية ـ حديثه فأكد قائلا :

(وإنكم تعرفون أيها الأخوة أن القوات الجوية لا تستطيع أن تحسم معركة في البر مهما بلغت وسائلها من تطور ، فهذا هو قانون كل الحروب التقليدية والتحررية . سيندم المتورطون وينهزم جمعهم شر هزيمة إن هم أقدموا على المنازلة العسكرية ، وستكتسح آثار أقدامهم من المنطقة كلها وستعود القدس بعد ذلك حرة عربية إلى حضن الإيمان والمؤمنين ، وستتحرر فلسطين من الغزاة الصهاينة ، وستطلع على العرب وأمة الإسلام شمس لن تغيب ، وسيكونون في حماية الله بعد أن يعودوا إليه) !

وما أخطر ما قاله مبعوث الإسلام لتحرير المسلمين في قارات الدنيا الخمس ! فالرجل يتباهى بزعامته لأكبر وأقوى جيش في العالم ! ليس هذا فقط بل إنه ينذر القوات المتعددة الجنسيات والمنتشرة برا وجوا وبحرا في المنطقة بأنها ستلقى شر هزيمة

(*) جريدة أخبار اليوم بتاريخ 8 / 9 /1990

لو أنها فكّرت – مجرّد التفكير – في مهاجمة العراق ، والأهم من هذا أن الخبير العسكري العالمي لن يكتفي بهزيمة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ومصر والمغرب وسوريا واستراليا واليونان وإيطاليا وبلجيكا وغيرها ، وإنما يبشر بتحرير القدس وتحرير كل الأراضي الفلسطينية من الغزاة الصهاينة حتى تسطع شمس الحرية على العرب والمسلمين بعد غياب طويل !

كلام جميل ! وقوة جبّارة يجب أن نصفق لها ! وأحلام عربية تجدّدت بعد أن تبدّدت طوال السنوات العديدة الماضية ! ولكن المفاجأة الكبرى التي صدمنا بها صدام حسين في خطابه الخطير جاءت عندما اعترف بأن أطفال شعب العراق الشقيق يعانون من نقص الحليب بعد أن أحكم الحصار الاقتصادي قبضته على العراق ومنع وصول لبن الأطفال إلى الأفواه الصغيرة والباكية من الجوع .

كيف سمح القائد المغوار بهذا الحصار ؟!

كيف سمح قائد أكبر جيش في العالم – 6 ملايين مقاتل – لشراذم ومرتزقة القوات المتعددة الجنسيات – والتي يستطيع أن يبيدها في عدة ساعات – بأن تمنع وصول الحليب إلى أطفال شعبه الجوعى ؟! وكيف يقبل الزعيم العربي والإسلامي الذي يخطط لانتزاع القدس وباقي الأراضي الفلسطينية من الغزاة الصهاينة بعزل بلاده اقتصاديا ومنع صادراتها وتحريم وارداتها من قبل قوات بحرية وجوية وبرية أجنبية يمكنه تدميرها بمجرد الأمر بزحف الستة ملايين مقاتل عليها وأكل جنودها وضباطها وقادتها أكلاً وفتكًا وتمزيقًا ؟!

قائد لا نظير لقدراته وقواته ، وعلى الرغم من ذلك وقف صامتًا وعاجزاً أمام صرخات أطفال شعبه المحروم من الحليب . رئيس دولة تتباهى بالستة ملايين مقاتل ، وعلى الرغم من ذلك سمعناه يشكو من الوجود العسكري المتعدد الجنسيات وكيف نجح هذا التواجد – المحكوم عليه بالهزيمة كما يزعم – بإحكام الحصار الاقتصادي حوله مما يحرم شعبه أكثر مما محروم ، وزعيم الأمة الإسلامية الذي يستعد لتحرير فلسطين من الصهاينة – وهو الحلم الذي تبدّد منذ ضياعها في سنة 1948 – نراه ، في

الوقت نفسه ، يكاد يذوب عطفًا وحنانًا على شعبه الذي تتهدده المجاعة بين لحظة وأخرى !

القوة الكبرى القادرة على وقف هذا الحصار ، لا يفتقر إليها صاحب أكبر جيش في العالم .. على حد زعمه . والجيش القادر على إبادة جيوش العالم كله – كما يؤكد قائده – ما يزال محلك سر يهدد ولا ينفذ ، يتوعد ولا يتحرك ، ويستعرض عضلاته من خلال بيانات وصور منشورة ومرئية ومسموعة .

تناقض ما بعده تناقض !

حديث عن قوة هائلة ومدمرة ، وبكاء على الجوعى والمحرومين والشعب المحاصر من كل جانب ، وهذا الموقف المتخاذل من جانب محرّر الإسلام من الخارجين على الإسلام – كما يصفنا جميعا – يفقد صدام حسين كل مصداقيته ، وكل تباهيه بقدراته وقواته المدعمة بستة ملايين مقاتل ، فالرجل الذي يملك – حقيقة – ما يتباهى به ، لا يقف ساكنا ومرتعدا وجبانا أمام قوات يهددها وينذرها بالدمار الشامل والسريع،والقائد المغوار الحريص – فعلا – على شعبه ورفاهيته وقوته ، لا يتردد في ضرب كل من يحاول المساس باقتصاد بلده ، وكل من يحاول أن يحرم شعبه من الطعام ، وكل من يحاول – أيضا – أن يحرم شعبه من تنمية بلده واستغلال ثرواته .

ماذا ينتظر الرئيس – صاحب الستة ملايين مقاتل – ليصدر قراره بضرب وإبادة القوات المتعددة الجنسيات والتي تحاصر بلاده من كل جانب ؟ ماذا يمنع صاحب أكبر جيش في العالم من إطلاق صواريخه لإغراق كل حاملات الطائرات الأمريكية وما يحرسها من مدمرات وكاسحات ألغام وفرقاطات وزوارق وحاملات جنود ومستشفيات عائمة تمتلىء بها كل بحارنا القريبة منا والبعيدة عنا ؟ وماذا يؤخر قرار الرئيس العراقي الذي يصدره لمئات من قاذفاته ومقاتلاته وللآلاف من دباباته لشن الحرب الشاملة ضد هذه الترسانة المسلحة المتعددة الجنسيات والمنتشرة على طول منطقة الخليج وحتى المملكة العربية السعودية ؟

أسئلة قد يراها الرئيس صدام حسين ساذجة ، ولكنني أعتقد أنها تتردد على ألسنة كل من استمع إلى الخطاب الأخير الذي بثته أبواق الرئيس العراقي منذ يومين ، وإذا جاز لمحلل متواضع مثلي أن يعلق على هذا التناقض السافر بين ما يقوله صدام حسين ، علنا ، وما يؤمن به سراً ، فإنني أعتقد بكل ثقة أن الرئيس صدام حسين هو آخر من يتمنى أن تنشب الحرب في منطقة الشرق الأوسط . فهو يؤمن – على قدر تصوري – أن نشوب الحرب يعني هزيمته هزيمة لم يسمع التاريخ العسكري عنها من قبل ، ويعني أيضا أنه سيكون أول من يعاني منها شخصياً . فالهزيمة تعني ضياع أحلامه في زعامة الأمة العربية ! تعني تدمير جيشه الكبير الذي حرم شعبه من أبسط حقوقه للصرف على تسليح هذا الجيش الكبير عددًا وعتادًا وتعني – أيضا – القضاء عليه جسديا وبنفس أسلوب السحل المعروف عن العراقيين ، والذي سبق أن مارسوه مع كل الطغاة وكل الخونة والجهلاء والدمويين من عينة الرئيس العراقي الحالي صدام حسين !

فالرئيس الذي يزعم أنه يملك القوة القادرة على إلحاق الهزيمة بكل جيوش العالم ، لا يتباكى على حرمان شعبه من الطعام ، ولايتذلل في مقابل الحصول على الحليب الذي حرم أطفال شعبه منه ! وقائد الستة ملايين مقاتل القادرة – كما يتوهم – على إلحاق شر الهزيمة بشراذم ومرتزقة القوات الأجنبية الكافرة والعميلة ، لا يرسل مبعوثيه وحاملي رسائله إلى عواصم الشرق والغرب والشمال والجنوب طالبا من حكامها الوقوف إلى جانب معاناة شعبه ، وطالبا منها أن تبذل كل مافي وسعها من أجل إقناع القوات المتعددة الجنسيات بعدم اكتساح العراق عسكريا وضرورة البحث عن حل سلمي تفاوضي لإنهاء الأزمة التي كان الرئيس العراقي المخطط الأول لاندلاعها .

أما لماذا تراجع ، وتقاعس ، وجبن الرئيس العراقي بهذا الشكل الانتهازي ، فهناك ما يبرره وما يوضحه ويكشف أبعاده .

فصدام حسين استعرض قواته وقدراته عندما نجح في غزو الكويت وإعلان ضمها لتكون المحافظة التاسعة عشرة للجمهورية العراقية لا لشيء إلا إرهابا لكل الدول

العربية القريبة منه والبعيدة عنه ، والتباهي بعدد جنوده البالغ نحو 6 ملايين مقاتل محترفين وهواة ، هدفه الأول والأخير إقناع التواجد العسكري المتعدد الجنسيات بأن الحرب القادمة لن تكون نزهة ، وأن النصر فيها لن يكون سهلا على الجانبين المتصارعين ، فصدام الذي لا تهتز له شعرة واحدة في شعره المصبوغ بأحلك الألوان أمام قتل عشرات الآلاف من مواطنيه في معركة واحدة ، يعلم أن الدول المتحضرة التي أرسلت قواتها لمحاصرته تحسب حساب حياة كل مقاتل منها قد يلقى حتفه أو يفقد حياته في الحرب . فاحترام النفس البشرية الذي تقدسه تلك المجتمعات الحضارية لا وزن ولا احترام له لدى الرئيس الدموي الذي يحكم العراق بالحديد والدم والنار ! فصدام حسين يستطيع أن يضحي بحياة الستة ملايين من الجنود المحترفين والمتطوعين ، في حين أن رؤساء الدول المتحضرة الأخرى يترددون أمام فقد حياة جندي واحد من جنودهم في معركة اضطروا اضطرارًا إليها .

هذه الحقيقة هي التي دفعت الرئيس العراقي إلى استعراض عضلاته ، وتأكيد جنونه ، والتباهي بدمويته ، لا لشيء إلا إرهابا لخصومه ، وإقناعا للرأي العام في جميع الدول التي تحترم آدمية وحياة كل مواطن من مواطنيها ليضغط على حكوماته حتى لا تبدأ بإشعال حرب معروفة نتائجها وضحاياها مقدما .

كل ما يطمع فيه الرئيس العراقي صدام حسين – من خلال اتصالاته بقادة الشرق والغرب والشمال والجنوب – هو إقناع العالم كله بأنه لا يريد الحرب ، ولا يريد أن يقتل جنديا واحدا أمريكيا أو إسرائيليا أو بريطانيًا أو استراليًا ! تماما كما أنه أصدر أوامره إلى المرتزقة من حوله – ياسر عرفات وحسين بن طلال والبشير وزين العابدين وعلي بن صالح – بالسعي في طول البلاد وعرضها من أجل الدعوة إلى حل الأزمة حلاً عربيا وبعيداً عن التدخل الأجنبي !

فهدف الرئيس الدموي هو أن تتحوّل الأزمة من مواجهة عسكرية إلى تبادل الأفكار والمذكَرات حول مائدة المفاوضات . فلو وافقت كافة الأطراف المعنية على نبذ الحرب والدخول في مباحثات سلمية وتفاوضية ، فإن الرئيس الدموي يكون

قد حقق أكثر من هدف :

1 ـ إقناع الشعوب العربية ـ التي لا حول لها ولا قوة ـ بأن صدام حسين هو أكبر وأقوى رئيس في المنطقة والوحيد القادر على إخافة العالم كله وإجباره على التفاوض معه من أجل استرداد كافة الحقوق العربية الضائعة والتي عجز عن تحقيقها كافة الزعماء العرب من عينة جمال عبد الناصر والأكبر منه والأصغر .

2 ـ إجبار دول العالم الكبرى على الجلوس أمامه حول مائدة المفاوضات بعد أن أثبت لقادتها بأنه لم يأت من موقف ضعف وإنما جاء ليواجههم من مركز قوة ، بدليل أن أكبر وأقوى دولة في العالم ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ حشدت كل قواتها البحرية والجوية والبرية واستدعت عشرات الآلاف من جنود الاحتياط وكأنها في مواجهة حرب لا تضمن خسائرها ولانتائجها ، ولم تستطع أن توجه ضربة قاضية ضد قوات دولة من دول العالم الثالث المتخلف اقتصاديا وديمقراطياً ـ العراق ـ وقبلت بالحل السلمي عن طريق ما تقرره مائدة المفاوضات ..

ويا ليت هدف الرئيس الدموي كان مقصوراً على تحقيق هذين الهدفين .. !

فالرجل القابع والمرتعش والمقيم تحت الأرض في مخبئه ببغداد يعلم جيداً أن الحل السلمي هو الطريق الأوحد أمامه لهضم الكويت التي ابتلعها في جوفه وتحتاج معدته إلى فترة طويلة لامتصاصها في دمه .

وكلنا نعلم ـ وليس صدام حسين وحده ـ أن الحل السلمي الذي ينادي به الرئيس العراقي والمرتزقة من حوله ـ ملوكا ورؤساء وزعماء منظمات وهمية وأصحاب أقلام ـ يستطيع وحده أن يبدد الحق ويرسخ الباطل ، عن طريق الإبقاء على الوضع الراهن إلى أجل غير مسمى وعلى المتضرر أن يندب حظه ويتباكى عليه بصوت لا يسمعه أحد غيره !

فالاتفاق على الحل السلمي يعني ـ أولاً وأخيراً ـ إنقاذ صدام حسين من السحل الذي كان شعبه المحروم والمظلوم يخطط ويستعد له عقابا له على كل الجرائم

التي ارتكبها في حقه . فالرئيس العراقي يعلم جيداً أن مفاوضات السلام يمكن أن تبدد الخطر العسكري الذي يتربص بعرش الطاووس الذي يتربع فوقه من جهة ، وأن يرجىء التسوية المطلوبة إلى ما بعد نهاية القرن الواحد والعشرين على أبسط تقدير .

وقتها يكون صدام حسين نفسه قد تحلل جسده في الطين والتراب ولا يعنيه ـ بالطبع ـ أن تعود للكويت شرعيتها ولا أن يلعنه الفلسطينيون لأنه لم يستطع أن يعيد لهم أرضهم التي اغتصبها الصهاينة اليهود لأكثر من قرن كامل .

الحل السلمي الذي يحلم به صدام حسين والمرتزقة من حوله لن يتحقق إلا بعد عشرات السنين يحتاجها بحث ومناقشة كيفية التوصل إلى حل للعديد من القضايا العاجلة التي تجمعت كلها في وقت واحد ولايمكن حل مشكلة واحدة منها إلا من خلال حل كافة المشاكل الأخرى معها .

وهذه عينة من تلك القضايا المنتظر نظرها وحسمها حتى تنتهي الأزمة التي فجرها الرئيس الدموي .

قضية الانسحاب من الكويت :

العالم كله يطالب العراق بالانسحاب غير المشروط من الكويت حتى يمكن الاستماع إلى مطالب وحقوق العراق ، فلا حقوق للغازي والمعتدي إلا إذا انسحب من الأرض التي اعتدى عليها ، والتي حاول أن يمحو هويتها ويشتت شعبها . ولا بأس من أن يلوِّح رئيس العراق الدموي بأن حل هذه المشكلة يمكن أن يتم من خلال المفاوضات بين كافة الأطراف المعنية وتحت مظلة الأمم المتحدة اعتمادًا من جانب هذا الدموي على أن قبول هذا الاقتراح يعني تثبيت سيطرة العراق على الكويت ونهب ثروتها وإذلال شعبها لسنوات طويلة قادمة ، فلدى المفاوض العراقي من الخرائط ومن كتب التاريخ ما يؤكد وجهة نظره في أن الكويت كانت ـ منذ آلاف السنين ـ مجرد ضاحية من ضواحي العراق ، كما أن لدى المفاوض الكويتي من الخرائط ومن

كتب التاريخ ما يؤكد عكس ذلك ، ويصر كل جانب من الجانبين على وجهة نظره مما يتطلب تشكيل لجان تنبثق عنها لجان أخرى مصغرة وأكثر خبرة تعكف على البحث والتحقيق والتدقيق لسنوات وسنوات قادمة قبل أن تتقدم برأيها الذي لابد أن يرفضه طرف ويوافق عليه الطرف الآخر مما يستدعي سنوات أخرى من البحث والتحقيق والتدقيق وعلى أمل إقناع الرافض بالتنازل عن رفضه .

قضية المستقبل الجديد لدولة الكويت :

العالم كله يرفض ضم الكويت إلى العراق ويطالب بإعادة الشرعية ممثلة في حكومة الأمير جابر الصباح إلى تلك الدولة ، المفاوض العراقي – وحده – الذي سيرفع صوته رافضاً تلك الشرعية ومصرًا على عدم عودة آل الصباح – الذي قال فيهم مالم يقله مالك في الخمر – إلى سابق عهدهم في الكويت ، ومن أجل حل هذه المشكلة لابد أن يطرح العديد من البدائل التي يحتاج كل بديل منها لسنوات عديدة من البحث والفحص والتمحيص حتى تتفق الآراء كلها – في النهاية – على من يحكم دولة الكويت التي ابتلعها العراق واستنزف خيراتها وثرواتها خلال تلك الفترة الطويلة من البحث والدراسة !

قضية الرهائن الأجانب الذين
يحتمي نظام صدام بهم :

لن يفرج صدام حسين عن الرهائن الاجانب إلا إذا صدر عن مائدة المفاوضات ما يضمن للعراق عدم شن حرب ضده من جانب القوات المتعددة الجنسيات والتي تحاصره من كل جانب ! فالرهائن العزل هم السلاح المدمر والشامل الذي يتحصن خلفه من يزعم قيادته لأكثر من ستة ملايين مقاتل ، وزعماء هذه القوات المتعددة الجنسيات يرفضون – بالطبع – تقديم هذه الضمانات ، وبالتالي فإن مشكلة الرهائن ستحتاج هي الأخرى إلى مزيد من جلسات المفاوضات التي قد تمتد إلى أسابيع وشهور ، وربما تمتد إلى سنوات !

قضية الحصار الاقتصادي حول بغداد :

مجلس الأمن – باسم الأمم المتحدة – قرر فرض هذا الحصار ، وبالتالي فهذا المجلس هو وحده صاحب الحق في إلغاء قراره ورفع الحصار عن العراق ، ومجلس الأمن لن يسحب قراره إلا إذا التزم العراق بتنفيذ القرارات السابقة وأولها الانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات العراقية من الكويت ، والمفاوض العراقي لن يقبل الانسحاب إلا من خلال التوصل إلى تسوية شاملة للعديد من القضايا والمشاكل الأخرى ، وربما يتقدم المفاوض العراقي فيطلب رفع الحظر عن المواد الغذائية والطبية حتى لا يجوع الشعب العراقي ، ولكن من المؤكد أن الأطراف المعنية الأخرى سترفض هذا الطلب ما لم يخضع العراق لقرارات مجلس الأمن ، وفي هذه الحالة سيطلب المفاوض العراقي مهلة جديدة – شهورًا أو سنوات – بهدف التوفيق بين هذا المطلب وذاك ..

قضية التواجد العسكري الاجنبي في المنطقة :

القوات الأجنبية المتعددة الجنسيات جاءت إلى المنطقة تلبية لطلب من الدول العربية التي يهددها نظام صدام حسين من جهة ، ولحماية إمداد دول العالم كله باحتياجاته من النفط العربي ، من جهة أخرى المفاوض العراقي سيطلب – بالقطع – انسحاب هذه القوات مقابل انسحاب قواته من الكويت ، في حالة قبوله لهذا الانسحاب أولا ، والقوات الأجنبية – أو بعضها على الأقل – لن تقبل بالانسحاب الكلي حتى لا تواجه – مستقبلا – بعدوان جديد يهدد مصالحها ويهدد أكثر مصادر طاقتها وبالتالي ستصر تلك القوات المتعددة الجنسيات على أن يكون لها وجود دائم في المنطقة شئنا أم لم نشأ .

ليس هذا فقط بل إن كل دول الخليج التي تعلم جيدا أن مطامع الرئيس الدموي العراقي فيها لم ولن تتوقف ، سوف تطالب الأمم المتحدة بأن ترسل قواتها لتقيم إقامة دائمة فوق أرضها ولحمايتها من جنون صدام حسين الذي قد يهدأ ويجبن

لفترة ولكن من المؤكد أنه سيتصاعد في فترة أخرى تهدأ فيها الأعصاب وترتخي معها عضلات قوى الردع العالمي . وقتها لن يعترض عاقل واحد على طلب دول الخليج حماية لشعوبها من جنون هذا الدموي القابع تحت الأرض في بغداد . ووقتها ـ أيضا ـ ستحتاج مائدة المفاوضات إلى سنوات عديدة قادمة لتحقيق الأمن والأمان لمنطقة الخليج لا يعرف أحد ماذا سيحدث خلالها ؟

قضية الاتفاق على حدود دولية ثابتة :

العراق سيطالب بغنائم حدودية مقابل الانسحاب من الكويت فهو يطمع في جزيرتين كويتيتين يقول إنه في حاجة استراتيجية لهما ، وقد يقبل المفاوض الكويتي التنازل عن هاتين الجزيرتين وقد لا يقبل ، وفي الحالتين فإن التنازل أو عدم التنازل سيحتاج كلاهما إلى فحص وتمحيص دقيقين وطويلين ...

قضية الديون العراقية :

قبل أن تغزو العراق الكويت كانت الديون العراقية ـ نتيجة حربها الدامية ضد إيران والتي انتهت باستسلام كامل ودائم من جانب صدام حسين ـ تقترب من السبعين مليار دولار . وحول مائدة السلام التي يحلم صدام حسين بعقدها فإن المفاوض العراقي سيطالب العالم كله من جهة ، والدول المعنية من جهة أخرى ، بتسديد هذه الديون أو بإعفائه منها ، وهذا المطلب الانتهازي الاستبدادي لن يجد من يسمعه أو من يوافق عليه إلا إذا تدنّى مندوب العراق وهبط ليبوس القدم ويبدي ندمه على جنون حاكمه ودموية نظامه ويتعهد بكل العهود ويقسم بأغلظ الايمان على عدم تكرار غلطته في حق العرب .

قضية أسلحة الدمار الشامل العراقية :

المفاوضون العرب وغير العرب ـ حول مائدة مباحثات السلام ـ لن يتركوا فرصة جبن الرئيس الدموي وصرخاته المحمومة إلا انتهزوها لإذلاله وإفقاده السلاح

الذي استنزف في سبيل تحقيقه دماء وثروات شعبه ، فلا يعقل أن تتم تسوية سلمية في المنطقة إلا بعد تدمير الصواريخ السامة والخارقة التي يتباهى بها صدام حسين ويهدد بها شعوب الأمة الإسلامية من حوله ، ولا أغالي إذا قلت إن التخلص من هذا السلاح في يد مجنون بغداد سيكون البند الأكثر إصرارا وإلحاحا من جانب كل الجالسين حول مائدة المفاوضات من عرب وغير عرب .

قضية التسوية الشاملة لكل قضايا المنطقة :

مباحثات مائدة المفاوضات لا يمكن أن تكون مقصورة على النزاع بين العراق والكويت والسعودية فقط فمن الضروري أن ينتهز العرب هذه الفرصة ويطالبوا بحل مشكلة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من جهة ، وحل قضية لبنان من جهة أخرى ، وإذا كان العالم قد عجز عن حل مشكلة فلسطين طوال الأربعين سنة الماضية فهل من المنتظر أن تحل هذه المشكلة خلال شهر أو سنة أو حتى عشر سنوات ؟!

لا أعتقد ولا أتصور ولا حتى أسمح لنفسي بأن أحلم وأتوهم فللأسف الشديد فإن هذه القضية – فلسطين – ماتت الآن وشبعت موتا . بعد أن قتلها قادة الفلسطينيين ، وعلى رأسهم ياسر عرفات ، بعد أن باعوا شعبهم واستعذبوا مذاق امتصاص دمائه ، ولكن حقيقة أيضا أن موقف الفلسطينيين بالنسبة لتأييدهم لاحتلال دولة لأراضي دولة أخرى قد أفقدهم قضيتهم وكل صلاحياتهم وأظهر شعبهم أمام العرب أولا وأمام شعوب العالم كله ثانيا في صورة الطابور الخامس الذي لايؤمن جانبه ولابد من طرده بعيدا حتى نسلم من غدره وخداعه وانتهازيته .

ومن هنا أقول إن قضية فلسطين حتى لو وجد مدافع عنها أمام مفاوضات السلام المنتظرة فإن حديثه لن يجد أذنا واحدة صاغية ولن يجد مفاوضا واحدا يصدق كلماته أو يتجاوب مع دموعه وآهاته ، فلا الفلسطينيون يريدون العودة إلى أراضيهم التي باعوها إلى اليهود ولا القادة الفلسطينيون يطمعون في استرداد تلك الأرض وهم الذين زحفوا حتى أقدام ديكتاتور بغداد يقبلونها ويهللون لنصره على الشعب الكويتي

الذي لولاه لما أتخمت أرصدة ياسر عرفات والعصابة من حوله بآلاف الملايين في بنوك قارات الدنيا الخمس !

الرئيس العراقي الدموي لا تخفى عنه هذه القضايا كلها - وغيرها - التي لابد أن تطرح أمام مائدة المفاوضات السلمية التي يحلم ويدعو إلى عقدها ، فهو يعلم جيدا أن قبول العالم للحل السلمي يعني إنقاذه شخصيا من هول السحل عبر الشوارع الذي ينتظره ، كما أن المباحثات التي عجزت عن حل مشكلة واحدة - فلسطين - لأكثر من أربعين سنة لن تستطيع أن تحل هذه القضايا كلها قبل نهاية القرن الواحد والعشرين القادم ! وهذا وحده يكفيه ولا يطمع في أكثر منه ! المهم بالنسبة له فقط أن تتاح له الفرصة ليمضي السنوات الباقية من عمره ويسمع خلالها المرتزقة من حوله يهللون له ويباركون غزوه وعدوانه وينادون به زعيما للأمة العربية ومنقذاً للشعوب الإسلامية ، ترتفع فيها تماثيله في العراق وفي الكويت التي ابتلعها ويحاول الآن هضمها ، وفي مقار منظمة التحرير الفلسطينية وفي قصر بسمان في عمان ، وفي الميادين الرئيسية في الخرطوم وصنعاء !



بأموالهم .. يخطط لغزو بلادهم !(*)

25 ألف مليون دولار أخذها الرئيس العراقي صدام حسين من دول الخليج وخصصها للصرف على بند واحد – في قائمة طموحاته – وهو بند تسليح جيشه بكل الأسلحة التقليدية ، والمتطورة ، والمحرمة ! الرقم مخيف ، والأسلحة هائلة ، واستنزاف أموال شعوب الخليج لم يتوقف لسنوات عديدة ماضية ، وعندما حقق الرئيس العراقي القوة التي خططها والجيش الذي يتباهى به ، فوجىء أصحاب رأس المال – شعوب الخليج – بأن هذه القوة وتلك القوات تجمعت من أجل هدف واحد هو : ضربها ، وغزو بلادها ، ونهب ثرواتها !

وليس صحيحا أن خطر الحرب في الخليج قد تباعد ، وأن كل الأطراف تجهد نفسها وتركز اتصالاتها من أجل التوصل إلى تسوية سلمية تنقذ المنطقة – والعالم كله معها – من ويلات تلك الحرب المخيفة التي تتصاعد دقات طبولها لحظة بعد أخرى . فالذي يقرأ كبريات الصحف والمجلات الغربية – في هذه الأيام – يلحظ أنها تضخم في حجم وقدرات الجيش العراقي وتظهره للرأي العام العالمي في صورة القوة التي تهدد العالم والتي تتطلب التضحية من أجل ضرب هذه القوة وإبادتها إنقاذا لشعوب العالم من جنون قائدها ومالكها .

ولنقرأ بعض ما يقولونه عن هذه القوة :

بلا أدنى تحفظ .. يمكن القول بأن القوات المسلحة العراقية هي الأكثر عتادا ، الأكثر حشدا ، والأكثر تدميرا في كل دول العالم الثالث ! وهي تستطيع الصمود –

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 15 / 9 / 1990

من موقع القوة – أمام العديد من الغارات والهجمات المحدودة ، والحل الوحيد لإبادة هذه القوات هو الهجوم المكثف والغارات الجوية المتلاحقة لضرب الأهداف الاستراتيجية الهامة والمبعثرة والمنتشرة في كل أنحاء العراق ، وبشرط دقة التصويب وحتمية تحقيق الدمار ! وهذا الحل الوحيد – كما يقول الخبراء الغربيون – لن يكون سهلا ، كما أن ثمنه سيكون باهظا في الأرواح والسلاح .

الجيش العراقي أصبح يحتل مرتبته – منذ سنوات – في قائمة الجيوش الأكثر قوة وعتادا في العالم ! فالطيران العراقي يزيد – كما يزعمون – على أية قوة طيران تمتلكها أية دولة عضو في حلف الأطلنطي ما عدا – بالطبع – الولايات المتحدة ، والقوات البرية العراقية أكثر عددًا – بمراحل – من عدد جنود دولة كبرى مثل .. فرنسا .

منذ أزمة الخليج وصحافة الغرب تحاسب حكوماتها حسابا عسيرا ، فهي تتهمها بأنها هي المسئولة عن خروج القزم العراقي من القمقم عندما لهثت وراء آلاف الملايين من الدولارات – التي دفعتها دول الخليج لصدام حسين – وباعت له كل ما لديها من أحدث الأسلحة وأعقدها وأكثرها نارا ودمارا .

حكومات فرنسا – المتعاقبة – نالت نصيب الأسد من هذه الانتقادات التي تمتلئ بها أعمدة الصحف الفرنسية منذ بداية الأزمة وحتى لحظة كتابة هذه السطور فمجلة « أكسبريس » خصصت موضوعها الرئيسي – في عددها الأخير – لنشر أرقام صفقات السلاح ، بكل تفاصيلها التي رحبت الحكومات الفرنسية بعقدها مع صدام حسين وعلى مدى السنوات العديدة الماضية .

فمثلا باعت فرنسا للعراق 133 مقاتلة « ميراج 2000 » الأكثر كفاءة من هذا الطراز من المقاتلات الشهيرة ، مقابل 26 ألف مليون فرنك سددتها حكومات دول الخليج ! كما حصل العراق من فرنسا على أعداد لا حصر لها من كافة أنواع الصواريخ : جو / جو ، وجو / أرض ، وأرض / جو وجو / بحر ، والمضادة

للدبابات فالمقاتلة الميراج العراقية زودت بصواريخ (ايه . اس / 30 إل) التي أنتجت لأول مرة في نهاية سنة 1984 والتي باعتها الشركة الفرنسية المنتجة ـ إيروسباسيال ـ وقبل أن يحصل عليها سلاح الطيران الفرنسي ذاته ، وبهذه الصواريخ ـ البالغة الدقة والموجهة بأشعة الليزر ـ نجحت العراق في تدمير أكبر المنشآت البترولية الإيرانية في جزيرة خرج . ويبالغ الخبراء فيؤكدون أن هذا الصاروخ يستطيع أن يطلق من الكويت ليصيب مركز القيادة المتقدم الأمريكي في المملكة العربية السعودية !

انتجت فرنسا صاروخا متطورا أطلقت عليه اسم (آرمات) ومنعت بيعه لأية دولة أجنبية أخرى حرصا على سريته . ونجحت العراق في اختراق هذا الحظر ، واستطاعت أن تحصل على كميات كبيرة من هذا الصاروخ وزودت به مقاتلاتها . والصاروخ (آرمات) انتجته شركة « ماترا » ويتميز بأنه يستطيع ضرب الدفاع الجوي للعدو عن طريق تدمير نظامه الراداري . معنى هذا أن المقاتلة العراقية المزودة بصواريخ (آرمات) تستطيع أن تطلق صواريخها من داخل الأجواء الإقليمية العراقية لتصيب أهدافها في السعودية ، حيث إن مدى هذا الصاروخ يصل إلى 100 كيلو متر ! وخطورة هذا الصاروخ بقدراته الكبيرة في التشويش على الرادار أنه يستطيع ـ بالتالي ـ أن يشكل خطرا حقيقيا للصواريخ الأمريكية (هوك) التي نشرتها الولايات المتحدة في المملكة السعودية واعتبرتها خط الدفاع الأول ضد الخطر القادم من الجو !

والطريف ـ مرة أخرى ـ أن فرنسا وافقت على تزويد العراق بهذا الصاروخ قبل أن يعرف مكانه تحت أجنحة المقاتلات في سلاح الجو الفرنسي ، وهكذا استطاعت المقاتلات العراقية أن تدمر به أنظمة الرادار الإيراني (**SKYGUARD**) فوق جزيرة « خرج » قرب نهاية الحرب العراقية الإيرانية !

في سنة 1982 وقعت شركة (جيات) ـ الفرنسية ـ صفقة العمر مع العراق ، وباعت لها 83 مدفعا من طراز (155 جي . سي . تي) ! المدافع ثمنها 4 آلاف مليون فرنك ، وارتفع الرقم إلى 13 ألف مليون فرنك بعد إضافة « أكسسورات » هذه المدافع وقامت دول الخليج المغلوبة على أمرها بتسديد الفاتورة

بالكامل ! ولقد لعبت هذه المدافع دورها التدميري في سنة 1984 لوقف الموجات البشرية الإيرانية أولا بأول . فخلال عشر دقائق فقط وبقذائف (جي . سي . تي) يمكن تدمير فرقة كاملة من جنود المشاة !

وبإلقاء نظرة خاطفة على الأرقام الرسمية يتبين أن العراق حصل من فرنسا - وحدها - خلال عشر سنوات فقط على : 140 هيلوكبتر مقاتلة ، و 1000 مدرعة ، و 884 صاروخا من طراز (إكسوسيت) و 2000 صاروخ مضاد للدبابات من طرازي (هوت) و (ميلان) وأكثر من 2500 صاروخ جو / جو وجو / أرض .

وخلال نفس هذه الفترة حصل العراق من الاتحاد السوفييتي على 86 مقاتلة من طراز (ميج 25) و (ميج 29) . وهذه القوة الجوية الكبيرة ستوجه - في حالة نشوب الحرب - بواسطة طائرة عملاقة من طراز اليوشن السوفييتي امتلأت بكل الأجهزة الأليكترونية ، من رصد وتشويش واستكشاف ، تم شراؤها من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا ! وهذه الطائرة التي أسماها صدام حسين (عدنان - 1) هي صورة بدائية نوعا من الطائرة الأمريكية المعروفة باسم (آواكس) ومهمتها توجيه الطيارين في الجو ومساعدتهم في إحكام ضرباتهم وغاراتهم القتالية !

والمقاتلة السوفييتية (ميج 29) يمكن مقارنتها بمثيلتها الأمريكية (إف 15 - إيه) في الكثير من قدراتها المتعددة ، مما أقنع الخبراء الغربيين باعتبارها واحدة من أحسن وأفضل المقاتلات في العالم هذه الأيام ، والميج 29 لن تكون وحدها في المعركة ، فلدى السلاح الجوي العراقي ما يدعمها من أسراب المقاتلات الأخرى ممثلة في 110 من طائرات الميج 23 (بي . إل) المماثلة للمقاتلة الفرنسية ميراج (إف / 1) و 245 طائرة ميج 21 من بينها 50 مقاتلة تم تعديلها وتحسين قدراتها من الطراز القديم .

ولدى العراق - أيضا - قاذفات القنابل الثقيلة السوفيتية من طراز تو 22 بليندر ، ومن طراز تو 9 بادجر ، والطرازان قديما الصنع ولكنهما يستطيعان حمل كمية مخيفة من قنابل الدمار ، فهناك قنبلة « سوبر » تزن 9 أطنان وتم استخدامها

ضد الإيرانيين في جزيرة الفاو في أبريل سنة 1988 وأحدثت تدميرا هائلا مما جعل الناجين من هذا الجحيم يصفونها – فيما بعد – بأنها أشبه بالقنبلة الذرية !

وعن الصواريخ المتطورة التي دفعت شعوب الخليج ثمنها الباهظ وملكتها لديكتاتور ولص بغداد ، يؤكد الخبراء الغربيون أن العراق حصل من الاتحاد السوفييتي على عشرات من صواريخ أرض / أرض ، ولديه 35 صاروخا من طراز (فروج – 7) قصير المدى – 60 : 70 كيلو مترا – و 36 صاروخا من طراز (سكود) متوسط المدى – 300 كيلو متر – ولكن القائد المغوار الذي يخطط لاحتلال الكرة الأرضية لم يكتف بهذه الصواريخ المتواضعة والتي لا تحقق طموحاته وغزواته الحالية والمستقبلية ، بل صمم على الحصول على صواريخ أخرى أكثر عددًا وأكثر مدى وأكثر دمارا .

الثمن المخيف لهذه النوعية المتطورة من الصواريخ ، لا يهمه . فهو لن يدفعه من جيبه ولا من جيب الشعب العراقي ، وإنما هناك من يتصور صدام حسين أنه لا عمل ولا هدف له في الحياة إلا تسديد فواتير شراء الأسلحة العراقية ؟!

ولص بغداد لا ينتظر قيام حكومات الخليج بتسديد هذه الفواتير ! فهو يتعاقد على السلاح ، ويوافق على الأسعار بلا مساومة ، فإذا تأخرت السعودية أو الكويت أو الإمارات في الدفع فإنه لا ينتظر وإنما يسارع بالاقتراض من البنوك الكبرى في العالم وبأعلى فائدة ثم يطالب دول الخليج بتسديد أقساط الديون وبالفائدة الكبيرة عليها عقابا لهذه الدول لتأخرها في الدفع .

وقصة صواريخ العراق تستحق أن تكتب وأن تقرأ .. منذ سنوات غير قليلة وصدام حسين ينفذ سياسته الجهنمية في أن يمتلك أكبر عدد من هذه الصواريخ وبكل أنواعها المتاحة وغير المتاحة !

ورأيناه يرسل رسله إلى بلاد الشرق والغرب بحثا عن حكومة أو شركة أو سمسار أو كل هؤلاء معا ليشتري كل ما يساعده في صنع أو تطوير أو تعديل الصواريخ

التي يحلم بامتلاكها ! ولا يهم أن يحصل على ما يريده بطرق شرعية أو غير شرعية ! ولايهم أن يشتري من حكومة أو من عصابات المافيا . المهم فقط أن يأخذ ما يريده من المصانع والمكاتب والخزائن العلمية المغلقة ، والعقول البشرية التي يمكن - بالمال - اختراقها وإقناعها بالسفر إلى العراق لتبيع أسرارها واختراعها .

وتحقق الكثير من أحلام قاهر الكرة الأرضية . !

وقامت ثلاث قلاع صناعية كبرى في العراق لتحويل الحلم إلى حقيقة . هناك مصنع (سعد / 9) في جنوب بغداد ، وهناك مصنع (العنبر) على بعد 800 كيلو متر غرب العاصمة العراقية ، وهناك - أيضا - مصنع (الاسكندرية) الذي دمر جانب كبير منه بسبب حريق هائل في العام الماضي ، وهو الحادث الذي كشف عنه مراسل صحيفة « الأوبرزفر » - البريطانية - فألقت المخابرات العراقية القبض على الصحفي الإنجليزي ووجهت له تهمة التجسس لحساب إسرائيل وبريطانيا وإيران وحكمت عليه المحكمة الصورية بالإعدام شنقا ونفذ فيه الحكم بالفعل رغم الضغوط والتوسلات التي مارستها حكومات عديدة على الرئيس صدام حسين ! .

ويقول الخبراء الغربيون إن العلماء الذين استعان بهم ديكتاتور العراق استطاعوا أن يصنعوا صاروخا أطلق عليه اسم (عابد) يصل مداه نحو 2000 كيلو متر ! وقيل - أيضا - إنهم قاموا بتجربتين ناجحتين لإطلاق هذا الصاروخ في العام الماضي .

وبالنسبة للصاروخ السوفييتي القديم (سكود) قيل إن العلماء نجحوا في مضاعفة مداه المتوسط عن طريق قوة دافعة أكثر قوة بالإضافة إلى تخفيض حجم القوة التدميرية التي يحملها الصاروخ إلى 300 كيلو جرام فقط بدلا من 1000 كيلو ، وبهذا التعديل أصبح مدى الصاروخ (سكود - 1) الذي اطلقوا عليه اسم (الحسين) يصل إلى 600 كيلو متر ، كما تضاعف مدى الصاروخ (سكود - 2) ليصل إلى نحو 900 كيلو متر ، وكان صدام حسين يتمايل فخرًا وسعادة وهو يستعرض الصاروخين - بأسمائهما العربية - في معرض الأسلحة الجوية الذي أقامه

في العاصمة العراقية في أبريل سنة 1989 .

ولم تتوقف أحلام صدام عند هذا الحد ..

فمنذ سنة 1984 والدكتاتور العراقي يخطط لبرنامج جديد لصواريخ أكثر تطورًا وأكثر تكلفة ما دامت أحلامه في تحقيق القوة لا حد لها ، وما دامت دول الخليج قادرة على الدفع وتسديد الفواتير وأقساط الديون أولا بأول ! .

سمعنا عن الصاروخ العراقي (كوندور / 2) . وقيل إن هذا الصاروخ هو النسخة المعدلة من الصاروخ الأرجنتيني (كوندور / 1) ، وإن التعديل الجديد ـ الذي زاد من مدى الصاروخ ليصل إلى 800 كيلو متر ـ تم باشتراك العلماء والخبراء المصريين والأرجنتينيين والعراقيين . كما قيل ـ أيضا ـ إن العراق عرض على الحكومة المصرية أن يتولى العراق ـ يقصد دول الخليج ـ تمويل تطوير وتصنيع الصاروخ المصري المعروف باسم (بدر) !

ومعلومات أجهزة المخابرات الغربية تؤكد ـ كما نشر هذا الأسبوع ـ أن حجم إنتاج الصواريخ يصل ـ الآن ـ إلى نحو 700 من صواريخ (العباس) و (الحسين) سنويا !

ومازال رأس الديكتاتور يزدحم بالأحلام .. ! .

فمنذ فترة قصيرة والرئيس العراقي يحشد كل موارد شعبه المادية ، وكل ما يستطيع الحصول عليه من البنوك التي تقبل إقراضه ـ اعتمادا على استردادها وتسديد أقساطها من أموال دول الخليج فيما بعد ـ من أجل تحقيق المشروع السري الذي أطلقوا عليه ، إمعانا في السرية ، اسم : (المشروع رقم 395) وهو الرقم الكودي لصاروخ جديد ومتطور يصل مداه إلى 500 كيلو متر . ويؤكد الخبراء أنه ليس من الصعب معرفة الغرض من إنتاج هذا الصاروخ المنتظر والذي يحتاج لعدة سنوات قبل أن يبدأ العراق في إنتاجه وبالكميات التي يحددها .

وصدام حسين – كما يقول هؤلاء الخبراء – ليس متعجلا لهذا الإنتاج لا لشيء إلا لأنه لا يحتاج إلى هذا الصاروخ في الوقت الحاضر ، وإنما سيحتاجه بعد خمس سنوات قادمة ، عندما يتوصل وقتذاك إلى إنتاج الرءوس النووية التي يحلم ليل نهار بامتلاكها ، ويمكن للصاروخ (395) المنتظر، أن يحملها ويتحرك بها في أي موقع داخل حدود (الإمبراطورية) العراقية لينطلق منها إلى الهدف المهدد بالدمار وإبادة كل شيء حي يدب فوقه أو حوله ! .

وحتى يتحقق هذا الحلم فإن الديكتاتور العراقي نراه – في هذه الأيام – قانعا بالأسلحة الكيماوية السامة الحارقة والتي من شدة وهول الدمار الشامل الذي تحدثه أطلقوا عليها وصف (قنبلة الفقراء النووية) .

ومصانع حامي حمى الفقراء ضد استغلال الأغنياء – كما يحلو لصدام حسين تسمية نفسه منذ بداية أزمة الخليج – تنتج أكثر من سلاح كيماوي واحد . فهناك العديد من تلك الأسلحة التي قد تختلف قدراتها وإن اشتركت كلها في أنها أفظع ما يمكن أن يواجه الإنسان والحيوان والنبات من دمار وتدمير يأتي بعد دمار القنابل النووية مباشرة .

ومصانع هذا السلاح الكيماوي العراقي – المحرم عالميا إنتاجه واستخدامه بموجب اتفاقية جنيف في سنة 1931 والتي وقع العراق عليها والتزم بها – تعمل بأقصى طاقتها ليل نهار حتى تمتلئ مخازن صدام حسين بهذه الأنواع المدمرة الحارقة والسامة . وتؤكد المصادر العسكرية الأمريكية أن العراق ينتج أربعة أنواع من هذه الكيماويات المحرمة . وحجم الإنتاج لهذه الأنواع الأربعة شهريا يتراوح بين 4 أطنان ويتدرج حتى يصل إلى 60 طنا تبعا لإمكانية إنتاج كل نوع على حدة ! .

ودول أوربا الغربية تبدي في هذه الأيام شديد الأسف وعظيم الندم لأنها هي التي تجاهلت اتفاقية جنيف ، وهي التي سمحت لشركاتها ببيع كل مستلزمات ومواد هذه القنابل الحارقة والسامة إلى ديكتاتور العراق الذي أسال لعابها بالملايين التي أخذها من دول الخليج ولوح لها بها ! .

ومع الأسف – الآن – لا يجدي الحديث بعد خراب مالطة .. كما يقولون ! .

حقيقة أن معظم دول أوربا أعادت فتح ملفات شركاتها التي ساهمت وساعدت في هذه الجريمة وبدأت تحقيقاتها مع هذه الشركات في ألمانيا وهولندا والولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا وفرنسا ، ولكن صحيح – أيضا – أن كل ما قد تسفر عنه هذه التحقيقات من إدانة وتوقيع غرامات مالية ، لن يمنع ديكتاتور بغداد من مواصلة إنتاجه من أسلحة هذا الدمار الحارق والسام والذي يهدد به شعوب أمته العربية من المحيط إلى الخليج ! .

* * *

والسؤال الذي قد نختار أمامه بعد أن قرأنا هذه المبالغة غير المعقولة – بلسان كافة الخبراء العسكريين الغربيين – للقوة العسكرية العراقية هو :

– (لماذا هذا التهويل من جانب الغرب ، وما هو – ياترى – الهدف من وراء إشاعة الخوف من الخسائر الهائلة في الأرواح والعتاد التي سيواجهها الغرب – والولايات المتحدة الأمريكية على رأسه بقواتها وحشودها – في حالة نشوب حرب الخليج المتوقعة ضد العراق ؟!) .

إجابات عديدة قد تتنوع وتختلف فيما بينها ، ولكن الهدف المشترك في كل هذه الإجابات بلسان دعاة الخوف والتهويل أنفسهم ، يؤكد أن الحرب آتية ، وإذا لم تندلع في هذا الشهر فربما تنشب في الشهر القادم ، وإذا تأخرت عن ذلك فمن المؤكد أن اشتعال شرارتها سيتم في شهر نوفمبر . المهم – بالنسبة لأصحاب هذا الرأي – أنه لا حل للأزمة إلاّ بالتدخل العسكري السافر ، وليس مهما أن تبدأ الحرب اليوم أو غدًا أو بعد غد .

المؤيدون لهذا الحل – وما أكثرهم – لديهم مبرراته وتفسيراته ..

هذا التهويل المخيف في حجم وقدرات القوات المسلحة العراقية يستهدف أولاً

إخافة الرأي العام العالمي من خطورة ديكتاتور العراق والذي نجح – بمساعدة ودعم معظم دول الغرب – في بناء قوة عسكرية وصفها البعض بأنها رابع أضخم قوة عسكرية في العالم ، وأكد البعض الآخر أن الجيش العراقي أكبر – في عدده وعتاده – من معظم الدول الكبرى الأعضاء في حلف شمال الأطلنطي . فلا حديث لصحف ومجلات الدنيا – طوال الأسابيع العديدة الماضية – إلاّ عن وحشية حاكم العراق ودمويته وغطرسته وتحدّيه للدنيا كلها .

مئات الصفحات تكشف الآن عن الفظائع التي ارتكبها صدّام حسين – ومازال – ضد البشرية ممثلة في شعبه البائس والمنكوب ، وممثلة أيضا في سكان بلاده من الأكراد الذين عانوا العذاب والآلام عندما أطلق عليهم سلاحه الكيماوي الحارق والسام بلا رحمة وبلا شفقة .

وكتب عديدة صدرت أخيراً وكلها تتحدث عن السيرة الذاتية لصدام حسين ، وتتبع وحشيته ودمويته منذ أن كان شاباً ضائعًا ، وقاتلاً هاربًا ، وصديقًا غادرًا ، ورئيسا ديكتاتوريًا ، أعاد إلى الأذهان تاريخ أبشع الطغاة الذين ألقتهم البشرية في مزبلة التاريخ منذ زمن طويل .

وكشف فضائح وجرائم صدام حسين التي ارتكبها ضد شعبه أولاً ، وضد جاره الشعب الكويتي ثانيًا ، وضد الأمة العربية كلها ثالثاً ، قد لايهم قطاعات عريضة من الرأي العام العالمي البعيدة عن الجرائم وعن المجرم ، ليس هذا فقط بل إن تلك القطاعات العريضة التي لايعنيها ما يجري في منطقة الخليج العربي قد تتشفى – في الوقت نفسه – لما حدث وسيحدث للعرب نتيجة لكراهية هذه القطاعات للجنس العربي تأثرًا بإسراف الصحافة العالمية – خلال السنوات العديدة الماضية – في نشر سلبيات السياسات العربية المتناقضة ، وعمليات الإرهاب ضد المدنيين الغربيين التي قامت بها منظمات التحرير ، وجبهات الصمود والتصدي الفلسطينية التي تركت إسرائيل ترتع وتتوسع وتفرغت لاختطاف طائرة مدنية أو اختطاف نساء وأطفال وشيوخ لا شأن لهم بإسرائيل ولا بالقضية الفلسطينية !

وحملة التهويل في حجم وقدرات الجيش العراقي التي يقوم بها الإعلام العالمي – في هذه الأيام – تستهدف إخافة الرأي العام كله ، وبالذات قطاعاته المريضة ، التي لا تتعاطف مع العرب ، ولايهمها من بعيد أو قريب أن يبتلع العراق جارته الكويت ، أو أن يضرب ديكتاتور بغداد شعوب أمته العربية بالصواريخ الحارقة والخانقة والسامة ، فالتهويل في قدرات وفي حجم أسلحة الدمار الشامل لدى العراق يمكن أن يقنع تلك القطاعات المريضة والرافضة بأن الخطر العراقي لن يتوقف داخل حدود الدول العربية ، وإنما يمكن أن يهدد دول العالم كله سواء بصواريخه البعيدة المدى والتي تحمل – اليوم – سلاحًا كيماويًا وينتظر أن تحمل رءوساً نووية .. غدًا !

وحتى إذا كان هذا الخطر مازال بعيدا فإن دعاة التهويل يؤكدون أن ديكتاتور العراق لن يتردد في استخدام الإرهاب ضد شعوب الغرب بآلاف المرتزقة والقتلة والإرهابيين الذين يمكنهم الانتشار في كل مكان آمن ليروّعوا سكانه ، وينسفوا منشآته ، ويقتلوا أفراده ، ويخطفوا طائراته بركابها من الأطفال والنساء والشيوخ .

ولعل صحيفة (لوفيجارو) كانت أكثر من أكد هذا التهويل والتخويف عندما كتبت في عددها يوم الجمعة الماضي تبدي دهشتها من هؤلاء الذين يسعون من أجل التوصل إلى تسوية سلمية مع ديكتاتور العراق ، فالصحيفة تسخر من هؤلاء المسالمين المستسلمين ، وتسخر أكثر من شروطهم التي عرضوها على لص بغداد ليوافق عليها وينفذها قبل أن تبدأ المباحثات والمفاوضات السلمية ، فالمعروف أن العالم كله رفض الغزو العراقي للكويت ، وأن الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي وباقي الدول الكبرى تصر على ضرورة انسحاب العراق من الكويت ، وإعادة الأوضاع الى ما كانت عليه قبل يوم 2 أغسطس الماضي كشرط لبدء الحوار مع صدام حسين .. ليعود الأمن والأمان إلى المنطقة مرة أخرى .

كثيرون يسخرون من هذا التصور الساذج والمفرط في تبسيط الأزمة ! ومن رأي هؤلاء – وما أكثرهم – أن المشكلة ليست في انسحاب القوات العسكرية العراقية من الكويت ، ولا في عودة حكومة آل الصباح إلى بلادها ، ولا حتى في سحب الحشود العراقية على طول الحدود مع السعودية ، المشكلة الأساسية –

والوحيدة – هي في وجود شخص صدام حسين ، واستمرار تربعه فوق عرشه في بغداد .

تخيلوا عصابة من اللصوص حملوا رشاشاتهم ومسدساتهم واقتحموا بنكًا وأفرغوا خزائنه من أرصدتها وقبل أن يغادروا البنك فوجئوا برجال الشرطة يتقدمون إليهم ، فاضطر اللصوص إلى البقاء داخل البنك وهددوا بقتل الموظفين والعملاء داخله ما لم يسمح لهم البوليس بالهرب بسلام ! وتخيّلوا – أيضا – أن رجال الشرطة اضطروا إلى عدم اقتحام البنك والاشتباك مع اللصوص خوفا على حياة الرهائن ، ووافقوا على شروط اللصوص الذين سمح لهم بالهرب في سيارة قدمتها لهم الشرطة وأمكن بذلك إنقاذ أرواح الرهائن الأبرياء ! لو حدث هذا فهل نهلل لما فعلته الشرطة أم ننقد تصرفها المستسلم والمتخاذل في ضرورة القبض على اللصوص وتقديمهم إلى المحاكمة حماية للمجتمع من شرورهم في حالة إطلاق سراحهم ؟!

نفس ما فعله لصوص البنك ، يفعله الآن لص بغداد ! فالرجل اقتحم حدود دولة جارة لبلاده وسرق أموالها واحتل أرضها ، وقتل المئات من شعبها ، وشرد مئات الآلاف من سكانها ، واحتجز الآلاف من الأجانب كرهائن ؛ يبتز ويرهب بهم العالم حتى لا يهاجمه أحد ! والرجل – أيضا – ينذر القوات المتعددة الجنسيات – والتي تحيط به من كل جانب بأنه يستطيع أن يواجهها ، وأن يهزمها شر هزيمة لو فكرت – مجرد التفكير – في التحرش بقواته أو وقفت ضد استمرار احتلاله .

ماذا يفعل العالم مع هذا اللص ؟! هل يتعامل معه كما يتعامل رجال الشرطة مع لصوص البنك ؟! هل نكتفي بانسحابه من الكويت وسحب حشوده من حدود السعودية لنذهب إليه ونسامحه ونعانقه ونعيد العلاقات الطيبة والحميمة مع نظامه الدموي وكأن شيئا لم يكن ؟!

وتتوالى التساؤلات ..

هل ينتظر أن يتخلى الديكتاتور الدموي عن ديكتاتوريته وعن دمويته بمجرد

إرغامه على الانسحاب غير المشروط من الكويت التي احتلها ودمرها ونهبها وشرد سكانها وألغى حكومتها وغير هويتها ؟! هل يعقل أن يقنع لص بغداد « بالقليل » الذي سرقه ونهبه ويعود إلى دياره ذليلا ، وهو الذي كان قاب قوسين أو أدنى من السطو على كنوز هائلة ودائمة تحت أرض الكويت ؟! هل يمكن لهذا الإرهابي العالمي – الذي وصفته مجلة « نيوزويك » الأمريكية بأنه « أخطر رجل في العالم » – أن يتخلى بكل بساطة عن أحلامه في احتلال السعودية والإمارات وقطر والبحرين بعد أن نجح في احتلال الكويت لا لشيء إلا لأنه أرغم على الانسحاب خوفًا من الدمار الذي كان ينتظره وينتظر بلاده بين لحظة وأخرى ؟!

من يدرينا أن الرجل لن يتعلم من الدرس الذي تلقاه ويعترف بأنه تسرّع في تنفيذ مخططه الإجرامي لغزو دول الخليج الواحدة بعد الأخرى ، دون أن يستكمل بناء قوة الدمار الشامل – القنابل النووية – مما أوقف زحفه وأجبره على الانسحاب تفاديا للحرب التي تفوق عتاده وقدراته ؟!

ومن يدرينا – أيضا – أن هذا المهزوم لن يتقوقع داخل بلاده ويتمسكن حتى يتمكن بعد سنة أو سنتين يكتمل خلالهما تصنيع قنابله الذرية ، ويطور المزيد من صواريخه بعيدة المدى وعابرة القارات ، ثم يعاود زحفه لاحتلال كل دول الخليج في وقت واحد بلا خوف من الدول العظمى التي لم تغامر بسهولة باللجوء إلى أسلحتها النووية وهي التي بدأت تتخلص من تلك الأسلحة البشعة كنتيجة من نتائج الوفاق الذي يعيشه العالم – في هذه الأيام – بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ؟!

أسئلة كثيرة .. وهناك عشرات أخرى غيرها يطرحها الخبراء في عواصم الدنيا وهم يتذبذبون بين الحل السلمي بكل سلبياته والحل العسكري بكل أهواله ، ولا أحد يعرف ماذا سينتج عن هذا الصراع بين الذين يرفعون شعارات السلام والذين يدقون طبول الحرب ؟!

كم أتمنى لو عرفنا الجريمة التي ارتكبناها في حق أنفسنا حتى يعاقبنا الله عليها فسلّط علينا واحدا منا – صدام حسين – فعل بنا ما فعل ، وهدد حاضرنا ومستقبلنا القريب والبعيد بحماقاته ودمويته ووحشيته ؟!

* * *

اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه .

الطابور الخامس ..(*) !

وقفت سيارة أجرة أمام سفارة ما يسمى « بدولة فلسطين » في القاهرة ونزلت منها سيدة مصرية تجر وراءها أطفالها الأربعة وتصعد إلى مكتب ما يسمى « بسفير فلسطين » – سعيد كمال – وتطلب منه أن يتولى مساعدتها في تربية الأبناء الأربعة بعد وفاة والدهم الفلسطيني لضيق ذات يدها ، ولرفض أقاربه الأثرياء تحمّل هذه المسئولية ! ورفض السفير الاستماع لها وطردها ، فما كان من السيدة المصرية إلا أن تركت أولادها في حماية سفارة « الأشاوس » الفلسطينيين وهربت !

كل ما فعله السفير الفلسطيني – الذي لا هم له ليل نهار غير متابعة آخر تطورات القضية الفلسطينية ، وبذل كل ما في وسعه من أجل مساعدة أبناء فلسطين من الفقراء والمحتاجين – أنه أبلغ الشرطة المصرية بالحادث وتم تحرير محضر بالواقعة ، وبذلت الشرطة والنيابة كل ما في وسعهما من أجل إقناع « الأشاوس » الأثرياء بقبول أطفالهم دون جدوى ! فأموال السفارة الفلسطينية مخصصة للصرف منها على أنشطة محددة لا تدخل فيها مساعدة أطفال أبرياء لا تستطيع أمهم المصرية الصرف عليهم بعد وفاة زوجها الفلسطيني وتنكر أسرته لها .. ولهم !

المأساة مازالت مستمرة .

الأطفال الأبرياء أمضوا أسبوعًا كاملاً حتى الآن داخل قسم شرطة عين شمس انتظارا لإصدار قرار من النيابة العامة بإيداعهم إحدى مؤسسات الأحداث « المصرية » !

حادث غريب ، ومحزن ، ومفجع ، ولكنه لم يصدم الرأي العام المصري الذي

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 22 / 9 / 1990

أصبح يتوقع أي شيء ، وكل شيء من إخواننا « الأشاوس » الفلسطينيين .

ومن حق الشعب المصري أن يطالب ـ الآن ـ بوقفة صريحة وصارمة مع هؤلاء « الأشاوس » الفلسطينيين ويضع نهاية لكل جرائمهم ضد مصر التي احتضنتهم وضد شعبها الذي ضحى من أجل محاولة استرداد بلادهم التي باعوها ـ طواعية ـ لليهود ، وضد الزعامات المصرية ـ عبد الناصر والسادات ومبارك ـ التي أعطت ـ ومازالت ـ جهدها الأكبر من أجل إحياء القضية الفلسطينية كلما نجح الإرهابيون من قيادات عشرات المنظمات الفلسطينية في قتلها بتصرفاتهم وبحماقاتهم وبتصريحاتهم وبتهديداتهم الجوفاء !

لم يعد في وسع مصري واحد أن يتحمل من الفلسطينيين أكثر مما تحمل وأكثر مما صبر على جحودهم وكراهيتهم وانتهازيتهم ، ولحسن الحظ أن الحكومات والشعوب العربية الأخرى تنبهت ـ أخيرا جدًا ـ إلى خطورة هذا الطابور الخامس الذي يأكل من خيراتهم انتظارا للحظة التي يمسك فيها بخنجره ليطعنهم في الظهر !

وتاريخ هذا الطابور الخامس مع العرب .. حافل ومتخم :

عندما هربوا من بلادهم إلى المملكة الأردنية الهاشمية ـ وبالذات بعد هزيمة يونيو 1967 ـ قالوا إنهم سيحققون وحدهم النصر الذي لم تستطع كافة الدول العربية تحقيقه ضد إسرائيل ! قالوا إنهم سيتخذون من الحدود الأردنية معبرا للوثوب على إسرائيل وتدميرها وإلقاء شعبها في البحر ! وقالوا أيضا إن كل ما يريدونه من الحكومات العربية هو أن تمدهم بالمال ليشتروا به السلاح انتظارا لليوم الذي سيستخدم فيه لضرب إسرائيل وإجبارها على الانسحاب من سيناء المصرية ، والجولان السورية ، والضفة الغربية الأردنية والقدس الإسلامية !

وانهالت الملايين على « الأشاوس » الفلسطينيين من كل بلد عربي ، وسنة بعد أخرى تضاعفت أرصدة المنظمات الفلسطينية في بنوك الدنيا كلها ، جانب من هذه الأموال استخدم فعلا في شراء الأسلحة التي تكدّست في معسكراتهم ومخيماتهم وقصورهم وفيللاتهم وشققهم في داخل المملكة الأردنية الهاشمية ! وكم هلّلنا ـ

وقتذاك ـ ونحن نقرأ ونسمع عن « الأشاوس » الذين يتدربون على القتال وعلى السلاح في مدن وقرى الأردن ، انتظارا لليوم الوشيك الذي تبدأ فيه المعركة الفاصلة ضد إسرائيل .

وتمضي الشهور والسنوات ولا نسمع إلا مالم نصدقه في بادئ الأمر ،قرأنا أن هؤلاء « الأشاوس » أصبحوا يشكلون ـ في الأردن ـ دولة داخل الدولة ! وسمعنا ـ أيضا ـ أن السلطات الأردنية فقدت السيطرة تماما على الضبط والربط والأمن داخل حدودها ، وأن « الأشاوس » فرضوا سيطرتهم على الشارع الأردني ، ووضعوا قانونهم الخاص الذي حاولوا إلزام الأردنيين بالخضوع والامتثال له ! آلاف القصص عن هذه التصرفات غير المعقولة كنا نسمع عنها ولا نصدقها ، وتصورنا أن النظام الأردني الرافض لاستضافة الفلسطينيين هو الذي يطلقها كشائعات في محاولة منه لتشويه صورة الأبطال الذين سيحققون لنا النصر الذي عجزنا عن تحقيقه !

وعندما ضج الشعب الأردني من جرائم هذا الضيف الثقيل ، فوجيء بالأشاوس يتحدّونه ويتهمون ملكه بالعمالة ، ويتهمون حكومته بالخيانة ، ويهددون بأن الطريق إلى تل أبيب يجب أن يمر أولاً بعمان .. وإسقاط عرشها وتصفية حكومتها !

العالم العربي ـ كله ـ سمع بهذا التهديد الصفيق فلم تهتز له شعرة ، ولم نسمع منه كلمة لوم واحدة ضد هذا الجحود !

وأمام هذا الخطر البالغ في الأردن قرر الملك حسين أن يضرب ضربته الكبرى في شهر سبتمبر سنة 1970 وأرسل جيشه لينسف مقار وأوكار « الأشاوس » الذين استسلموا بعد أول طلقة في المعركة التي عرفت فيما بعد بوصف (أيلول الأسود) !

ومرة أخرى يقف العالم العربي مع هؤلاء الجبناء ويعقد عبد الناصر مؤتمر قمة طارئًا في القاهرة ليبحث كيف يمكن إنقاذ البقية الباقية من هؤلاء « الأشاوس » المختفين في كهوف الجبال والمرتدين ثياب النساء إمعانا في التمويه والاختفاء !! وعلى

الرغم من الحصار المحكم الذي أحاط بزعيم « الأشاوس » والمغاوير – ياسر عرفات – إلا أن الشيخ سعد العبد الله ، ولي عهد الكويت – استطاع أن يخترق هذا الحصار وأن يخلع عباءته ليرتديها عرفات المذعور ، ويهربه من الأردن ، ويقدمه للملوك والرؤساء العرب بعد أن التقط أنفاسه وامتشق مسدسه ولف كوفيته حول رقبته وتدلت على صدره المرصع بالأوسمة والنياشين !

وعندما نجح النظام الحاكم الأردني في ضرب المخطط الفلسطيني وإنهاء خيانته للبلد الذي كانت جريمته الوحيدة أنه فتح حدوده وقلوب شعبه لاستضافة الفارين والناجين من جحيم إسرائيل ، توصل حكامنا العرب إلى حل لمشكلة هؤلاء المغاوير ، فكان ما يسمى « باتفاق القاهرة » الذي يسمح بتدفق هؤلاء على جنوب لبنان ليكون معبرا لهم للتسلل إلى داخل إسرائيل وتنفيذ ضرباتهم الانتحارية ضدها وضد مراكزها ومعسكراتها ومطاراتها ومخازن أسلحتها ومفاعلاتها النووية !

وما حدث في الأردن تكرّر وبشكل أفظع في لبنان . كان لدى الأردن جيش قوي وحكومة واحدة ، أما لبنان فلم يكن لديه مثل هذا الجيش ، ولا كانت لديه مثل تلك الحكومة ، فلبنان كان بلدًا هادئًا ومسالمًا ومضيافًا وفاتحًا أرضه وقلوب شعبه لكل العرب ولكل المعتقدات والآراء ، واستغل زعيم « الأشاوس » هذه الأجواء الديمقراطية فصال وجال هنا وهناك ، يقيم المعسكرات ، وينشىء الميليشيات ، ويموّل الأبواق الدعائية ، ويشتري الأقلام ، ويفسد الأحزاب ، ويتحالف مع الجميع ضد الجميع ! وجاء السلاح من كل مكان ! وظهر سماسرة من « الأشاوس » الفلسطينيين تاجروا في السلاح وباعوه لكل من يطلبه ولكل من يريد استخدامه في تصفية منافسيه !

وهنىء الأشاوس بالحياة الرغدة في لبنان ! أسعدهم أن تكون لهم الكلمة الأولى التي يحسب حكام لبنان ورؤساء أحزابه وطوائفه وميلشياته ، حسابها ! وأسعدهم – أكثر – أنهم أصبحوا دولة داخل عشرات الدول التي نشأت داخل حدود هذا البلد الصغير الذي كان – من قبل – واحة الديمقراطية وسط طوفان الإرهاب

والديكتاتورية في عالمنا العربي من المحيط إلى الخليج !

وعندما كان العرب الأثرياء يتأخرون في دفع الإتاوات الشهرية ونصف السنوية والسنوية ، كان « الأشاوس » يدفعون ببعض الصبية الأبرياء إلى داخل الحدود الإسرائيلية ليطلقوا بضع طلقات على المدنيين الإسرائيليين ثم يعودوا إلى لبنان بأسرع من سرعة البرق ، وتخرج أبواق الإعلام العربية ـ التي نجح الأشاوس في اختراقها وشراء أقلامها ـ لتزف للأمة العربية بشرى العملية الانتحارية الكبرى التي هزت إسرائيل وأفقدتها المئات من القتلى والجرحى ، وعلى الفور يأخذ عرفات طائرته الخاصة ليطوف بها حول دول الخليج في جولة خاطفة يعود بعدها إلى بيروت حاملاً شيكات بعشرات الملايين من الدولارات يحولها باسمه الخاص إلى بنوك الشرق والغرب والشمال والجنوب .

ولم تسكت إسرائيل على هذه « المناوشات » العسكرية من جانب « الأشاوس » القادمين من جنوب لبنان ! ففي كل مرة يتسلل فيها صبية « الأشاوس » إلى حافة الحدود الإسرائيلية ويطلقون طلقاتهم تقوم إسرائيل بغارة جوية على جنوب لبنان وتدمر عشرات المنازل وتقتل العشرات من اللبنانيين الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة أمام إرهاب من يستضيفونهم ، في الداخل ، وأمام الدمار المستمر الذي يأتيهم من الخارج !

وعندما ثار الشعب اللبناني على هذا الوضع ورفضوا أن تخرّب بلادهم ويقتل شعبهم ، جاء الرد من جانب « الأشاوس » بمزيد من الإرهاب ، ومزيد من العنف ضد الشعب الذي استضافهم وضد البلد الذي آواهم !

ومرة أخرى يعلن القائد الفلسطيني « المغوار » أن لبنان انحرف عن الخط العربي القومي ، وأن حكومته تنكرت للقضية الفلسطينية ولحق الشعب الفلسطيني في العيش داخل كل بلد عربي ، وبالتالي فلابد من تأديب شعبه ، وتدمير قوته وإسقاط حكومته ، لأن الوصول إلى تل أبيب لابد أن يمر ـ أولاً ـ عبر .. بيروت !

ونشبت الحرب بين اللبنانيين الذين هبّوا للدفاع عن استقلال بلادهم وحرية شعبهم ، وبين « الأشاوس » الفلسطينيين الذين استخدموا أسلحتهم في قتل اللبنانيين وتدمير بلادهم ، وهي الأسلحة التي دفع العرب ثمنها وأعطوها للأشاوس لاستخدامها ضد الإسرائيليين وحدهم !

ومرة أخرى تدخل الملوك ورؤساء الدول العربية بهدف وقف الحرب المرفوضة بين عرب وعرب ، وتقرر أن ترسل سوريا قواتها لوقف هذه الحرب بالقوة ، وكانت هذه هي الفرصة التي تحلم بها إسرائيل ! فسرعان ما أرسلت قواتها لتغزو لبنان وتصل حتى بيروت ثم يضطر الرئيس اللبناني إلى عقد معاهدة مع إسرائيل ، ثم تنسحب إسرائيل من بيروت وتقنع باحتلال مواقع عديدة في جنوب لبنان !

ونبحث عن « الأشاوس » ـ الذين لولاهم لما حدث كل ما حدث ـ فلا نجدهم .. كالعادة ! فقد هربوا ، وألقوا بسلاحهم وفرّوا بحثا عن مخبأ يقيهم من القتل أو من الاعتقال ! وكان « المغوار الأكبر » ياسر عرفات أول الهاربين وأول المذعورين المرعوبين ، منتظراً الموت في كل لحظة ، ولاعنا اليوم الذي قرر فيه البقاء في بيروت ولم يغادرها قبل اندلاع نيران الجحيم الذي يتربص به من كل جانب !

ومرة أخرى يتدخل حكامنا العرب لإنقاذ أرواح هؤلاء « الأشاوس » وكلنا نتذكر الدور الكبير الذي لعبه الرئيس حسني مبارك من أجل إنقاذ الأشاوس الفلسطينيين وتأمين مغادرتهم لبنان فوق سفينة ، وتعهّد إسرائيل بعدم التعرض لها . وكانت القاهرة أول عاصمة عربية يصر عرفات على الطيران إليها ليحتضن رئيس مصر باكيا ومعترفا بفضله وفضل الشعب المصري في إنقاذه من الموت !

وما حدث في الأردن ولبنان ، تكرر للمرة الثالثة في الكويت ! قد يكون للأشاوس الفلسطينيين بعض المبررات ـ التي يمكن للبعض قبولها ـ بالنسبة للجرائم البشعة التي ارتكبوها في الأردن وفي لبنان ، ولكن من المستحيل أن يقبل منهم مبرر واحد لجريمتهم الكبرى ـ والأكثر بشاعة ـ في الكويت !

دولة مسالمة أعطت للفلسطينيين مالم تعطه لأية جنسية أخرى .. عربية أو غير عربية ! دولة استضافت مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين زحفوا عليها فقراء معدمين وأميين وأنصاف متعلمين ومنحتهم المأوى والعلم والوظيفة والتجارة في كل شيء وأي شيء ! دولة وثقت في الفلسطينيين أكثر من ثقتها في أي شعب آخر ! دولة تركت للفلسطينيين أن يتحكموا في كل مفاتيح الحياة داخل الوزارات والمصالح الحكومية الكويتية ! فالفلسطيني هو الذي يعين غير الفلسطيني في الوظيفة التي لم يجد فلسطينيا يقبلها أو يتحمس لها ! والفلسطيني هو الذي يملك أن يحيل حياة العامل أو الموظف غير الفلسطيني ـ وبالذات المصري ـ إلى جحيم لا يطاق داخل الكويت حتى يرهقه ويثيره ويجبره على العودة إلى بلاده !

اسالوا أي مصري عاد هذه الأيام من الكويت عن معاملة « الأشاوس » الفلسطينيين للمصريين هناك ؟! اسألوه عن وضاعة هؤلاء الجبناء وانتهازيتهم وحقدهم الذي لا حدود له على كل ما هو مصري وكل ما يصدر من مصر أو ينسب إليها ؟! واسألوه ـ أيضا ـ عن التسامح غير المعقول الذي كان الكويتيون يمنحونه للقتلة والمنحرفين واللصوص الفلسطينيين في الوقت الذي كانوا لايتسامحون في هفوة بسيطة وغير مقصودة يرتكبها المصري أو أي مقيم أجنبي يحمل جنسية أخرى ؟!

عاش مئات الآلاف من الفلسطينيين في الكويت وكأنهم أصحابها الأصليون ! عاشوا وكأن الكويت هي فلسطين التي باعوها لليهود ! وعاشوا ـ أيضا ـ على أمل أن يتضاعف عددهم داخل الإمارة المسالمة ليصبح « الأشاوس » أغلبية كاسحة . في مواجهة أقلية ضئيلة من الكويتيين !

ولفرط بساطة حكام الكويت ، فإن أحدا منهم لم يتنبه إلى هذا الخطر الذي خططه الطابور الخامس الذي نجح في اختراق كل مكان رسمي أو إعلامي أو شعبي داخل الكويت وعلى مدى السنوات الطويلة الماضية ! واستمر الكويتيون يغدقون على الفلسطينيين المال والجاه ، في الوقت نفسه الذي لايتعاطفون فيه مع المخلصين والشرفاء الذين يقيمون في بلادهم ويعطونها أكثر مما يأخذون منها ! ثم وقعت الواقعة .

في ساعات معدودة غزا العراق الحدود الكويتية واحتلها وقتل من قتل من شعبها ! أصيب العالم العربي بصفة خاصة - والعالم كله - بصفة عامة - بصدمة كبرى من وحشية الشقيق الذي طعن شقيقه في الصميم .

الشعوب العربية - من المحيط إلى الخليج - لم تستطع أن تجد مبررا واحدا يمكن للص بغداد أن يبرر به جريمته الكبرى . الفلسطينيون وحدهم - من دون شعوب العرب كلها - كانوا يرقصون ويصفقون ويهللون للنصر المبين الذي حققه ديكتاتور العراق ! الزعيم الفلسطيني - عرفات - الذي يناضل من أجل قضية بلاده طوال ساعات النهار ، ويرفّه عن نفسه طوال ساعات الليل بصحبة حارسه كما هو مسجل بالصوت والصورة لدى جهاز مخابرات الديكتاتور الراحل شاوشيسكو وكشف النقاب عنه في كتاب صدر منذ أسابيع في رومانيا - كان أول من طار إلى بغداد ليحتضن صدام حسين ، وضحكته الواسعة تلتهم وجهه بكل التشفي والفرح والحقد على الشعب الذي لولاه لما امتلأت خزائنه ، ولما عاش مئات الآلاف من شعبه عيشه الأثرياء في الكويت ، ولما عاش مئات الآلاف غيرهم من شعبه في الأراضي المحتلة على الملايين من الدولارات التي تتدفق عليهم سنويا من أهاليهم العاملين في الكويت !

وفرحة ياسر عرفات بغزو واحتلال الكويت ليست مقصورة على رئيس ما يسمى بدولة فلسطين ! إن 99 ٪ من الشعب الفلسطيني المشرد والغارق في النعيم في كل الدول العربية وغير العربية يشاركون زعيمهم المفدى فرحته الكبرى وحقده الأكبر !

هذه الحقيقة لا أبالغ ولا أغالي فيها . الحقيقة واضحة لكل من يبحث عنها ولكل من سمع تعليق أي فلسطيني جلس إليه ، أو قرأ أي تصريح صدر عن الفلسطينيين في القاهرة أو عمان أو المنامة ، أو أبو ظبي أو الدوحة أو صنعاء أو بيروت أو تونس أو طرابلس أو الجزائر أو الرباط أو الخرطوم أو الرياض كلهم مع صدام حسين ! كلهم مع لص بغداد ! كلهم مع حق العراقيين في التهام الكويت ! كلهم ضد أثرياء

الكويت وباقي دول الخليج ! كلهم يحقدون على العرب الذين ينعمون بأوطانهم و لم يبيعوها إلى أعدائهم ! كلهم يعملون جواسيس ضد البلاد التي تؤويهم وينعمون بخيراتها ويخترقون أجهزة إعلامها ويشترون ذمم الضعفاء فيها ! وكلهم – أيضا – يعيشون كما يعيش اليهود منذ الأزل متجمعين متقوقعين داخل (الجيتو) في البلاد التي تستضيفهم ، ويقيمون قلاعهم الاقتصادية التي يخربون بها اقتصاد تلك البلاد تمهيدًا للسيطرة عليها سياسيا بعد أن سيطروا عليها اقتصاديا !

وقد سمعنا عن المؤتمر الكبير الذي عقد في العاصمة الأردنية وتحت رعاية الملك حسين وضم وفودا من بعض الدول العربية جاءت كلها من أجل مساندة ودعم لص بغداد في حربه ضد الدنيا كلها ! وأغرب ما في هذا المؤتمر أن أعدى أعداء ملك الأردن مثل جورج حبش ونايف حواتمه ، وصلا إلى عمان بعد أن هربا منها بأعجوبة في « أيلول الأسود » ووجدا استقبالا تاريخيا من الملك الذي طالما خططا لاغتياله المرة بعد الأخرى ! فجأة أصبح الملك حسين في نظرهما ، الحاكم العربي الشريف ، وهو نفسه الذي كانوا يتهمونه – حتى الشهر الماضي فقط – بالخيانة والعمالة !

فجأة أصبح جورج حبش الفارس الفلسطيني المغوار الذي يحرص ملك الأردن على استقباله على انفراد ويفتح معه صفحة جديدة متناسيا كل ما كان يقوله حبش عنه وعن خيانته وعن ضرورة وحتمية تصفيته !وفجأة – أيضا – يصر الملك حسين على تكريم نايف حواتمه ويستقبله هو الآخر في مكتبه وكأنه نسي تماما كل محاولات الاغتيال التي رسمها وخططها حواتمه للخلاص من الملك حسين وعرشه وسلالته !

ثلاثة أيام كاملة عقدت خلالها جلسات عامة وجلسات مغلقة وجلسات هامشية وجلسات سرية ، عشرات ألقوا الخطب النارية والقصائد الشعرية الملتهبة التي بثتها الإذاعات الأردنية والعراقية على الهواء مباشرة والتي ملأت عشرات الصفحات في صحف البلدين وعلى مدى الأيام العديدة الماضية ! ملايين الكلمات قيلت في

هذا المؤتمر الشعبي وكلها تهلل لصدام حسين ، وكلها تفديه بأرواح ودماء أصحابها دفاعا عنه ضد العالم كله الرافض لاحتلاله بلاد غيره ! كلمة واحدة ـ وسط ملايين الكلمات ـ يشير بها أحدهم من بعيد أو قريب للغزو العراقي للكويت لم أسمعها ولم أقرأها ! كأن ما فعله صدام حسين هو أمل الأمة العربية ؟! كان غزو بلد عربي وضمه بالقوة إلى دولة أخرى هو ما عاش العرب على حلم تحقيقه طوال تاريخنا القديم والحديث ؟! وكأن غزو واحتلال الكويت هو الخطوة الأولى التي تمهد الطريق أمام غزو إسرائيل وحرق نصف شعبها وإلقاء نصفه الآخر في البحر ؟!

الفلسطينيون هم الذين خططوا وأقاموا هذا المؤتمر المشبوه . ياسر عرفات ومعه كل العصابة من حوله هم أسعد الناس برضاء ديكتاتور العراق عما قيل في مؤتمر بغداد في محاولة يائسة منه لإقناع العالم بأن الشعوب العربية كلها تقف إلى جانبه وتقف أيضا ضد حكامها وملوكها وتنادي بإسقاطهم وتصفيتهم .

لا شأن لنا بالملك حسين الذي أسلم نفسه للفلسطينيين . لا شأن لنا بهؤلاء المرتزقة الذين شاركوا في هذا المؤتمر المشبوه وجلسوا صامتين وسعداء يستمعون إلى الأشاوس الفلسطينيين الذين يتطاولون على بلادهم ويشتمون حكوماتهم ويحرضون على إسقاط حكم قادتهم .

فهؤلاء جميعا لا أهمية ولا وزن لهم يكفيهم تأنيب ضمائرهم عندما ينتهي المال من جيوبهم وعندما يواجهون بالاحتقار في عيون أبناء شعبهم بعد عودتهم من عمان وتسولهم في الرياض وبغداد !

المهم ـ كما أعتقد ـ هو موقفنا نحن في مصر ـ الرسمي قبل الشعبي ـ من هؤلاء الأشاوس الفلسطينيين الذين يعيشون فوق أرضنا وينتظمون في طابورهم الخامس المتربص بمصالحنا وأمننا في كل لحظة .

لا تصدقوا كلمة واحدة من الكلمات المرتجفة التي يطلقها بعض صبيان الأشاوس في عواصم الدول العربية التي أعلنت رفضها للغزو العراقي ونادت بسيادة

واستقلال دولة الكويت . لاتصدقوا حرفا واحدا ينطق به هؤلاء الصبية يفهم منه أنهم يرفضون احتلال الكويت أو نحس منه اعترافهم بفضل وجميل الشعب الكويتي على جنسهم الفلسطيني ولا تصدقوا - أيضا - تصريحات الأشاوس والمغاوير التي تبشرنا صباح كل يوم بالمبادرات السلمية التي لا هم لهم غير إقناع الأطراف المعنية بها حتى يبتعد شبح الحرب المدمرة عن بلادنا ويعود السلام والأمن إلى منطقتنا .

هذا كله - وغيره - مجرد أكاذيب وأضاليل تعود الأشاوس عليها وأدمنوا ألاعيبها ولم يعد أحد ينخدع بها ، ولم نعد نحتمل أن ينخدع واحد منا بها في نفس الوقت . آن الأوان - الآن - لإعادة النظر في موقفنا من الفلسطينيين ومن قضيتهم التي لا يريديون حلا لها ويتطاولون على أي صوت يحاول صاحبه أن يحلها لهم الحل الكريم والمقبول والمأمول !

شعب باع أرضه وباع قضيته لا ينتظر منا أن نكون أحرص منه على بلده الضائع وعلى قضيته التي قتلها بيده ألف مرة ومرة ! أصحاب بلد اغتصبه اليهود وأقاموا دولتهم فوق أرضه كان يجب عليهم أن يكونوا أول الرافضين للغزو العراقي وأول المنددين باحتلال أرض الغير بالقوة ، ليس حبا في شعب الكويت وإنما دعما لقضيتهم ومساندة لحقوقهم في استرداد أرضهم والمذهل أن هؤلاء كانوا أول المؤيدين للغزو ، وأكثر المهللين لاحتلال أرض الغير بالقوة ، وكأنهم بذلك يؤيدون الغزو الإسرائيلي للفلسطينيين ، ويدعمون جريمة احتلال أرض الغير بالقوة .

هل يمكن لأحد - بعد هذا الموقف الإجرامي من جانب عرفات وعصابته - أن يدافع بكلمة واحدة عن القضية الفلسطينية التي نسفها أصحابها نسفا بتأييدهم للغزو ، وتصفيقهم للاحتلال ! هل يملك أحد الشجاعة الآن ليبدي مجرد العطف على الحقوق الفلسطينية ، وعلى الشعب الفلسطيني الذي عاش لأكثر من أربعين سنة مشردا وضيفا على الدول العربية ، بعد أن فاجأنا هذا الشعب بوقوفه قلبا وقالبا مع جنود الاحتلال يرشدونه إلى خزائن الكويتيين ويشاركونه جرائم القتل والسرقة والحرق والنهب والاغتصاب ؟!

وهل يجرؤ أحد – من غير مرتزقة منظمة التحرير الفلسطينية – أن يكتب في صحفنا عن ضرورة الفصل بين موقف الأشاوس من الغزو العراقي وبين القضية الفلسطينية التي لولاها لما تحوّلت مصر من أغنى دولة في المنطقة إلى أفقرها ، ولما فقدنا عشرات الآلاف من ضباطنا وجنودنا وأهملنا إصلاح اقتصادنا وفتحنا أبوابنا ليدخل منها الانتهازيون الفلسطينيون طمعا وسرقة ونصبا وإفسادا ؟!

لقد تساهلنا كثيرا مع الأشاوس الفلسطينيين في بلادنا وتركنا لهم الحرية المطلقة لهذا النشاط الهدام . وتركناهم يخترقون أجهزة الإعلام المصرية تركناهم يشترون بعض الأقلام ، ولعلنا نذكر ما نشرته مجلة (الشراع) اللبنانية عندما فضحت بعض هذه الأقلام المصرية للأسف الشديد ، تركناهم يخترقون بعض أحزابنا السياسية تركناهم يقيمون المؤتمرات العلنية ويتجمعون في جلسات سرية يخططون ويتطاولون ويندّدون ويهددون دون التعرض لهم ، أو حتى نصحهم بالاعتدال ، تركناهم يصدرون مجلات ونشرات خاصة بهم . أعطيناهم محطة إذاعة خاصة ليبثوا من خلالها أكاذيبهم وبطولاتهم الوهمية .

تركناهم يخترقون صناعة السينما المصرية . فمنهم من ينتج الأفلام ومنهم من يحتكر توزيعها داخل وخارج مصر ، وعن طريق هذا الاختراق هبطوا بهذه الصناعة وأرغموا المؤلفين على كتابة قصص الأفلام التي تشهر بمصر شعبا قبل حكومة وما يقال عن أفلام السينما أيضا يقال عن أفلام المسلسلات التليفزيونية التي ينتجونها ويمثلها نجومنا وتسيء إلى شعبنا ثم يوزعونها على جميع الدول العربية ويجنون من وراء هذا التشهير الثروات الطائلة .

آن الأوان – يادكتور عاطف صدقي – لوقف هذه الجرائم كلها وعلى الفور . اللاجىء إذا أراد أن تستمر إقامته بيننا عليه أن يحترم قوانيننا ، وأن يوقف نشاطه الهدام ضدنا ، وأن يحظر اتصالاته المشبوهة . أما إذا رفض الامتثال لهذا كله – ولغيره – وصمم على أن يناضل من أجل قضيته من مصر ، وأن يحارب إسرائيل من الاسكندرية إلى أسوان ، فما أسهل من توديعه حتى مطار القاهرة ليستقل منه

الطائرة إلى بغداد أو ننقله بالسيارة إلى نويبع ليعبر منها إلى الأردن أو إسرائيل .

لست ضد الشعب الفلسطيني ولا ضد حقه في استرداد أرضه ، ولكنني ضد هذا التنطع وهذا الجحود من جانب الغالبية العظمى من هذا الشعب ، والذي فضحه موقفهم المخزي فور الغزو العراقي لدولة الكويت وعندما تأخذ الحكومة المصرية بهذه الإجراءات الضرورية فإنها لاتفعل أكثر مما فعلته - وستفعله كل الدول العربية الأخرى التي صدمت صدمة كبرى في الموقف الفلسطيني ، ومن حق كل حكومة أن تحمي جبهتها الداخلية من أي حاقد أو خائن أو ناكر للجميل ..

نصيحة أوجهها للشعب الفلسطيني في كل الدول العربية .

(إذا أردتم تحسين صورتكم أمام الشعوب التي أحسنت استقبالكم وأثرت خزائنكم وعلمتكم وعالجتكم ووظفتكم ، فعليكم أن تعلنوا رأيكم في الموقف الإجرامي الذي تقفه قياداتكم الثورية وأشاوسكم المغاوير بالنسبة لغزو الكويت . لا تقولوا إنكم أرسلتم برقيات ترفض هذا الغزو وتبدي تعاطفها مع الشعب الكويتي ! فهذه البرقيات لا قيمة لها ولم تجد ساذجا واحدا يصدقها ! إذا كنتم تؤمنون حقيقة بما تقولون وأنكم لا توافقون على موقف قيادتكم ومنظماتكم فعليكم أن تطلبوا من حكومات كل الدول العربية التي تستضيفكم السماح لكم بعقد مؤتمرات لا يتخلف عنها فلسطيني واحد - رجلا كان أم امرأة - وتعلنوا رفضكم لهذا الموقف وتسحبوا ثقتكم في كل قياداتكم بدءا بالبهلوان الاعظم ياسر عرفات ، ومرورا على باقي المتاجرين بالقضية من الزعامات الفلسطينية .

قفوا موقف رجل واحد يدوي صوته في كل العواصم العربية معلنا سحب ثقته من هذه العصابة التي قتلت قضيتكم وأشبعتها طعنا وموتا حتى يسمع العالم كله رأيكم لعله يعيد النظر في تعامله معكم بعد أن كره سماع سيرتكم ورؤية صور المتاجرين بكم وبقضيتكم) .

هذه هي نصيحتي المخلصة أضطر إلى توجيهها لكم وإن كنت أثق - وأرجو أن أكون مخطئا - بأنكم لن تأخذوا بها !

أقوى رد .. بأقل كلمات ![*]

طوال أيام عديدة ماضية ، وحديث رجل الشارع المصري يدور حول الخطر على مصر والقادم من السودان الشقيق ! فقد راجت شائعة تقول إن صدّام حسين أرسل العديد من صواريخه السامة والحارقة والمدمرة إلى السودان ونصبها في مواجهة الشعب المصري ! والمدهش أن هذه الشائعة سرعان ما وجدت انتشارا لدى قطاعات واسعة من المصريين ، أصبحت تنتظر - ببالغ القلق - انطلاق هذه الصواريخ المدمرة بين لحظة وأخرى !

وكان الرأي العام المصري معذورا في مخاوفه فالذي ارتكبه الرئيس العراقي صدام حسين في حق جارته الكويت ، لن يتورع عن ارتكاب أفظع وأبشع منه في حق دولة بعيدة عنه ويحقد على شعبها وعلى زعامتها وعلى قيادتها ، مثل مصر .

ولم يعد رجل الشارع - ويشرفني أن أكتب معبرا عنه - يقتنع بالشعارات التي طالما تغنينا بها وهلّلنا لها طوال عشرات السنين الماضية ، وكلها تنادي بالوحدة العربية والقومية العربية ، وبالتضامن العربي ، وباستحالة أن يرفع عربي سلاحه في وجه عربي آخر . فالذي حدث من عرب العراق ضد عرب الكويت بلغ من الوحشية درجة لم يبلغها الصهاينة في كل حروبهم ضد الأمة العربية !

رجل الشارع المصري كان معذورا - كما قلت - عندما صدق بسرعة شائعة الصواريخ العراقية التي وافق آية الله البشير - رئيس السودان - على استقبالها ونصبها في بلاده وتوجيه منصات إطلاقها لضرب بعض المراكز الاستراتيجية المصرية والسد العالي على رأس قائمتها !

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 29 / 9 / 1990

منذ أن غزا العراق دولة الكويت وحكومة آيات الله البشيرية – في الخرطوم – تؤيد وتهلّل لجريمة صدام حسين ، وإن همست في جملة اعتراضية خافتة الصوت ومترددة الذبذبات تعلن على استحياء شديد أنها لا تؤيد احتلال الكويت ! الموقف نفسه ، التأييد نفسه ، التهليل نفسه ، والجملة الاعتراضية نفسها سمعناها بألسنة باقي الحكومات العربية التي سايرت ديكتاتور بغداد في بغيه وأيدته في عدوانه وأعطته حقا لايستحقه !

سمعنا حكومة آيات الله البشيرية تندد بالوجود العسكري الدولي ، وتندد – أكثر – بأقدام الأمريكان الكافرة فوق الأراضي الإسلامية المقدسة ! وهذه الحكومة أول من يعرف أن الأراضي المقدسة الوحيدة في المملكة العربية السعودية هي مكة والمدينة فقط ، اللتان لا يدخلهما غير المسلم ، وأقدام الأمريكان بعيدة جدًا عنهما ، وسمعنا – أيضا – حكومة البشير وهي تطالب بسحب هذه القوات فورًا وبالقوة السودانية إذا لزم الأمر !

وكان واضحا كل الوضوح أن هذه الشعارات الجوفاء لا هدف من ورائها غير إلهاء العرب عن جريمة صدام حسين في الكويت ، وكأن احتلال دولة عربية عضو في الأمم المتحدة وفي الجامعة العربية ، ومحو اسمها من فوق خريطة الشرق الأوسط وضمها بالقوة إلى باقي محافظات العراق هو مجرد أزمة بسيطة وسحابة صيف يمكن ببعض الجهد العربي المشترك تجاوزها ؟!

احتار رجل الشارع المصري في موقف السودان ، كما احتار من قبل في كل مواقف « الأشاوس » والذئاب الذين يقودون القضية الفلسطينية ويتاجرون بها ! وكانت هذه الحيرة من أهم أسباب انتشار شائعة الصواريخ العراقية التي قيل إن البشير رحب بها وهلل لها !

والأغرب من هذا أن هذه الشائعة لم تقف عند هذا الحد . فسرعان ما ردد الشارع المصري مؤكدا أن القوات الجوية المصرية قامت – في الأسبوع الماضي –

بغارة خاطفة داخل السودان وقصفت الصواريخ العراقية ودمرتها تدميراً شاملاً !

ومن المؤكد أن الزميل الصحفي الذي سأل الرئيس حسني مبارك ـ أمس الأول ـ عن حقيقة هذا التواجد الصاروخي العراقي في السودان ، كان متأثراً بتلك الشائعة التي انتشرت في كل مكان وأصبحت تعبر عن خوف حقيقي لدى المصريين .

وجاء رد الرئيس حسني مبارك واضحا ومحددًا ، ومحذرًا .. في وقت واحد .

قال الرئيس مبارك :

(.. إنه لو نصبت في السودان صواريخ أرض / أرض عراقية ، فسوف أدمرها فورا ، لأنني لا أعرف « الهزار » في مثل تلك المسائل التي تؤثر على الأمن القومي المصري وسلامة بلادي . كما أنني لا أتصور أن السودان سيقبل إقامة مثل هذه الصواريخ في أراضيه) .

وإجابة الرئيس جاءت في وقتها بالضبط جاءت لتطمئن الشارع المصري بعدم صحة ما قيل عن وجود هذه الصواريخ ، وجاءت الإجابة ـ أيضا ـ محذرة العراق والسودان معا بأن الرئيس المصري لن « يهزّر » في مسألة تؤثر على الأمن القومي المصري وسلامة بلادنا ، وأنه لن يتردد لحظة واحدة في تدمير هذه الصواريخ في حالة التأكد من وصولها إلى الإقليم الجنوبي من وادي النيل .

وهناك أبعاد أخرى توصلت إليها من خلال متابعتي للكلمات القليلة التي قالها الرئيس حسني مبارك ردا على سؤال أحد الصحفيين في أعقاب لقاء الرئيس مع ضباط وجنود الفرقة الثالثة مشاة الميكانيكية قبل سفرها بالبحر إلى السعودية .

فبهذه الكلمات القليلة عبر الرئيس أحسن تعبير عن أسلوبه الشخصي في تعامله السياسي مع الأحداث والأزمات ـ فالرجل ـ منذ توليه رئاسة أكبر دولة عربية في المنطقة ـ يتميز بالهدوء وضبط الأعصاب في كل الأزمات التي واجهتها مصر داخليًا أو عربيًا أو دوليًا . البعض كان يرفض هذا الهدوء عندما يسمع سيل البذاءات

والإهانات التي يطلقها الجبناء من الذين ينتسبون – مع الأسف الشديد – إلى أمتنا العربية ! البعض كان ينتظر من رئيس أكبر دولة عربية أن يرد ردًا عنيفًا على هؤلاء الأقزام الذين طمعوا في هدوئه ، واطمأنوا إلى تسامحه غير المحدود ، وتشجعوا في تطاولهم ثقة منهم في أن الرئيس مبارك لن يغلق بابه في وجوههم في كل مرة يزحفون فيها إلى القاهرة لإبداء الأسف والندم وإنكار كل ما نسب إليهم من شتائم سمعناها بآذاننا وقرأناها بعيوننا ! والبعض – أيضا – كان يدهش من قوة احتمال الرئيس المصري لهذه الصغائر من جانب الصغار ، وهو القادر على ردعهم وفضحهم وكشف خياناتهم .

ومرت الأيام وفوجئنا بأن هذا الهدوء السياسي هو الذي أعاد للأمة العربية هويتها ، فتقاربت الحكومات بعد أن تشتتت سنوات وسنوات ، والذي كان مستحيلاً – عودة العرب إلى مصر وعودة مصر إلى العرب – أصبح حقيقة واقعة ، وبدأ الحديث يعود مرة أخرى عن أحلام الشعوب العربية في تحقيق وحدتهم وعلى أسس حضارية ومتأنية بعد أن تعلمنا الدرس من سلسلة الفشل التي صاحبت كل وحدة عربية قامت بين دولتين عربيتين وماتت في مهدها .

كان الرئيس حسني مبارك هادئًا ومتأنيا بالنسبة لمشروعات هذه الوحدة . لم يرفض قيام مجلس التعاون العربي بالأسلوب الذي يراه نافعا للشعوب العربية ، ولكنه كان رافضا – بنفس الهدوء – للأسلوب الذي كان صدام حسين يريده ويسعى إليه من وراء قيام هذا المجلس كان مبارك يتوقع خيرا للشعوب من مجلس التعاون ، أما صدام حسين فكان يريده قوة عسكرية لإرهاب هذه الشعوب كان مبارك يريده تعاونا اقتصاديا، أما صدام حسين فكان يحلم بتعاون عسكري من خلال اتفاقية دفاع وأمن وجيش واحد يستخدمه في تحقيق طموحاته وغزواته وعدوانه .

كان صدام يتصور أنه قادر على خداع الرئيس مبارك ، وإقناعه بقبول هذه الاتفاقية ، طوال أكثر من 7 شهور كان لا هم لديكتاتور بغداد غير محاولة إقناع الرئيس المصري بقبول اقتراحه دون جدوى ، فمن رأي الرئيس مبارك أن قيام جيش

عربي واحد لدول مجلس التعاون العربي سوف يقلق باقي الدول العربية ويشككها في الأهداف من ورائه . كما أن من رأيه - أيضا - أن مصر لن تتردد في الاشتراك والدفاع عن الأمة العربية بجيشها المصري ، أما انضمام هذا الجيش إلى جيش عراقي فهذا يعني قيام محور يمكن للعديد من الدول العربية - وبالذات السعودية - اعتباره موجها ضدها ويشكل خطرًا عليها ، وهذا ليس من سياسة مصر ولا يقبله شعب مصر .

بعد إصرار الرئيس مبارك على رأيه الهادىء وتمسكه بمنطقه القوي والقومي ، ظهر صدام حسين على حقيقته ، لقد انهارت أحلامه في أهداف مجلس التعاون العربي الذي أراده قوة عسكرية إرهابية ففشل في تحقيق ذلك ، ففقد حماسه على الفور بالنسبة للاستمرار في هذا المجلس الذي ولد ميتا و لم يحقق أي شيء لشعوبه ، واضطر صدام حسين إلى الاعتماد على جيشه وحده في غزو الكويت والتخطيط لابتلاع باقي دول الخليج الواحدة بعد الأخرى .

لم ينس صدام حسين اللطمة الهادئة التي نالها من الرئيس مبارك برفضه القاطع لقيام مثل هذا الجيش الواحد ، ولكن ديكتاتور بغداد لم يفقد الأمل في شخص الرئيس المصري ، وتصور أن هدوء الرجل وتسامحه وتساهله يمكن أن يؤثر في رد فعله تجاه غزو الكويت واحتلالها ، فرد فعل مصر لهذه الجريمة العظمى كان وحده الذي يخيف صدام حسين ويحسب حسابه مقدما .

وجاء رد الرئيس مبارك حاسما ورافضا ومحذرا ، وبنفس أسلوبه الهادئ المعروف عنه ، ومن هنا جاء غضب وحقد صدام حسين على رئيس مصر وعلى شعبها الذي وقف - بكل الحب وبكل التأييد - إلى جانب مبارك .

إذاعة خصصها صدام حسين وتذيع من بغداد - ليل نهار - أفظع الشتائم وأقذر الافتراءات ضد مصر ، وكأنها هي التي غزت الكويت ، وهي التي أرسلت جيشها لاحتلال بلد عربي وقتل شعبه وإلغاء هويته واغتصاب نسائه ؟ صحف

ونشرات تصدر يوميا في العراق وكل صفحاتها تردد نفس البذاءات ونفس الافتراءات ضدنا ، وكأن مصر هي التي تسببت في وحدة العالم كله ضد العراق ، بصفة خاصة ، وضد العرب وضد القضية الفلسطينية .. بصفة عامة ! وكأن رئيس مصر هو الذي احتجز الرهائن ووزعهم كدروع بشرية لحمايته ، وهدد بنسف آبار البترول في الخليج حتى يشل الاقتصاد العالمي ؟

كل مصري استمع إلى هذه الأبواق كان يغضب وينفعل قرفًا واشمئزازا ، ما عدا الرئيس مبارك الذي لم نسمع منه كلمة واحدة ردا على هذا التدني وهذا الانحطاط والأغرب من ذلك أن الرجل لم يترك فرصة إلا انتهزها لتوجيه النصيحة المخلصة لصدام حسين ليعود إلى رشده ويقبل الانسحاب من الكويت حتى يقي الأمة العربية من الأهوال التي تنتظرها في حالة اندلاع الحرب الشاملة فوق أرضها .

هذا هو الرجل ..

هذا هو أسلوبه الذي لايحيد عنه .

وهذا هو الهدوء والتسامح مع الصغائر جنبا إلى جنب مع الحسم والحزم والقوة والثقة بالنفس عندما تتعلق القضية بالأمن القومي أو بسلامة مصر .



.. وسقط القناع الزائف !(*)

هنيئا للرئيس الراحل أنور السادات بالجنة مع الأطهار والشهداء ، وهنيئا للراحل العظيم الذي يزداد حب الملايين له يومًا بعد يوم ، وسنة بعد أخرى وهنيئا ـ أيضا ـ لبطل الحرب والسلام في يوم رحيله الذي شاء القدر أن يكون يوم عيده وانتصاره في نفس الوقت .

إن احتفالنا بذكرى رحيل السادات ـ اليوم يختلف في معناه وفي أبعاده عن احتفالنا بها في كل السنوات العديدة الماضية . فالذي حدث في الكويت وبمؤامرة من الرئيس العراقي صدام حسين أعاد إلى الأذهان الفارق الهائل بين زعيم عربي ضحى بحياته من أجل أمته العربية وزعيم آخر جند كل إمكاناته وكل حقده وكل شهواته من أجل تمزيق هذه الأمة ونهب خيراتها وقتل شعوبها وتفتيت وحدتها !

زعيم دولة عربية كانت تئن تحت الاحتلال الإسرائيلي الذي اغتصب ثلث أراضيها خلال ستة أيام وفي أعقاب أبشع وأفظع هزيمة عسكرية عرفتها مصر في تاريخها القديم والحديث !

ولم تكن الهزيمة هي مأساتنا الوحيدة وإنما كانت المأساة الأكبر ـ والأخطر ـ إننا فقدنا الأمل في أنفسنا وفي قدراتنا وفي قياداتنا وفي إمكانية استرداد ما ضاع واغتصب من ترابنا !

تولى السادات قيادة شعب مصر في وقت كفر فيه هذا الشعب بحاضره ومستقبله ! كان القائد يتحدث عن الثأر ، وكنا نسخر من كلامه ! كان يبشرنا

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 6 / 10 / 1990

بقرب المعركة وكنا نضحك من الوهم الزائف الذي يحاول خداعنا به ! وكان يتفقد القوات ويعقد الاجتماعات مع قادة الجيش كدليل على جديته في الاستعداد للمعركة ، وكنا نتابع جولاته ونستمع إلى تصريحاته ونعجب لقدرته الفائقة في تمثيل دور القائد العسكري الذي سيحقق نصرا عسكريا كان مستحيلا – في عقولنا قبل قلوبنا – ومنذ الساعات الأولى من صباح 5 يونيو سنة 1967 !

وفاجأنا أنور السادات بما لم نكن ننتظره أو نتوقعه ! فاجأنا بقرار العبور ! فاجأنا بنجاح هذا العبور ! وفاجأنا أكثر – بضرب القوات الإسرائيلية وإجبارها على التقهقر والانسحاب من بعض أراضينا المحتلة ، توطئة لاسترداد آخر شبر من تلك الأراضي بعد معركة السلام التي أدارها باقتدار عظيم شهد له العالم كله به !

وتوالت الانتصارات الأشبه بالمعجزات .. لم يكن السادات قانعا باسترداد الأراضي المصرية المحتلة وحدها ، وإنما كان هدفه الأكبر هو استرداد باقي الأراضي العربية المحتلة الأخرى في الوقت نفسه . كان هدفه إعادة الجولان إلى سوريا وإعادة فلسطين إلى شعبها ، من خلال معركة السلام – حول مائدة المفاوضات – التي لا تقل معاناة وإرهاقا عن معركة الحرب .

كانت الظروف – وقتذاك – مهيأة لتحقيق هذا كله . وكان العالم يتابع هذه المعركة ويرى فيها الأمل لإعادة الأمن والاستقرار إلى منطقة الشرق الأوسط بالتوصل إلى سلام شامل ودائم لكل الأطراف .

ومع الأسف الشديد رفض الأشقاء العرب المفاوضات وبدّدوا تلك الفرصة الذهبية وظل علم « فلسطين » يرفرف فوق فندق مينا هاوس – القاهرة – دون أن يكلف الأشاوس الفلسطينيون أنفسهم ترف الاشتراك حول مائدة المفاوضات للمطالبة بحقوق شعبهم وانتزاع حق تقرير مصيرهم !

وما حدث بعد ذلك نعرفه جيدا . تعرضت مصر – شعبا وقائدا – لأعنف الحملات التي خططها الرئيس العراقي صدام حسين وحشد معظم الملوك والرؤساء

العرب في مؤتمر قمة عقد في بغداد ، وكان جدول أعماله مقصورا على بند واحد هو : قطع جميع العلاقات مع مصر !

وعشنا سنوات وسنوات لا نسمع من أبواق صدام حسين غير الشتائم والاتهامات والبذاءات ! فمصر — من وجهة نظره — خانت الأمة العربية عندما حاربت إسرائيل واستردت بالقوة بعض أرضها ، واستردت بالسلام بعضها الآخر ! ورئيس مصر كان عميلاً للإمبريالية الأمريكية وللصهيونية العالمية عندما قبل أن يوقع معاهدة سلام مع إسرائيل ! فمن رأي زعيم الأمة العربية — صدام حسين — أنه لا سلام مع إسرائيل ، ولا سبيل للاستقرار في المنطقة إلاّ بعد حرق نصف الشعب الإسرائيلي وإلقاء نصفه الآخر في البحر .

وصدق البعض ما قاله — ويقوله حتى هذه اللحظة — صدام حسين . نادوا به زعيما للأمة العربية . قالوا إن عبد الناصر فشل في تحقيق الوحدة الشاملة وفشل في تدمير إسرائيل وقيام فلسطين مكانها ، ولكن الأمل أصبح الآن مع صدام حسين ليحقق هذا كله .. وغيره ! قالوا إن الرئيس العراقي هو وحده بين كل رؤساء العرب الذي لا ينام الليل من أجل تحقيق آمال وأحلام العرب ! وقالوا — أيضا — إن الرئيس العراقي بجيشه الكبير ، وبأسلحته المخيفة وبصواريخه الخارقة والمدمرة ، أدخل الخوف والرعب إلى قلوب الإسرائيليين توقعا منهم للجحيم الذي سيصبه عليهم ويقتلعهم اقتلاعا من أرض الفلسطينيين التي احتلوها منذ سنة 1948 .

والبعض الآخر من العرب كان يسمع ما يقال عن الزعيم العربي الملهم ولا يصدقون ما يسمعونه . فعلى مدى عشرات السنين الماضية لم يسمع أحد أن الجيش العراقي أطلق رصاصة واحدة ضد الإسرائيليين ، لم نسمع عن اشتراك القوات العراقية في أية حرب من الحروب العربية الإسرائيلية بحجة (ماكو أوامر) الشهيرة والتي أصبحت نكتة يضحك لها العرب من المحيط إلى الخليج ! ولم نسمع — أيضا — أن المارد العراقي المخيف تحرك خطوة واحدة عندما قام سرب من القاذفات الإسرائيلية باختراق أجوائه وتوغلت داخل بلاده وقصفت ودمرت مفاعله الذري الذي دفعت

دول الخليج المليارات من أجل إنشائه ثم عادت الطائرات الإسرائيلية إلى قواعدها .. سالمة !

الدنيا كلها فوجئت بهذه القرصنة الإسرائيلية ، وانتظرت رد الفعل الخاطف والمدمر من جانب الرجل الذي لاهم له غير التخطيط لضرب إسرائيل ، ولا حديث له إلا عن المعركة التي ينتظرها بفارغ صبر وبمجرد أي استفزاز يأتيه من جانب إسرائيل .

وانتظر العالم سنوات وسنوات دون أن يتحرك المارد العراقي ليضرب ضربته المخيفة يثأر لشعبه من هؤلاء الصهاينة الملاعين !

أصيب المارد بالخرس ! لم ينطق بكلمة واحدة ! لم يطلق رصاصة واحدة ، ولم يعقد اجتماعا واحدًا يحدد فيه ساعة الصفر لحرق نصف الشعب الإسرائيلي وإلقاء نصفه الآخر في البحر كما ظلت أبواقه وأقلامه تردد ليل نهار !

وأخيراً جدا تحرك المارد العراقي المخيف في فجر يوم 2 أغسطس سنة 1990 . لقد أنهى استعداداته العسكرية ، وتكدست بلاده بأحدث وأقوى الأسلحة التي دفع عرب الخليج ثمنها ، وأصبحت الظروف كلها موائمة وملائمة ليضرب المارد ضربته ويثأر للعرب من الصهاينة .

وأقلعت المقاتلات والقاذفات من قواعدها وتحركت آلاف الدبابات والمدرعات والمدافع الثقيلة والمتوسطة والخفيفة ..

وتدفق مليون مقاتل من سن 7 سنوات وحتى 77 سنة في شوق واندفاع إلى أرض المعركة . وخلال سبع ساعات فقط استطاع المارد العراقي أن يحقق أعظم انتصار له في تاريخ العسكرية القديم والحديث ! استطاع صدام حسين – زعيم الأمة العربية – أن يغزو أراضي العدو ، ويقتل شعبها ويدمر مدنها وينهب خزائنها ، ويلغي هويتها ويزف للأمة العربية بشرى ضمها إلى الإمبراطورية العراقية ! وتوقع صدام حسين أن يسمع تأييدًا وتهليلاً من كل الشعوب العربية ! فالرجل حقق ما وعد

به ! الرجل انتصر على عدو الأمة العربية ! الرجل حقق الوحدة العربية ! والرجل أيضا – كان صادقا مع نفسه قبل أن يكون صادقا مع شعبه ونفذ حلم طفولته وشبابه وشيخوخته !

وفوجئ صدام حسين بالدنيا كلها تندد به وبجريمته وبعدوانه ! فالذي تصوره نصرا عربيا ، أجمعنا كلنا على أنه جريمة عظمى في حق شعوبنا وفي حق البشرية جمعاء !

والرجل مازال مذهولا من هذا الموقف العدائي الذي يواجه به من العالم ولا يفهم مبرراته ؟! والنصابون من حول صدام حسين يشاركونه ذهوله وتعجبه وصمموا على أن هناك خطأ ما وقعت فيه الشعوب العربية ولابد من تصحيحه ! فالشعوب العربية ترفض أن تعتدي دولة عربية على دولة عربية أخرى ، والشعوب العربية ترى – أيضا – أن السلاح العربي لا يرفع إلا ضد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ، وصدام حسين والنصابون من حوله يؤكدون أنه لا خلاف بين وجهتي النظر ! فالمهم – فقط – هو الهدف الأخير ! هدف ضرب إسرائيل وحرق نصف شعبها وإلقاء النصف الآخر في البحر ! وهذا – من وجهة النظر الصدامية – سيتحقق إن لم يكن اليوم .. فبعد سنة أو ألف سنة ! المهم أن المارد العراقي تحرك وغزا واحتل دولة معادية كانت تقف عقبة أمام الجيوش العراقية للانقضاض على .. إسرائيل !

الخلاف – في الرأي – بسيط للغاية ، من وجهة نظر المارد العراقي ، ولا يستحق كل هذا الجدل ! المهم النية ذاتها ! كان المفروض أن يغزو صدام حسين إسرائيل ، فأرجا ذلك إلى ما بعد غزو الكويت .. فما هي المشكلة إذن ؟!

دول العالم كلها أدانت جريمة صدام حسين ووقفت ضد غزو العراق للكويت وطالبت بعودة الكويتيين شعبا وحكومة – إلى بلادهم . وكان صوت مصر – بلسان رئيسها – عاليا وواضحا في إدانتها وفي رفضها وفي مساندتها للكويت ..

ولم يعجب صدام حسين بهذا الوضوح في موقف الرئيس حسني مبارك ، وصدم أكثر في موقف الشعب المصري الذي التف حول رئيسه وبشكل آثار اهتمام

كل المراقبين الذين زاروا مصر والتقوا بشعبها واستمعوا من رجل الشارع عن بالغ حماسه واعتزازه بالموقف المشرف الذي وقفه الرئيس حسني مبارك ومنذ الأيام الأولى التي أعقبت الغزو العراقي الوحشي للكويت ..

كان صدام حسين يتوهم أن صديقه حسني مبارك يمكن أن يتساهل مع جريمة غزو الكويت ، ويمكن أن يتدخل لتهدئة الملوك والرؤساء العرب بحجة البحث عن حل عربي لمشكلة عربية .. كما فعل حسين والبشير وبن صالح وبن علي و .. عرفات ، وعلى أمل أن تقتل قضية الكويت في هاوية البحث عن حل عربي كما ماتت وشبعت موتا القضية الفلسطينية !

وخابت توقعات الرئيس العراقي .

فلا الرئيس المصري تساهل مع صديقه ، ولا هو قبل أن تضيع الكويت كما ضاعت فلسطين ، وفقد صدام حسين البقية الباقية من اتزانه وأصدر أوامره لأبواقه بتكرار نفس أسلوبها القديم والمعتاد في تعاملها مع مصر أيام حكم الرئيس السادات ..

الرئيس السادات حارب إسرائيل ثم تفاوض معها من مركز المنتصر فحقق الانسحاب ، وهذا ما رآه صدام حسين « جريمة » كبرى يجب الرد عليها بأفظع الحملات الهجومية المسموعة والمقروءة والمرئية والرئيس مبارك وقف إلى جانب الحق ورفض الباطل ، وهذا ما رآه صدام حسين « جريمة » كبرى تستحق نفس العقاب !

إن ما نسمعه من إذاعة العراق ضد مصر وضد رئيسها ، شيء مقزز ومنفر وإلى أقصى درجة ، ورجل الشارع المصري يصاب بالذهول عندما يقارن بين ما كانت هذه الإذاعة تقوله فينا وفي رئيسنا – قبل غزو الكويت – وما تقوله الآن فيتساءل : كيف يمكن أن تنقلب الأوضاع وتتحول الاقتناعات بهذا الشكل 180 درجة من النقيض إلى النقيض ؟!

إن هذا التناقض المذهل بين موقفين لرجل واحد ، يؤكد أن صاحبه رجل لا يؤتمن ، ولا يصدق ، ولا يمكن أن يقف مع الحق أو ضد الباطل .

ربما كانت الحسنة الوحيدة في جريمة غزو الكويت أننا عرفنا الآن – وأخيرا جدا – حقيقة ومعدن هذا الديكتاتور القابع تحت الأرض في بغداد .

* * *

الله يرحمك ياسادات ..

سنوات مضت على رحيلك ، وسنظل نتذكرك دائما وبالذات في كل مرة تسقط فيها الأقنعة عن وجوه الذين أساءوا إليك حيا وميتا ، والذين خدعوا شعوبهم ، وخانوا بلادهم ، وتآمروا على أمتهم العربية ...





يكاد المريب يقول خذوني .. ![*]

لم يصدر عن مسئول مصري واحد اتهام للعراق بتخطيط وتنفيذ عملية اغتيال الدكتور رفعت المحجوب وأفراد الحراسة معه . فالتحقيقات مازالت مستمرة ومتشعبة ولم تعلن أجهزة الأمن المصرية – حتى هذه اللحظة – نتائج هذه التحقيقات ، وبالتالي لم تحدد هوية القتلة الجبناء بصفة رسمية ، حقيقة أن الغالبية العظمى من آراء الخبراء أكدت على أن الجريمة ليست مصرية الهوية – على ضوء تخطيطها وتنفيذها – ولكن حقيقة أيضا أن الدليل الدامغ على هذا الاتجاه لم يظهر بشكل قاطع وثابت .

وتماشيا مع المثل المصري القائل بأن الذي على رأسه « بطحة » يسارع بتحسسها ، قرأنا تصريحاً للحكومة العراقية يقول :

(تناقلت بعض التصريحات في أجهزة الإعلام المصرية عن اتهام العراق باغتيال رفعت المحجوب ، وهذه التصريحات والتقارير أطلقت وفقا للنهج الإعلامي المصري الذي يعتمد الأكاذيب وقلب الحقائق ويحاول التغطية على ما يدور داخل مصر من غليان رافض للنظام ! إن الأجهزة المصرية المتورطة بالمؤامرة الإمبريالية الصهيونية على مصر والأمة العربية تحاول بكل الوسائل دفع كل ما تتعرض له على جهة تقف ضد نهجها الخياني الذي تواصل منذ كامب ديفيد وحتى اليوم ! إن تلك الحادثة تذكرنا بما تعرض له عبد الكريم قاسم على أيدي شباب العراق في عام 1959 عندما نفذوا فيه حكم الشعب وعبّروا عن إرادته ، وكيف أن أجهزة الإعلام العراقية في حينه اتهمت جمال عبد الناصر ، وتناست تلك الأجهزة الأوضاع في العراق لكي تحاول

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 20 / 10 / 1990 .

التغطية عليه ! إن على الأجهزة الإعلامية المصرية أن تقف على الغضب الجماهيري داخل مصر ولا تتهم عشوائيًا أي نظام . إننا نرفض هذه الاتهامات ، فهي ليست من شيم أبناء العراق !)

وما أعجب وأطرف ما تقوله الحكومة العراقية .. !

فأبسط وصف له هو المثل القائل :

« يكاد المريب يقول خذوني » ! فهذا المريب يسارع بنفي تورطه في هذه الجريمة قبل أن تعلن أجهزة الأمن والتحقيق هذا التورط ! ولا يكتفي المريب العراقي بهذا النفي وإنما يتطوع ويؤكد أن الجريمة خططها ونفذها الشعب المصري الذي يغلي .. حسب وصف المتحدث باسم الحكومة العراقية !

فمن رأي حكومة صدّام حسين أن الشعب المصري يرفض موقف الرئيس حسني مبارك في مواجهة الغزو العراقي الوحشي للكويت ، ولا أعرف من أين يستقي نظام صدام حسين معلوماته عما يجري في مصر في هذه الأيام حتى يعلن – بكل صفاقة – أن شعب مصر يؤيد احتلال الكويت ويوافق على قتل وتشريد الشعب الكويتي الشقيق ؟ هل يستمد هذه المعلومات من سفارته بالقاهرة ؟!

هل قام سفيره وقريبه – نبيل نجم التكريتي – باستطلاع رأي من الإسكندرية حتى أسوان وأظهر تأييد الشعب المصري للغزو العراقي للكويت ونادى بصدّام حسين زعيمًا وقائدا ومنقذًا وملهمًا ؟!

هل توافرت أمام صدّام حسين صور المظاهرات التي اندلعت في كل مدينة وكل قرية – في مصر – حماسًا للغزو العراقي وتنديدا بموقف الحكومة المصرية التي وقفت إلى جانب الحق والشرعية وضد شريعة الغاب حيث يقتل القوي فيها الضعيف ؟!

وهل شاهد صدّام حسين – أيضا – أشرطة فيديو هرّبت إليه من مصر وتصوّر – بالصوت والصورة – غليان الشارع المصري رفضًا للنهج الخياني وللمؤامرة

الإمبريالية الصهيونية التي تمارسها حكومته ؟!

شيء من هذا كله لم يحدث وعلى الرغم من ذلك فإن صدّام حسين يؤكد على حدوثه ، وعلى أن شعب مصر يقف إلى جانب وحشيته ، ويؤيد سرقاته ، ويهلّل لخيانته ، ويتعاطف مع طموحاته وتوسعاته التي تهدد المنطقة العربية كلها بالفناء والدمار !

ويا ليت صدّام حسين اكتفى بهذه الأكاذيب لقد تمادى فكشف عن الوجه القبيح للأسلوب العراقي في التخلص من الخصوم السياسيين وعلى مدى السنوات الطويلة الماضية والمستمرة .

لقد أعاد إلى ذاكرتنا محاولة اغتيال الرئيس العراقي الأسبق – عبد الكريم قاسم – في نهاية الخمسينيات ، فأكد أن شباب العراق حاولوا اغتياله في سنة 1959 تنفيذاً – كما يزعم – لإرادة الشعب ، ولكن الذي لم يقله صدّام حسين أنه هو شخصيًا الذي تلقى الأمر من حزب البعث لاغتيال عبد الكريم قاسم أثناء مروره بسيارته في وسط مدينة بغداد وبنفس الأسلوب الذي اغتيل به الدكتور رفعت المحجوب !

الفارق الوحيد أن الزعيم العراقي المغوار صدّام حسين الذي فشل في الالتحاق بالكلية الحربية ولم ينتظم في طابور عسكري واحد في حياته وعلى الرغم من ذلك منح نفسه أعلى رتبة عسكرية لم يحصل عليها قائد عراقي من قبل ، فشل في اغتيال عبد الكريم قاسم وطاشت رصاصاته وسارع بالهرب مصابا بعدة طلقات في ذراعه ، أما الذين نفذوا الجريمة في القاهرة فقد نجحوا في اغتيال الدكتور رفعت المحجوب وتمكّنوا من الهرب سالمين .

الفارق كبير بين شاب ضائع حائر ، ومتعطش للدماء منذ طفولته ، وحاقد على كل من تخرج في كلية عسكرية فشل هو في الالتحاق بها ، وباحث عن أي دور سياسي يلعبه حتى لو كان دور القاتل بالأجر ، وبين قتلة محترفين أحسن تدريبهم وتحجّرت قلوبهم وماتت ضمائرهم !

ولا أعرف لماذا يذكّرنا صدّام حسين بمحاولته الفاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم وهو يحدثنا عن المحاولة الناجحة التي اغتيل فيها الدكتور رفعت المحجوب ورفاقه الشهداء الخمسة ؟! هل يريد أن ينبهنا إلى أن الأسلوب كان واحدًا في المحاولتين ؟! أو لعله يريد أن يبرهن على نجاح هذا الأسلوب في سنة 1990 بعد فشله في سنة 1959 ؟!

المهم ...

أن صدام حسين وجد في حادث اغتيال المحجوب فرصة جديدة يحاول بها إلهاء العرب عن جريمته العظمى في حقهم ، من جهة ، ولبدء حملة بذاءات جديدة يوجهها إلى مصر ورئيسها انتقاما منهما على وقوفهما إلى جانب الحق والشرعية وضد الباطل والانتهازية .

تمامًا كما فعل عندما انتهز فرصة مذبحة المسجد الأقصى في القدس فأقام الدنيا ولم يقعدها حتى الآن ضد إسرائيل ، وهدّدها وتوعّدها وأنذرها بالحرق والدمار والفناء .

وكلنا مع « الوثبة العملاقة » التي وثبها الرئيس « المهيب المخيف » ـ صدام حسين ـ في اتجاه تحرير الأراضي الفلسطينية من براثن الإسرائيليين ! كلنا مع « زعيم » الأمة العربية في كل ما قاله بمجرد علمه بالمذبحة الإسرائيلية في ساحة المسجد الأقصى بالقدس المحتلة !

وكلنا ـ أيضا ـ نقفز فرحًا ونشوة بالتهديدات والإنذارات التي وجهها باسم الشعوب العربية الفقيرة والجائعة إلى إسرائيل عقابا لشعبها على جريمته الوحشية !

نسي « الزعيم المرعب » جريمته الكبرى التي ارتكبها في حق الأمة العربية عندما غزا واحتل الكويت ! نسي « القائد الذي لا يقهر » الحصار البري والبحري والجوي الذي أحاط ببلاده لإجباره على الانسحاب والتقهقر إلى داخل حدوده ! ونسي ـ أيضا ـ أن العالم كله يترصده ، ويرفض ادعاءاته وأكاذيبه ووحشيته !

تناسى صدام حسين هذا كله وأصبح - الآن - متفرغًا لمواجهة إسرائيل التي قتل جنودها العديد من الفلسطينيين في القدس المحتلة ! سمعناه يتحدث حزينًا وباكيًا على الدماء العربية التي سالت عند المسجد الأقصى ، وهو الذي لم تهتز له شعرة من رأسه عندما أمر جنوده بقتل وشنق وسحل آلاف من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب من العرب الكويتيين !

سمعناه يعلن الحداد الطويل في العراق حزنًا على أرواح 21 من الفلسطينيين ، وهو الذي لم يرتجف له جفن عندما زحف بقواته على الكويت لينسف مبانيها ، ويحصد أرواح سكانها ، ويسرق خزائنها ، وينهب محلاتها ، ويشرّد ويشتّت مئات الآلاف من سكانها ! وسمعناه - أيضا - يهدد إسرائيل بالصواريخ الجديدة التي أكد أنه - شخصيًا - اخترعها خصيصا لحرق نصف الإسرائيليين وإلقاء نصفهم الآخر في البحر !

وهللت عصابة الأربعة - وخامسهم عرفات - بما قاله قائدهم الأعظم فور الإعلان عن مذبحة المسجد الأقصى ! فهذه المذبحة جاءت في وقتها ! جاءت كالقشة التي توهّموا أنهم قادرون على التعلق بها لعلّها تنقذهم من الغرق ! جاءت كفرصة ذهبية يمكنهم من خلالها إلهاء الأمة العربية عن جريمتهم العظمى ، وعلى أمل تنظيف أطنان الوحل من فوق وجوههم الكالحة والمنفّرة ! وجاءت المذبحة - أخيراً - كمبرر يمكن أن يتمسكوا به ويلعبوا عليه لمواصلة مسيرتهم التقليدية في خداع شعوبهم وأمتهم العربية !

وضحكنا - وضحك العالم كله معنا - مما قاله الرئيس العراقي . فلا الزعيم الملهم حزن على قتلى الفلسطينيين ولا عصابة الأربعة - وعلى رأسها المتحدث الوحيد باسم الشعب الفلسطيني - يهمهم في قليل أو كثير أن يقتل ألف فلسطيني ، وليس 21 فقط برصاص الإسرائيليين . فهكذا تعودنا منهم وعلى طول سنوات عهودهم البعيدة أو القريبة .

منذ سنوات طويلة ماضية والرئيس العراقي يصدع رءوسنا بحديثه الممل عن استعداده لتحقيق قوته العسكرية الهائلة التي سيضرب بها إسرائيل وينسف شعبها نسفا ويمحو اسمها من فوق خريطة الشرق الأوسط ! سنوات بعد سنوات وصدام حسين يحذر إسرائيل من الإقدام على أي تصرف استفزازي أو أي تحرك عسكري ضد العراق أو ضد أية دولة عربية أخرى . حتى لا يحرق نصف شعبها ويلقي بالنصف الآخر في البحر !

والمذهل أن إسرائيل لم تخف من هذا التحذير ! فلم تمض سنة واحدة إلا كانت البادئة بالاستفزاز ، والضاربة في كل مكان ! والأذهل من ذلك أن القاذفات الإسرائيلية تغلغلت عشرات الكيلو مترات داخل العراق ونسفت ودمرت المفاعل الذري العراقي ثم عادت إلى قواعدها سالمة ودون أن يطلق عليها صدام حسين صاروخا واحدًا من آلاف الصواريخ أرض / جو التي يتباهى بامتلاكها وتكديسها وإرسال فواتير ثمنها إلى دول الخليج وأولها .. الكويت !

يومها انتظرنا أن يبادر الرئيس العراقي بالرد الفوري والصاعق . فهل هناك استفزاز إسرائيلي أكثر من هذه الغارة الإسرائيلية التي مرغت العسكرية العراقية في الوحل والطين ؟! وهل هناك دليل على إعلان إسرائيل الحرب الشاملة ضد العراق أكثر من هذه القرصنة الجوية التي أصبحت تدرس – الآن – في كافة الكليات العسكرية العالمية كمثال على عنصر المفاجأة ودقة التخطيط العسكري في مواجهة عدو يتسلح بالكلام ويحارب بالخطب ويتباهى بقوة البلاغة وروعة الألحان وعذوبة الأناشيد ؟! وعلى الرغم من هذا الاستفزاز ، وعلى الرغم – أيضا – من القرصنة الجوية التي كانت بمثابة إعلان حرب صريحة ، إلا أن قائدها المهيب والمخيف أصيب بالخرس والصمم !

والسؤال الآن هو :

(إذا كان صدام حسين تقبل هذه الضربة القاصمة من العدو الإسرائيلي و لم تهتز شعرة واحدة في رأسه . فهل من المنتظر أن يتحرك عسكريًا – لا غنائيا – اليوم

لا لشيء إلا لأن الإسرائيليين قتلوا 21 فلسطينيا وجرحوا مئات آخرين منهم في مدينة القدس ؟!) .

والسؤال لا يحتاج إجابة من الرئيس العراقي . فالإجابة نعرفها جميعا ومن خلال كل المواقف السابقة والحالية التي وقفها هذا المهيب المخيف من إسرائيل ومن الفلسطينيين في الوقت نفسه . فليست هذه هي المرة الأولى التي ترتكب فيها إسرائيل مثل هذه المذبحة . تاريخها كله – منذ سنة 1947 وحتى اليوم – ملطخ بعشرات المذابح والأكثر وحشية من مذبحة المسجد الأقصى ، فلماذا انفعل صدام حسين اليوم فقط ، وهدد وتوعد وأنذر الإسرائيليين بأنه لن يرحمهم ؟!

رجل تنكر لكل القيم العربية ، ولكل المبادئ الإسلامية ، ولكل الحقوق الإنسانية عندما غزا دولة عربية إسلامية شقيقة ، واحتل أرضها ، وألغى هويتها وقتل بعض شعبها وشرد بعضه الآخر ، فهل نصدقه الآن عندما يبشرنا بأنه سيطلق صواريخه الناسفة الحارقة ليدمر إسرائيل عقابا لها على قتل 21 فلسطينيا في ساحة المسجد الأقصى ؟

رجل دولة عضو في الأمم المتحدة وعضو في الجامعة العربية اغتصب أرض الغير بالقوة وفتح نيران سلاحه ضد شعب آمن ومسالم كان كريما معه إلى أقصى حد ، هل ينتظر منا أن نصدقه عندما نادى بالجهاد العربي والإسلامي ضد إسرائيل التي اغتصبت – قبله – أرض الغير بنفس الطريقة .

ورجل يتباهى بقوته العسكرية المخيفة التي خدعه الغرب بوصفها بالقوة العسكرية الرابعة في العالم والذي رأيناه يجمع النساء والأطفال والشيوخ من الأجانب الأبرياء ويوزعهم على مؤسساته ومراكزة الهامة في بلاده كدروع بشرية خوفًا على نفسه من الحرب ، وإجبارًا للقوات المتعددة الجنسيات على عدم ضربه ونسف بلاده ، هل يتوقع منا أن نصدقه عندما يهدد دولة الصهاينة بالحرق والدمار الشامل لأنها قتلت بعض الفلسطينيين ، وهو الذي يرتعد خوفًا من القوات الدولية التي تحاصره برًا وبحرًا وجوًا ، ويتحصن خلف الدروع البشرية التي شكلها من أجسام الرهائن

الأجانب الأبرياء ؟!

إنها مهزلة سخيفة بكل المقاييس بطلها الأول صدام حسين ويشاركه في بطولتها ياسر عرفات الذي انكشف على حقيقته أمام العالم كله ، فوجد في مذبحة بعض الفلسطينيين طوق النجاة لعل وعسى يسترد ــ بتهديداته الجوفاء وبتصريحاته الهوجاء ــ بعض المصداقية التي كان يتمتع بها لدى السذج والبسطاء هنا .. وهناك !

* * *

نحن ندين المذبحة الإسرائيلية كما سبق أن أدنا كافة المذابح الأخرى . والمجتمع الدولي أدان معنا هذه المذبحة .. ويكفي أن الولايات المتحدة الأمريكية ــ صانعة إسرائيل ــ أدانت لأول مرة منذ قيام إسرائيل في سنة 1948 هذه الجريمة ونددت بها ..

ولكن ..

يجب ألا نسمح لجزار بغداد ــ وعصابة الخمسة من حوله ــ أن يخلطوا الأوراق ، ويشتتوا الأذهان ، ويصرفوا الأنظار عن الجريمة العظمى التي ارتكبوها في حق الشعب العربي المسلم في الكويت .. يجب ألا تضيع جريمة غزو واحتلال الكويت وسط هذا الضجيج وهذا الصخب الذي نسمعه من بغداد والذي يحمله ياسر عرفات في جولاته المستمرة عبر العواصم المختلفة ، وعلى متن الطائرة الخاصة التي وهبها له لص بغداد من أموال دول الخليج .

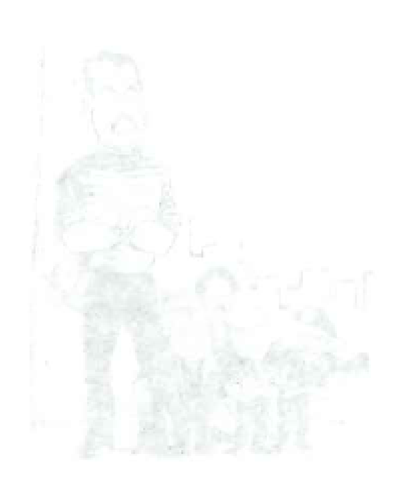
* * *

لسنا ــ كما قلت ــ ضد تهديدات الرئيس العراقي بمعاقبة إسرائيل على جريمتها . لسنا ضد أن يطلق صدام حسين صواريخه السامة والحارقة والمدمرة على إسرائيل معلنا الحرب ضدها مادام يثق في قوته ويثق أكثر في ضعف إسرائيل . وعلى العكس من

ذلك سنكون أول من يهلل للرئيس العراقي على هذه الخطوة وسنسارع بإقامة تماثيله في كل ميدان ونمنحه الخلافة وننادى به زعيما للإسلام والمسلمين في قارات الدنيا الخمس . المهم – فقط – أن ينفذ ما وعد وهدد وأنذر . أما أن يكون التهديد والإنذار مجرد فقاعات هوائية تنفجر فور خروجها من فمه .. فهذا هو النفاق بعينه والخداع بحرفيته والنصب بأبسط صوره .

لقد انكشفت التمثيلية السخيفة ، وانكشف – أكثر – أبطالها ، وتزايد عظيم احتقارنا لهم .





هكـذا يخططون لمعاقبة مصر ! (*)

المتحدث ـ الشرعي ـ والأوحد ـ باسم الشعب الفلسطيني لا ينام الليل في هذه الأيام ، حزنا وألما على الأخطار التي تتربص بأمتنا العربية .. حاضرها ومستقبلها ! فالذي يراه السيد ياسر عرفات من حوله ، يفرض عليه أن يتفرّغ تمامًا لمواجهة هذه الأخطار وحماية الشعوب العربية من ويلات المخطط الإمبريالي الصهيوني الرأسمالي الشيوعي الذي تتعرض له ، وتوشك على الوقوع في حبائله !

القضية الفلسطينية ـ التي اقترب عمرها من سن الخمسين ـ يمكنها من وجهة نظر أبو عمار أن تنتظر خمسين سنة أخرى قبل البحث عن حل لها ! الإرهاب الوحشي الذي يتعرض له يوميا سكان الأراضي الفلسطينية المحتلة بأيدي الجنود الإسرائيليين ليس بالطارئ الجديد ـ من وجهة نظر المتحدث باسم الفلسطينيين ـ وبالتالي يمكن تأجيل التعاطف معهم إلى أن ينتهي أبو عمار من إنقاذ الأمة العربية ! وأزمة الخليج التي نتجت عن الغزو الوحشي العراقي لدولة الكويت ، والتهديد العراقي الدائم للشعب العربي في السعودية والإمارات وقطر والبحرين وعمان ، لا تستحق ـ في رأي عرفات ـ كل هذا الزعيق وهذا الضجيج الذي يمهد لتنفيذ المخطط الإمبريالي العالمي ضد الأمة العربية !

ووجد ياسر عرفات أنه الوحيد المؤهل ـ من بين كافة ملوك ورؤساء العرب ـ لمواجهة هذا الخطر بعد أن اختارته العناية الالهية مبعوثًا لها لإنقاذ خير أمة أخرجت للناس ! فتاريخ رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يؤكد أن الرجل نذر نفسه

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 27 / 10 / 1990

وحياته من أجل تحقيق وحدة العرب وجمع شملهم حتى لو جاء ذلك على حساب صحته ، وعلى تأجيل حل قضية بلده المحتل منذ ما يقرب من نصف القرن !

رأيناه لايقيم في عاصمة عربية واحدة فهو دائم السفر والتنقل من عاصمة إلى أخرى ، حيث رحبت به كافة الحكومات العربية وخصصت له وللحاشية في معيّته المنازل الفاخرة والمكاتب المريحة والطائرة النفاثة التي وهبها له صدّام حسين ودفع الشعب الخليجي ثمنها .

رأيناه أول المتيقظين لأي خطر يهدد الأمة العربية ، وأول المطالبين بعقد مؤتمر قمة عربي طارئ لبحث هذا الخـطر ، وأول المتحدثين في هذا المؤتمر .. عارضًا رأيه ومتقدمًا بمبادرته لكيفية الحل الحاسم والقاطع والذي لم يكن يخطر على بال غيره من الملوك والرؤساء العرب !

رأيناه لايترك إذاعة أو صحيفة أو شاشة تليفزيون إلا جثم فوقها وفرض نفسه عبر أثيرها ، وفوق صفحاتها ، وعلى قنواتها ، محذرا إسرائيل وكل من يقف خلفها وواعدًا ومتغنيًا : (عائدون .. عائدون) !

رأيناه المتفهم لكافة ما يجري داخل الدول العربية ! فهو وحده الذي يحس بمعاناة الشعب المصري نتيجة للانفصام بينه وبين نظامه الحاكم ! فالشعب المصري من الاسكندرية إلى أسوان لا هم له ليل نهار ـ كما يؤكد أبو عمار ـ غير القضية الفلسطينية ، وأنه على استعداد للتضحية بدماء مئات الآلاف من جنوده المصريين في سبيل استرداد فلسطين رغم أنف كافة حكوماته وأنظمته المتعاقبة ! ووحده ـ أيضا ـ الذي يملك حاضر ومستقبل كل شعوب دول الخليج !

فأبو عمار يؤمن بأن هذه الشعوب لم تخلق لإدارة بلادها وتنميتها وفقًا لإرادتها وإنما هذه هي المهمة المقدسة للمناضلين الفلسطينيين الذين باعوا بلادهم وهربوا منها من أجل الانتشار في تلك الدول الشقيقة والتطوع بتوّلي كافة المناصب والوظائف ، وبذل الجهد والعرق من أجل تنميتها اقتصاديًا وسياسيًا وإعلامياً وزراعياً وصناعيًا وتجاريًا !

لقد قدم المتحدث الشرعي والأوحد للشعب الفلسطيني سنوات شبابه لخدمة ورفاهية العرب من المحيط إلى الخليج ! يكفي أنه أرجأ قضية شعبه عشرات السنوات في سبيل حل نقص العمالة – العليا منها قبل الدنيا – في كل بلد عربي وهبته الطبيعة الذهب الأسود ! يكفي أنه لم يترك حكومة عربية إلا هاجمها اليوم ليغازلها غدا ! يكفي أنه لم يترك ملكًا أو أميرًا أو حاكمًا عربيًا إلاّ أجرى معه مباحثات مرهقة أسبوعية ، وشهرية ، ونصف سنوية ، وسنوية حول الدعم المادي الذي يطلبه ليصرف منه على قوات النضال والتحرير الفلسطينية استعدادا لضرب إسرائيل وطرد الصهاينة من فلسطين ! ويكفي – أيضا – أنه صاحب أعظم وأغرب استراتيجية عسكرية عرفها التاريخ العسكري منذ عهد آدم . وترتكز على أن الوصول إلى قلب تل أبيب يجب أن يمر – زيادة في التمويه على العدو – عبر الكويت والإمارات والبحرين وقطر والسعودية ومرورا على القاهرة والخرطوم و .. أديس أبابا !

والتاريخ المضيء والطويل لأبي عمار ، في جانب ، والذي ابتكره في الأسبوع الماضي في جانب آخر . فكل أمجاد وانتصارات وبطولات ياسر عرفات السابقة من أجل وحدة الأمة العربية ، لاتقارن بما خططه – سرا – في الأيام القليلة الماضية !

فمنذ الغزو العراقي الوحشي لدولة الكويت والرئيس الفلسطيني يرهق نفسه بحثا عن حل لهذه الأزمة التي لم يسبق للعرب مواجهتها من قبل . لقد كان أول الساعين إلى الوقوف إلى جانب (الحق) العراقي ضد (الباطل) الكويتي ! طار إلى بغداد فاتحًا ذراعيه لاستقبال حضن المهيب المخيف صدّام حسين ! ولم يكتف بهذا التأييد ، وإنما صبّ جام غضبه على كل دولة عربية رفضت الغزو العراقي .. وعلى رأسها شعب وقيادة مصر !

فجأة أصبحت مصر – في رأي القيادة الفلسطينية – أحد أطراف المؤامرة الإمبريالية الأمريكية السوفييتية الشيوعية الفرنسية البريطانية ! وفجأة وجد أبو عمار في موقف الرئيس حسني مبارك المندّد بالعدوان العراقي انحرافًا عن الخط العربي النضالي ، وطعنة في ظهر القومية العربية ، وتحالفا مكشوفاً مع أعداء العروبة !

هكذا .. انقلبت نظرة أبو عمار لمصر بين ليلة وضحاها ! كان يرهقنا بزياراته شبه الأسبوعية لا لشيء إلا ليؤكد للرئيس حسني مبارك عظيم احترامه وكبير تقديره للجهد الهائل الذي يبذله من أجل تحريك جثة القضية الفلسطينية التي ماتت وشبعت موتًا ! كان يصيبنا بالملل صباح مساء كل يوم برسائله المكتوبة أو المسموعة أو المحمولة في أيدي أعوانه من الأشاوس والمغاوير ، وكلها تساند التحرك المصري وتطالب الرئيس مبارك بالمزيد والمزيد من التحرك ، وكأنه لا هم ولا عمل لرئيس 55 مليون مصري غير القضية الفلسطينية ، وغير الاستماع إلى مبادرات وأفكار الأشوس الفلسطيني الكبير والتي تناقض الواحدة منها الأخرى ، أو كأن قدر رئيس مصر ـ كل رئيس لها ـ ومنذ سنة 1948 هو أن يهمل تنمية بلاده ، ويرجئ إسعاد شعبه ، ويجند كافة موارد مصر من أجل حل قضية شعب هو آخر من يريد لها هذا الحل !

لهذه الأسباب كلها ـ وغيرها ـ وجد « أبو عمار » أنه لابد من وقفة حاسمة وحازمة مع مصر ، عقابًا لها على وقوفها إلى جانب (الباطل) العربي الكويتي وضد (الحق) الهولاكي العراقي !

وتمخض العقاب العرفاتي عن مبادرة أرهق الرجل نفسه طويلاً حتى ألهمته العناية الشيطانية بخطوطها العريضة ، وبدأ ـ بالفعل ـ يتلقى عليها كلمات التهنئة من حلفاء الشيطان الذين يشاركونه الرأي والفكر تمهيدًا للإعلان عنها ومفاجأة العالم العربي بها .

تتلخص مبادرة ياسر عرفات في أنه لابد من توحيد الأمة العربية كلها ضد الموقف المصري (المتخاذل) والذي تسبب في خلق أزمة الخليج التي يواجهها العالم بكل القلق والترقب ! فمصر هي المسئولة ـ كما يؤكد أبو عمار ـ عن خلق هذه الأزمة لا لشيء إلا لأن رئيس مصر وافق على طلب المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية وأرسل قوات مصرية تقف إلى جانب القوات الأجنبية المتعددة الجنسيات في مواجهة قوات الحمل الوديع والمسالم صدّام حسين ! ومصر هي المسئولة ـ كما يؤمن رئيس فلسطين ـ عن خلق هذا الانقسام في الصف العربي لا لشيء إلا لأن الرئيس حسني مبارك

التأييد الشعبي المصري الجارف للنصر العظيم الذي حققه أبو عدي في الكويت ورفع من شأن الأمة العربية في العالم كله ! نحن لا نعاقب الشعب المصري بقدر ما نهدف إلى معاقبة نظامه الحاكم ، فإذا أصيب المصريون بالضرر من جراء الحكم الذي ستصدره الأمة العربية ضد بلادهم ، فهذا هو قدرهم ، وهذه هي نتيجة موقفهم السلبي تجاه قضية لايمكن الصمت حيالها !) .

وأضاف الرجل الذي بلغ من حرصه على وحدة الأمة العربية أنه ترك قضية بلاده تموت وتتعفن وتفرغ تماما لحل القضايا الداخلية لكافة الشعوب العربية قائلا :

(إن العقاب الذي أقترحه يتحقق بطريقتين لا ثالث لهما :

الطريقة الأولى : أن نصدر قراراً جماعيا بإلغاء قرار مؤتمر القمة العربية الأسبق بعودة مقر الجامعة العربية إلى القاهرة والإبقاء عليها في تونس ! وبالطبع فإن هذا القرار الجديد يجب أن يحظى بموافقة كافة الدول العربية التي سبق أن أصدرت قرارها الأول بنقل الجامعة إلى القاهرة ، وعلى كل منا أن يتفرغ تمامًا للحصول على هذه الموافقة بأسرع وقت ممكن ، ويجب على كل واحد منا أن يبذل كل مافي استطاعته من وسائل الترهيب والترغيب لدى كل العواصم العربية من أجل إقناعها بإلغاء قرار عودة الجامعة العربية إلى القاهرة ، أو على الأقل الحصول على موافقة جماعية بتأجيل تنفيذ هذا القرار إلى أجل غير مسمى يمكن الاتفاق على تحديده بعد حل أزمة الخليج في يوم .. في شهر .. أو سنة !

الطريقة الثانية : في حالة فشلنا في إلغاء قرار عودة الجامعة العربية إلى القاهرة ، أو حتى تأجيل تنفيذ هذا القرار ، لن يكون أمامنا غير الانسحاب من هذه الجامعة ومقاطعتها وعدم الاعتراف بها أو بأي قرار يصدر عنها ، وفي المقابل علينا أن ننشىء جامعة عربية بديلة تتمتع بالمصداقية لدى جميع شعوبنا العربية من المحيط إلى الخليج ، وفي تصوري أنه من السهل جدا خلق هذه الجامعة البديلة التي تضم – مؤقتًا – الدول العربية الآتية : العراق ، فلسطين ، الأردن ، اليمن ، تونس ، الجزائر ، وفور اتفاق هذه الدول الست على الاقتراح ، سيكون سهلاً إقناع العديد

لم يتماش مع مطامع وفتوحات الرئيس العراقي و لم يهادنه أو حتى يقف موقف الحياد تجاه جريمته العظمى في حق العروبة وفي حق كل الأديان السماوية بكل تعاليمها و كل شعائرها !

ومصر هي المسئولة أيضا – كما يرى ياسر عرفات – عن عرقلة الحل العربي – العربي لما يصفه بالأزمة العربية الطارئة وسحابة الصيف التي غيّمت العلاقات الأخوية والدائمة بين الشعب الواحد العراقي والكويتي ، لا لشيء إلا لأن الرئيس حسني مبارك سارع بالدعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربي طارئ انتهى إلى إدانة العراق ومطالبة رئيسه بسرعة سحب قواته الغازية من الأرض الكويتية ، مما عقد المشكلة – على حد زعم عرفات – وهو الذي كان قاب قوسين أو أدنى من التوصل إلى حلها بمساعدة « جلالة » الملك حسين و « المشير » الكبير على عبد الله صالح !

هذه السلسلة المتصلة من (الجرائم) المصرية كان المناضل ياسر عرفات أول من كشفها ، وأول من ندّد بها ، وأول من تطوّع بجمع أدلة الإثبات عليها حتى يرضي ضميره عندما يترك مقعد الادعاء ويقفز فوق مقعد القاضي ويصدر حكمه العادل الذي لايمكن الطعن فيه أو في حيثياته .

* * *

طوال أيام الأسبوع الماضي لم يتوقف الرئيس الفلسطيني عن الاتصال المباشر – السمّعي أو البصري – مع حلفائه من قادة معسكر الباطل العربي وعلى رأسهم الرئيس العراقي صدّام حسين . كان عرفات في كل هذه الاتصالات هو المتحدث ، في حين اكتفى الباقون بالاستماع إليه والتمايل فرحًا وزهوا بالحكم العنيف والقاهر الذي أصدره فضيلة المفتي للشئون الشيطانية ياسر عرفات ضد مصر .. شعبًا وقائدًا !

قال عرفات لحلفاء الظلم ودعاة الباطل :

(رغم كل جرائم النظام الحاكم المصري إلا أننا سنكون رحماء معه حفاظا على

من الدول العربية الأخرى مثل المغرب ، وموريتانيا ، وليبيا ، ولا أخفي عليكم أنني أصدرت أوامري إلى كافة أعواني في منظمة التحرير الفلسطينية للانتشار السريع في كافة عواصم تلك الدول لطرح المبادرة ، ويسعدني أن أؤكد لكم أنني – شخصيًا – وجدت تجاوبا كاملاً من معظم الرؤساء العرب الذين استمعوا إلى هذا الاقتراح .

ولا أعرف كيف يجد ياسر عرفات وقتًا كافيًا يقتله في التخطيط والاتصال والطواف والارتماء في الأحضان ، وإمطار من سقط في حضنه – لسوء حظه – بعشرات القبلات فوق الخدين وعلى الكتفين قبل الجلوس إليهم وطرح مخططاته وأفكاره ومؤامراته التي لا تنتهي ؟! كل ما أعرفه أن الرجل يستحق – بالفعل كافة الألقاب والصفات التي منحت له والتي عرف بها ..

رجل لاهم له غير تمزيق الأمة العربية ! رجل لا هدف أمامه غير شق الصف العربي ! رجل لم يجد من الشعب المصري غير كل حب وتضحية وتسامح ، وعلى الرغم من ذلك لم يعرف الشعب المصري – على العهود البعيدة والقريبة – حاقدًا عليه وكارهًا له مثل ياسر عرفات ومن معه ، ومن يتحدث باسمهم .

رجل نسى في لحظة واحدة كل ما حظى به من شعب الكويت وعلى مدى أربعين سنة ماضية ومتصلة ! رجل حاول خداع العالم كله بمظهر الممثل الوحيد لشعب طرد من أرضه ، ولدولة شطبت من فوق الخريطة ، ونادى بتطبيق القانون الدولي الذي يمنع احتلال أرض الغير بالقوة ، ثم يفاجأ العالم بنفس هذا الممثل يرقص فرحا ويتمايل طربًا احتفالاً باحتلال العراق لأرض الكويت بالقوة !

رجل لم يترك مناسبة إلا انتهزها ليسعى إلى الرئيس المصري ليؤكد له – بعد إمطاره بأحضانه وقبلاته – بأنه لا يثق إلا فيه شخصيًا ، ولايؤمن إلا بمساندة ودعم الشعب المصري لقضية فلسطين ، ثم نراه – المرة بعد الأخرى – يسارع بسحب ثقته والتنكر لإيمانه بمجرد مغادرته القاهرة والهبوط بطائرته في إحدى عواصم ما كان يسمى بجبهة الصمود والتصدي العربية !

رجل ضحى بكل مكاسب شعبه الفلسطيني التي حصل عليها – بالحق أو بالإرهاب – في كل الدول العربية التي استضافته وأكرمته ودللته وأثرته بمجرد أن وقف إلى جانب الباطل العراقي وضد الحق الكويتي دون الاهتمام بمصير الفلسطينيين في كل الدول العربية التي فوجئت برد الفعل الفلسطيني غير المتوقع واضطرت إلى إعادة النظر ليس فقط بالنسبة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وإنما – أيضا – بالنسبة للتواجد الفلسطيني العامل والمقيم داخل هذه الدول !

رجل لم يهتم لحظة واحدة بمعاناة شعبه داخل الأراضي المحتلة والذين كانوا يتعيشون على ما كان يأتيهم بانتظام من ملايين الدينارات الكويتية سواء من الحكومة الكويتية ذاتها أو من الفلسطينيين العاملين والمقيمين في الكويت ، ثم توقف تدفق هذه الملايين بعد الغزو العراقي الوحشي ، وبدلا من التنديد بهذا الغزو – أو على الأقل الوقوف إلى جانب الحياد التام – فوجئنا بهذا الرجل يهلل للغزو ويؤيد الاحتلال ويشجع على المزيد منهما ليشمل كافة دول الخليج ! ورجل – أيضا – يتحدث عن مسئولية الرئيس حسني مبارك في تعقيد أزمة الخليج وإبعاد الحل العربي – العربي لها ، في الوقت الذي يسعى فيه الآن لإحداث مزيد من الانقسام والمزيد من الفرقة عن طريق تقسيم وحدة الدول العربية إلى جبهتين لكل منهما جامعة عربية !

* * *

لم أفاجأ – شخصيًا – بمبادرة ياسر عرفات الانقسامية عندما سمعتها لأول مرة في قطر خلال الجولة العربية الناجحة التي قام بها الرئيس مبارك في السعودية والإمارات وقطر وعُمان ، ولم أصدم في موقف الزعيم الفلسطيني الكبير والمعادي الأول لكل ما هو مصري سواء كان إنسانا أو جمادا ، فرأيي في عرفات وفيمن حوله من الأشاوس المغاوير ليس بالجديد بحيث أنني لن أصدم في أي موقف جديد ينسب إلى هؤلاء مهما بلغت درجة تدنيه وسقوطه وانحطاطه !

مهما قال عرفات ، ومهما فعل ، تنفيسا عن حقده على مصر وعلى كل ما هو مصري ، فإن مصر أكبر من كل مخططاته وكل أحقاده وكل سقطاته ، ليس

هذا فقط ، بل إن نجاح ياسر عرفات في مهمته المقدسة التي يتفرغ لها هذه الأيام ، وهي منع انتقال الجامعة العربية إلى القاهرة أو حتى نجاحه في إقامة جامعة عربية ثانية ، لن يؤثر في مصر في قليل أو كثير ، ولو أن عرفات يعرف حقيقة مشاعر الشعب المصري الذي علّمه وثقفه ودلله وتسامح مع صغائره وجرائمه ، لتنبأ ـ مقدما ـ برد فعل هذا الشعب لمبادرته الانقسامية ، ولعرف حجم اللامبالاة والسخرية من تلك الجامعة العربية البديلة التي يخطط مع حلفاء الشيطان لإقامتها بزعم معاقبة مصر على موقفها الأصيل والشامخ ضد العدوان العراقي على الكويت ! فلا بذاءات ياسر عرفات يلتفت إليها الشعب المصري ، ولا محاولة عزل مصر يمكن أن تجد أدنى تأثير على المواطن المصري الذي سبق له التعامل مع محاولة عزل مصر للمرة الأولى في أعقاب نجاح مصر في استرداد الباقية من أرضها المحتلة .

* * *

كم كنت أتمنى أن يكون ياسر عرفات معنا ليرى بعينه ويسمع بأذنه ما سمعناه وما رأيناه ونحن نصاحب الرئيس حسني مبارك في جولته في السعودية والإمارات وقطر وعُمان . كنت أريد أن يكون عرفات معنا في هذه الزيارة ، ليس بالطبع حبا في صحبته وإنما رغبة مني في أن أرى حمرة الخجل وصُفرة الحقد والكراهية التي ستغطي وجهه وهو يرى كيف استقبلت هذه الدول العربية الرئيس حسني مبارك ، ويسمع ما قاله ملوك وشيوخ دول الخليج عن موقف رئيس مصر وعروبة شعب مصر وشجاعة الجندي المصري .

ومع الأسف الشديد حرمني ياسر عرفات من هذه المتعة .

ولا بأس من أن أنقل له بضع كلمات سمعناها عن مصر ورئيس مصر خلال تلك الزيارة :

قال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد عبد العزيز :

(إن علاقتي بالرئيس مبارك ليست وليدة بضع سنوات ، ولكنها منذ سنوات طويلة ، منذ أسعدني الحظ بمعرفته ، وكلما اتصلت بفخامة الرئيس لم أجد إلاّ كُل ما يثلج الصدر في جميع المجالات .

وبالنسبة للعلاقات بين البلدين فهي على مستوى رفيع جدا ومستوى مدعوم بالحقيقة والواقع ، ويمكن أن يكون فيه بعض التقصير عن الإفصاح ، إن العلاقة بين البلدين هي العلاقة الخيرة ، العلاقة التي لم تبن على أساس أن نسيء إلى أحد ولكن بنيت على عدة أمور أهمها أن تكون علاقة بلد واحد) .

وقال الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية والذي أصر على مصاحبة الرئيس مبارك خلال زيارته للقوات المصرية :

(إنه من أسعد أوقات حياتي أن ألتقي بأخي العزيز الرئيس مبارك وأن أجدكم هنا بيننا ، وأجد هذا العدد من الضباط والجنود المصريين . لقد جئتم للنصر لتكونوا مناصرين للحق ومدينين للباطل . أشكركم وأشكر أخي الرئيس حسني مبارك الذي رأيت وعرفت خصاله الجميلة من قبل واليوم أراها أكثر جمالاً كما عهدنا فيه وموقفه المشرف مع إخوانه وأشقائه تجاه قضية الكويت وانطلاقا من شهامته وعروبته أنه لم يحد عن الحق والصواب) .

وفي مناسبة أخرى قال الشيخ زايد :

(إن كل العرب يقدرون موقف الرئيس حسني مبارك ويهتدون بهديه : فطريق الشهامة والتآزر هو طريقه ، إن الأمة العربية لها أمجادها وأنت _ يا فخامة الرئيس حذوت نفس الحذو وأردت أن تحافظ على هذه الأمجاد مثل أسلافك ، إننا ندعو الله أن يوفقك على طريق الحق . ولقد اختبرناك الآن في محنتنا هذه واختبرنا إخلاصك للأمة العربية عامة ، وللخليج خاصة فصدق الاختبار ، لقد تعرضت _ ياسيادة الرئيس _ للهجوم وللإساءة وكان ردك بالحسنى ، وبالحق وبالحجة ، لذلك تعرضت مصر للهجوم والإساءة ، فبقيت مصر طاهرة أبدا . إن الرئيس مبارك هو القادر

على كظم الغيظ وتحويل الطاقة إلى عزيمة والمعلومات إلى قرار ، والمواقف المضطربة إلى إتزان ، إننا سعداء بك الآن وأبدا . وأهنىء شعب مصر بك وبقيادتك له ونتمنى لك ولمصر الدوام والاستقرار) .

* * *

وقد لايهتم ياسر عرفات بما قاله الملوك والشيوخ العرب ، إيمانا منه بأن الشارع العربي كله يقف معه إلى جانب الباطل . ومرة أخرى كنت أتمنى أن أرى حمرة الخجل ، وصُفْرة الحقد والكراهية تملأ وجه أبو عمار وهو يرى ويسمع ماذا كان رأي الشارع العربي في السعودية والإمارات وقطر وعمان في مصر وفي رئيسها وفي عروبتها وفي أصالتها وفي شجاعتها .

* * *

وهنيئا لحلفاء الشيطان بمبادرة ياسر عرفات الجديدة وهنيئا لهم – أكثر – بجامعتهم العربية المنتظرة !

.. عندما بكى صدام !(*)

ما أسعد العاملين في مكتب وكالة الأنباء العراقية بالقاهرة ، وما أسعد وزير الإعلام العراقي بما يتلقاه يوميًا من العاملين في هذا المكتب . فمصر لا تفرض رقابة على ما ترسله وكالات الأنباء من القاهرة ، ولا تطرد المراسل الأجنبي الذي يرسل أكاذيبه وافتراءاته عن مصر ، ووجد العراقيون العاملون في مكتب وكالة الأنباء العراقية في القاهرة المجال مفتوحًا أمام كل ما يرسلونه من أكاذيب ، وافتراءات وبذاءات ، يوميا .. وساعة بعد أخرى !

تحدثوا عن غليان الشارع المصري المؤيد للغزو العراقي الوحشي على الكويت ! تحدثوا عن الانفصام التام بين القيادة السياسية والقوات المسلحة المصرية ! فخيالهم صوّر لهم أن الجيش المصري يؤيد احتلال دولة عربية بقوات دولة عربية أخرى ! كأن جيش مصر الذي ضحى – على امتداد تاريخه كله – في سبيل الدفاع عن الشعوب العربية وردع أي عدوان يقع على دولة عربية شقيقة ، هو نفسه هذا الجيش الذي يشهر به الآن الاعلام العراقي ويحاول إظهاره في صورة قوات مرتزقة لا تعترف بالمبادئ ، ولا تهتم بالعروبة ، وتهلّل للجرائم البشعة التي ارتكبتها قوات صدّام حسين في دولة عربية صغيرة ومسالمة ؟!

والذي يقرأ الصحف العراقية أو يستمع إلى إذاعتها – منذ بداية شهر أغسطس الماضي وحتى هذه اللحظة – لابد أن يعتقد أن العدو الأول والرئيسي لنظام صدّام حسين هو وليس العالم كله الذي ندّد بعدوانه على الكويت ، واستصدر قرارات بالإجماع من مجلس الأمن ضد الغزو مطالبا بانسحاب القوات العراقية وعودة الشرعية

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 3 / 11 / 1990

الشرعية إلى الكويت بدون قيد أو شرط .

فمصر – من وجهة نظر الإعلام العراقي – هي عميلة للإمبريالية الأمريكية والصهيونية والبريطانية والفرنسية والسوفييتية ! ورئيس مصر لا يردد إلا كل ما ينطق به الرئيس الأمريكي جورج بوش والمرأة الحديدية البريطانية مارجريت تاتشر ، والصهيوني الإسرائيلي إسحق شامير ! والشعب المصري – هكذا يضيف الإعلام العراقي المعصوم من الخطأ والمنزه عن الهوى – يزأر في الشوارع والحواري مطالبًا حكومته بالوقوف إلى جانب زعيم الأمة العربية صدّام حسين ، وإرسال الجيش المصري لدعم الاحتلال العراقي للكويت والمساندة في ابتلاع باقي دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ومروراً على قطر والبحرين ودولة الإمارات العربية !

والمتابع لهذه الحملات الهجومية القذرة لن يصعب عليه معرفة أسبابها والوقوف على مدى الحقد الذي يمتلىء به قلب صدّام حسين على مصر مبارك . لقد بنى الرئيس العراقي حساباته كلها – قبل وأثناء وفور غزو الكويت – على ثقة كاملة منه في أن موقف مصر لن يكون معارضًا لهذا الغزو ، أو على الأقل لن يكون مندّدًا به !

وما أكثر مبررات صدّام حسين لهذه الثقة :

العلاقة بين الرئيس مبارك والرئيس العراقي قديمة وقوية ومتينة ، وموقف مصر من حرب الخليج بين العراق وإيران كان مؤيدا للعراق ومنذ اللحظة الأولى على الرغم من استمرار قطع العلاقات بين بغداد والقاهرة ، وعلى الرغم – أولا – من أن الرئيس العراقي هو الأب الروحي لمؤتمر قمة بغداد الشهير والذي فرض على معظم الأنظمة العربية مقاطعة مصر عقابا لها على نجاحها في استرداد آخر شبر من أراضيها المحتلة .

ساندت مصر العراق في حربها ، زوّدت جيشه بكل احتياجاته من السلاح والذخيرة وقطع الغيار وتعرّضت لمزيد من تدهور علاقاتها مع طهران لا لشيء إلاّ نتيجة لالتزام مصر بالوقوف إلى جانب دولة عربية شقيقة بصرف النظر عن الجحود الذي قوبلت به من النظام الحاكم لهذه الدولة .

الدور الذي لعبه صدّام حسين من أجل توطيد العلاقة مع مصر مبارك ومن أجل إعادة العرب إلى مصر وعودة مصر إلى العرب .

فجأة .. سحب صدّام حسين كل اتهاماته التي كان يوجهها للنظام الحاكم المصري منذ توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل !

فجأة .. أصبحت مصر – بلسان صدام حسين – الشقيقة الكبرى التي لا غنى للعرب عنها والتي أدى ابتعادهم عنها لسنوات إلى هذا التشتت وهذا الضياع للشعوب العربية من المحيط إلى الخليج !

فجأة .. أصبح الرئيس المصري هو الوطني الكبير والعربي الأصيل والذي يملك وحده أن يجمع الشتات ويوحد الصفوف من أجل التصدي لكافة الأخطار التي تهدد الأمة العربية وتتربص بخيراتها وقدراتها وأحلامها في تحقيق الوحدة الشاملة ! وفجأة – أيضا – أصبحت مصر هي أغلى وأعز دولة عربية في قلب الرئيس العراقي . ففي عاصمتها وجد المأوى والأمن بعد هروبه من بغداد مطاردا من عبد الكريم قاسم ، وفي القاهرة عاش أجمل سنوات شبابه بين الشعب الكريم والأصدقاء الأوفياء والجيران الأعزاء !

ومن فرط حب صدام حسين لمصر والمصريين فتح بلاده أمام مئات الآلاف من الفلاحين والعمال المصريين ووعدهم بأعلى المرتبات وبامتلاك الأراضي الزراعية والتمتع بكل مزايا المواطن العراقي إن لم تكن أكثر منها . الصحف العراقية تحدثت طويلاً عن طيبة معدن ضيوفها من المصريين وكيف أنهم أقرب للعراقيين من أي جنسية عربية أخرى .

وفي البداية كانت تحويلات المصريين تصل إلى ذويهم في مصر بانتظام ودون قيود روتينية ، وأدى هذا إلى سفر المزيد من المصريين الذين تركوا في مصر زراعاتهم ومصانعهم ومحلاتهم وطاروا إلى العراق على أمل جنة الخلد الدنيوية هناك ، وكان من الصعب تحديد عدد المصريين في العراق . البعض حددهم بنصف مليون مصري ،

والبعض الآخر زاد على هذا الرقم فوصل به إلى المليون ، والمليون ونصف المليون .

عندما نجحت إيران في احتلال آلاف الكيلومترات من الأراضي العراقية ، وعندما دمرت معظم المدن العراقية وعلى رأسها مدينة البصرة ، وعندما نجحت القوات الإيرانية في غزو واحتلال الفاو ، وعندما كانت القنابل والصواريخ تدك العاصمة العراقية بغداد ليل نهار ، كان الرئيس صدّام حسين يرتعد خوفًا وهولاً ويتوقع الموت بين لحظة وأخرى .

عاش الرئيس المهيب المخيف ـ في هذه الفترة ـ أحلك أيام حياته ، لحظتها طار الرئيس حسني مبارك إلى بغداد ولم يهتم بأن أجواء العراق كانت مكشوفة وكانت أجهزة الدفاع الجوي العراقي عاجزة عن حماية أية طائرة حربية أو مدنية تقترب من هذه الأجواء .كان الرئيس صدّام حسين لا يصدق نفسه من هذه اللفتة الشجاعة التي قدمها له الرئيس المصري مخاطرًا بنفسه في سبيل مساندة رئيس عربي يتوقع الموت في كل لحظة من لحظات الليل أو النهار ، وفور هبوط الرئيس مبارك من سلّم الطائرة عانقه صدّام حسين وانفرد به في غرفة من غرف المطار الخاص للرئيس العراقي ، ومن المؤكد أن صدّام نسي ـ أو لعله تناسى ـ ما فعله وما قاله للرئيس مبارك فور انفراده به لعله نسي ـ أو تناسى ـ كيف تحول المهيب المخيف إلى فأر مذعور عندما انهار باكيا بين ذراعي الرئيس حسني مبارك ، ولعله نسي ـ أو تناسى ـ الصورة البشعة التي قدمها للرئيس المصري عن تدهور الدفاعات العراقية أمام الضربات الإيرانية وعن عجز الجيش العراقي وانسحابه المتصل والمخجل أمام الاكتساح الإيراني لما بعد الحدود بين البلدين ، ولعله ـ أيضا ـ نسي أو تناسى ـ ما قاله بالحرف الواحد للرئيس حسني مبارك عن رفض الحكومة الفرنسية تزويده بالمقاتلات المتطورة وبالصواريخ وبقطع الغيار لهذه الأسلحة بعد أن عجز العراق عن تسديد ديونه المتضاعفة لفرنسا ، وكيف أن تأخر وصول هذه الأسلحة الجديدة والمتطورة سيؤدي بالقطع إلى سقوط العراق كله في أيدي نظام آيات الله في طهران .

هذا كله نسيه ـ أو تناساه ـ القائد المهيب والمخيف ! ليس هذا فقط بل إنه

يتعمد الآن أن يمحو من ذاكرته ماذا كان موقف الرئيس المصري فور سماعه بالكارثة التي يتعرض لها الشعب العراقي والتي أوقعه صدّام حسين في براثنها ! لقد تفهم الرئيس مبارك حقيقة الموقف البالغ السوء الذي يواجهه العراق ، ولم يكتف الرئيس مبارك بالتعاطف مع صدام حسين بالكلمات وحدها ، وإنما ــ وهذا هو المهم ــ وعده بأنه سيبذل كل ما في وسعه وجهده لدى الحكومة الفرنسية ولدى صديقه الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران لإقناعهما بتزويد الجيش العراقي بكل احتياجاته من السلاح إنقاذا للعراق من الدمار والاحتلال . فالقضية لم تعد قضية الحفاظ على النظام العراقي ، وإنما أصبحت قضية إنقاذ الشعب العراقي من الموت وحماية العراق من محو رقعتها فوق خريطة الشرق الأوسط .

ولا داعي للتأكيد على نجاح الرئيس مبارك في الوفاء بالوعد الذي قطعه على نفسه ، فكلنا سمعنا عن أحدث أسراب المقاتلات والقاذفات الفرنسية التي تتابع وصولها إلى القوات الجوية العراقية ومعها الصواريخ الأكثر تعقيدًا وتطورًا ، مما أنقذ العراق من الكارثة التي كانت تحيق به من كل جانب ونجح في أن يصمد أمام الاجتياح الإيراني الكاسح .

الذي أريد أن أؤكده اليوم ــ فقط ــ هو مجرد الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبته العقلية العسكرية المصرية في تحرير البصرة والفاو من براثن الاحتلال الإيراني .

وإذا كان صدّام حسين يحاول تجاهل هذا الدور .

وإذا كان الرئيس المصري مبارك لم يمن على العراق به حتى الآن ، فإن كل قادة الجيش العراقي يعرفون هذه الحقيقة ويعترفون بها همسًا في جلساتهم الضيقة .

يكفي أن أقول إن أرقى العقول العسكرية المصرية التي درّبت وخططت لكل عمليات تحرير الأراضي العراقية استمرت إقامتها في العراق وبإلحاح من الرئيس العراقي نفسه وحتى بعد وقف الحرب بين العراق وإيران ، ويكفي أن أقول ــ أيضا ــ إن

آخر دفعة من تلك العقول العسكرية المصرية – وعددها 36 من أساتذة التدريب على القتال الجوي – عادت إلى القاهرة منذ أيام قليلة ماضية !

ماذا كانت تفعل تلك العقول العسكرية المصرية في العراق ؟ وماذا كان دورها في الحرب العراقية الإيرانية وبالذات في شهورها الأخيرة عندما انقلبت الموازين وثقلت كفة العراق وحقق تحرير البصرة والفاو وآلاف الكيلو مترات التي كانت القوات الإيرانية تحتلها وتمحو هويتها وتضاريسها ؟!

لست في حاجة إلى سماع إجابة عن هذه الأسئلة وغيرها من النظام العراقي الذي عرف بالجحود وتميز بنبذ الاعتراف بالجميل ، تمامًا كما أرسل جيشه لغزو واحتلال الكويت التي طالما زودت العراق بآلاف الملايين من الدولارات وطوال سنوات حرب الخليج وما بعدها !

تزايد (اندلاق) صدّام حسين على مصر بعد أن انتهت حربه المجنونة مع إيران . كان أول المنادين بإعادة مصر إلى موقعها التقليدي كقائدة للأمة ، وكان أكثر المعجبين بحكمة الرئيس المصري حسني مبارك وبوطنيته وشجاعته وعروبته ، وكانت القاهرة هي أول عاصمة عربية يزورها بعد انتهاء الحرب ليعلن للشعب المصري عظيم احترامه ، وليبدي للرئيس المصري كل امتنانه واعترافه بالجميل ، و لم يكتف صدّام حسين بذلك وإنما صمم على إقناع الرئيس مبارك بأهمية وضرورة قيام مجلس التعاون العربي بين العراق ومصر والأردن واليمن ، ووافق الرئيس المصري على قيام هذا المجلس في الوقت نفسه الذي أكد فيه لكل الملوك والرؤساء العرب أن هذا المجلس ليس محورًا ضد أية مجالس اقتصادية تعاونية أخرى ، وإنما هو مجرد إضافة لها ومن خلال الجامعة العربية .

وبسرعة البرق قام هذا المجلس وبإلحاح مستمر من الرئيس العراقي الذي كان يستعجل خطواته وينادي بالمزيد من تحالفات الدول الأعضاء وأهمها التحالف العسكري وهو الذي رفضه الرئيس مبارك وشكك في جدواه وفي أهدافه .

ولم ييأس صدّام حسين ، فمن رأيه أن كل مراحل الاندماج يمكن أن تتحقق بمزيد من الوقت وبمزيد من الإلحاح على سمع الرئيس حسني مبارك ، فصدام حسين لا يهتم بموافقة أو معارضة الأردن أو اليمن السعيد ، اهتمامه فقط كان محصورًا ومقصورًا على مصر وحدها ، فإذا نجح في ذلك فإن موافقة الملك حسين والشاويش المشير علي عبد الله صالح هي مجرد تحصيل حاصل ولا أهمية لها أو لهما .

عندما بدأت توابيت القتلى المصريين في العراق تصل تباعا – وبالعشرات – إلى مطار القاهرة سارع صدام حسين بإرسال نائبه والرجل الثاني في النظام – ياسين رمضان – إلى القاهرة ليتحدث في جامعة القاهرة وفي المؤتمرات الصحفية ليؤكد كذب كل ما قيل عن أسباب هذا القتل الجماعي للفلاحين والعمال المصريين في بلاده ، وأكد أن الرئيس العراقي أمر بإعدام أي عراقي يثبت أنه قتل مصريًا في العراق ، ليس هذا فقط بل أعلن – أيضا – أن صدام حسين ألغى صفقات استيراد لبن الأطفال وحرم أطفال العراق من طعامهم الوحيد حتى يحول ثمنه إلى المصريين العاملين في العراق !!

وتقبل الشعب المصري – بكل ألم – هذه التبريرات السخيفة وغير المقنعة وكان الشعب المصري يقرأ بكل الحسرة ما تنشره بعض الصحف المصرية دفاعا عن العراق وبأقلام مصرية .

تصوّر صدّام حسين أنه نجح في إختراق كل الصحف المصرية كما نجح من قبل في اختراق الصحف الأردنية والفلسطينية واليمنية وغيرها . فبمناسبة الإعلان عن قيام مجلس التعاون العربي أصدر الرئيس صدّام حسين قرارا بإهداء عشرات من أفخر السيارات لكل من حضر هذا الاحتفال في بغداد من وفود مصرية وأردنية ويمنية . وكان معظم رؤساء تحرير الصحف القومية والحزبية المصرية في صحبة الرئيس مبارك فأهدى صدّام حسين سيارة مرسيدس آخر موديل لكل واحد منهم ، كما أهدى سيارات أخرى – أكثر فخامة أو أقل – لكل عضو في الوفد المصري . ووصلت هذه السيارات إلى القاهرة ، وكانت مفاجأة لكل من جاءت باسمه ولكل من سمع

بها . فهذه هي أول مرة نسمع فيها عن هذا البذخ وهذا الإسراف ومن دولة خرجت من الحرب مفلسة لدرجة أن رئيسها يحرم أطفاله من الحليب لضيق ذات اليد في الوقت الذي يشتري فيه سيارات بملايين الدولارات ليوزعها كهدايا على أعضاء جميع الوفود الأربعة التي شاركت في الاحتفال الكبير ؟!

وكان الرئيس مبارك أول من تنبه إلى هذا المخطط العراقي لاختراق أجهزة الإعلام المصرية ولكل وزير أو مسئول تلقى هذه الهدية ، فكان قرار الرئيس مبارك هو عدم تمليك هذه السيارات لمن وصلت بأسمائهم فالسيارات الخاصة بالوزراء وبموظفي رئاسة الجمهورية نقلت ملكيتها للحكومة ، كما أن السيارات التي وصلت إلى معظم رؤساء تحرير الصحف القومية تملكتها المؤسسات الصحفية التي يعملون فيها ، في حين آلت ملكية سيارات رؤساء تحرير الصحف الحزبية إلى الأحزاب التي تصدر هذه الصحف عنها .

كان الرئيس مبارك بعيد النظر في هذا القرار وبذلك حمى بلادنا من هذا الاختراق العراقي الذي كان يمهّد لغزو الكويت منذ زمن طويل وعلى طريقة أن « يطعم الفم فيستحي القلم » !

وشتان الفارق هنا في مصر وهناك في الأردن أو اليمن . فالملك حسين والشاويش علي عبد الله صالح سمحا لكل من وصلته الهدية الثمينة بامتلاكها ! وسمعنا أن رؤساء تحرير الصحف الأردنية - التي تهلل الآن للغزو العراقي للكويت وتصب اللعنات على مصر مبارك ليل نهار - طلبوا من الرئيس صدام تغيير الهدية من السيارات المرسيدس إلى فيللات يسكنونها فوافق (بابا نويل العراق) على الطلب بلا تردد ! وقيل أيضا إن أعضاء الوفد اليمني طلبوا من صدّام أن يسدّد لهم الرسوم الجمركية على تلك السيارات فأمر بالصرف على الفور علما بأن الشاويش علي عبد الله صالح أعفى هذه السيارات من الرسوم الجمركية فأصبحت هدية صدام لرؤساء التحرير اليمنيين هديتين الأولى : عينية والثانية نقدية !

ولم يكتف صدام حسين بمحاولة اختراق قيادات الصف الأول الإعلامي المصري وإنما توسع كثيرا في محاولاته الاختراقية عن طريق منح الأوسمة والجوائز المالية الضخمة للكتاب والعلماء والباحثين المصريين وعن طريق الدعوات المفتوحة لكل الصحفيين والإعلاميين والفنانين والرسامين و .. و .. وإلى آخر المبدعين ، ونفس الشيء فعله مع الأردنيين واليمنيين والفلسطينيين ، أملا في (كسر أعينهم) عندما يحين الوقت الذي ينتظر منهم التأييد والدعم والتهليل .

وجاء الوقت في 2 أغسطس وما بعده ..

فوجيء العالم بالغزو العراقي الوحشي للكويت وكان الرئيس مبارك أول المصدومين وأكثرهم ألما نتيجة خداع الرئيس العراقي له وهو الذي لم يقدم له غير كل خير وكل مودة ، وكما فوجيء الرئيس مبارك بموقف صدام حسين ، فوجيء صدام حسين بموقف حسني مبارك . مبارك صدم من الخديعة ومن الغزو .. أما صدام حسين فقد صدم في موقف مبارك الذي جاء رافضا ومنددًا بالغزو وبالجريمة العظمى التي ارتكبها العراق في حق دولة عربية مسالمة ..

وتوالت صدمات صدام حسين ..

صدم في الإعلام المصري ، وهو الذي كان يتوهم أنه نجح في خداعه واختراقه ففوجيء بأعنف إعلام رافض للغزو ومندد بالاحتلال وكاشف عن أبعاد الجريمة العظمى « حملة الأوسمة العليا والذين فازوا بأكبر الجوائز العراقية – من الكتاب والفنانين المصريين – كانوا أول من ندد بجريمة صدام حسين وأكثر الرافضين لإرهابه ولاحتلاله الكويت . الشارع المصري – الذي يضم المواطن المصري العادي والذي لا علاقة شخصية له بالكويت أو العراق – وقف موقفًا رائعًا عندما رفض الغزو العراقي ، والتف حول قائده بشكل جماعي أثار انتباه كافة المراقبين ووجد اعترافا بالجميل من الشعب الكويتي المنكوب ومن كل شعوب دول الخليج الأخرى ليل نهار ؟!

وعلينا أن نجد العذر لهذا المصدوم الكلوم ..

كان يتوقع تأييدًا من مصر مبارك ، فوجد رفضا وتنديدًا وكان ينتظر على الأقل صمتا وموقفا مائعا مثل موقف الملك حسين و « الأراجوز » عرفات و « الشاويش » علي صالح و « الماريشال » البشير ، ففوجيء بأن الصوت الرافض المصري كان أعلى الأصوات وأكثرها تأثيرًا وأخطرها تحذيرًا !

تصوروا ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن مصر مبارك وقفت إلى جانب العراق وأرسلت جيشها ليدعم احتلاله للكويت، وتقدمه لاحتلال السعودية والبحرين وقطر والإمارات العربية ؟! لو حدث هذا لماتت أزمة الخليج في مهدها ، ولضاعت كل صيحات الرفض والتنديد في العالم العربي وسط صرخات صدام حسين ومبايعته زعيمًا ملهمًا ، وقائدًا مظفرًا ، ورئيسًا لكل العرب من المحيط إلى الخليج !

الموقف المصري بدّد هذه الأحلام كلها .. الرفض المصري أضاع على لص بغداد الغنيمة الكبرى التي كان يستعد لالتهامها . والتحرك المصري السريع والمؤثر وضع حدا لطموحات وفتوحات صدام حسين وأوقعه في هذا المأزق الذي لا يعرف كيف ولا متى سيخرج منه سالمًا ؟!

* * *

إذا كانت مصر مبارك فعلت هذا كله ضد صدام حسين ، فهل يعقل أن نعاتب الرئيس العراقي على بذاءاته وسفالته وكراهيته التي يبثها ليل نهار – عبر أجهزة إعلامه – ضدنا وضد شعبنا وضد جيشنا وضد رئيسنا ؟!

لا أعتقد .

التآمر .. ملكا ![*]

من السهل تفهّم أسباب غضب الرئيس العراقي من مصر فور إعلان موقفها الشعبي والرسمي من غزو العراق للكويت . فصدمة صدام من هذا الموقف كانت هائلة ، اضطرته إلى إعادة حساباته وتحسّب خطواته ، مما دفعه إلى صبّ جام حقده وكراهيته على بلد وقيادة لم يلق منهما غير كل ودّ وحب ومساندة ! حقيقة أننا صدمنا في النظام العراقي ، ولكن حقيقة – أيضا – أن صدمتنا الثانية ، والأكثر ، جاءتنا من موقف جلالة الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية .

لا يعنينا أن الملك حسين وقف موقفًا مائعًا فور قيام العراق بغزو واحتلال الكويت ! لا يعنينا أن العاهل الأردني اختار أن يرقص فوق حبلين ، على أمل أن يمسك بحبل إذا انقطع الآخر ! لا يعنينا أن أقدم حاكم عربي ما يزال يتصور أنه أذكى من كل حكام العرب وأكثرهم خبرة وحنكة بحيث إنه يستطيع أن يخدعهم بكلماته ، ويخدرهم بمبادراته ، ويشتت مواقفهم بتحركاته واتصالاته وسفرياته ! ولا يعنينا – أيضا – أن الملك حسين حاول أن يظهر أمام العالم في صورة المسئول العربي الذي يسعى إلى السلام ويندد بأعداء العرب ويطالب بالحل العربي لمشكلة عربية !

هذا كله لا يعنينا في كثير أو قليل .. الذي يهمنا – فقط – هو تفسير الموقف الغريب الذي يقفه العاهل الأردني من مصر فور الإعلان عن موقفها الشعبي والرسمي ضد العدوان العراقي على الكويت ، وتزداد الصعوبة في إيجاد هذا التفسير بالمقارنة بمواقف باقي العصابة التي شاركت الملك حسين في تأييده للعراق لأسباب معروفة وغير مفاجئة .

(*) جريدة أخبار اليوم الصادرة بتاريخ 17 / 11 / 1990

فالملك ليس الوحيد من بين ملوك ورؤساء العالم العربي الذين وقفوا إلى جانب الباطل وضد الحق . حقيقة أنهم قلة ويعدون على أصابع اليد الواحدة ، ولكن حقيقة – أيضا – أنهم جميعا – ما عدا الملك حسين – حرصوا على تغليف تأييدهم للعراق بغلاف ممزق استخدمت في نسجه خيوط النفاق ، والرياء والتردد ، والتقدم خطوة ثم العودة خطوتين !

كلهم – ما عدا الملك حسين – أيدوا الغزو العراقي للكويت ضمنا ولكنهم حرصوا – في الوقت نفسه – على خداع أنفسهم قبل خداع غيرهم بإعلان رفضهم لاحتلال الكويت ، وحرصهم على إبعاد شبح الحرب عن منطقتنا ، وحرصهم الأكبر على عدم الإساءة إلى غالبية الدول العربية التي رفضت العدوان ونّددت بالغزو ووقفت موقفًا حاسمًا وواضحًا ضد الجشع العراقي والوحشية العراقية .

ياسر عرفات .. يبكي لطوب الأرض مؤكدًا أن لحم أكتافه من خير الكويت ومن خير باقي شعوب الخليج ، وأنه لا ينام الليل حزنًا وألمًا لشعب الكويت الذي أصبح مشردًا مثل شعبه الفلسطيني ، وهائمًا بلا وطن ولا هوية ، شأنه شأن كل الفلسطينيين ، ولا يكتفي الأراجوز عرفات بإطلاق العنان لدموعه ، وإنما نراه يرسل مبعوثيه إلى كل العواصم العربية التي كشفت خداعه وتدنيه وانتهازيته – وعلى رأسها القاهرة – ليؤكد أنه لم يخطىء ، ولم يخن ، ولم يغدر ، وأن كل ما قاله أسيء فهمه ، وكل ما نسب إليه لم يصدر عنه !! فهو – كما يزعم – العربي الأصيل الذي يعترف بالجميل ويضحي بحياته من أجل كل من منحه دينارًا أو ألقمه لقمة .

الفريق علي عبد الله صالح .. يشكو لطوب الأرض أيضا من أن الصحافة المصرية أساءت إليه وشككت في موقفه وأظهرته في صورة المؤيد لاحتلال الكويت والحقيقة أنه ضد هذا الاحتلال ، ولكنه فقط ضد الوجود العسكري الإمبريالي فوق الأراضي العربية !! ومراسلات الرئيس اليمني مع العواصم العربية – وعلى رأسها القاهرة – لا تتوقف وكلها مجرد كلمات طيبة تنشد الودّ وتحاول كشف الغموض وتؤكد على الالتزام بالحق .

وما فعله الأراجوز والفريق فعله مثله البشير السوداني وزين العابدين التونسي ، موقف راقص فوق الحبال ، ومحاولة مكشوفة لخداع الغير بأكبر كم ممكن من كلمات النفاق والخداع والتمسك بشعارات ولافتات مضى زمانها وأوانها .

جلالة الملك حسين اختلف مع زملائه . لم يستطع أن يواري ميوعة موقفه . لم يحاول أن يتمسك بالبقية الباقية من أواصر علاقاته وصداقاته مع الآخرين ، ولم ينجح في كبت مشاعره العدائية لمن لم يسئ إليه ولم يعاتبه على موقفه الشائن منذ اندلاع الأزمة في 2 أغسطس وحتى يومنا هذا .

فوجئنا بعاهل المملكة العربية الهاشمية يترك الغزو العراقي الوحشي للكويت ويتربص بمصر : قيادة وصحافة وسياسة وموقفًا فوجئنا به يتجاهل احتلال بلد عربي شقيق بالقوة ويتفرغ تمامًا لإلقاء تبعة هذا الاحتلال على الرئيس حسني مبارك ، وفوجئنا به – أيضا – يتناسى أن المنطقة كلها تتربع فوق فوهة بركان يغلي من تحتها ، وبدلا من أن يساعد في إطفاء النار .. رأيناه يسكب الزيت فوقها ليزيدها اشتعالا وتوهجًا .

لماذا يفعل الملك حسين هذا كله ؟!

لا أحد يعرف على وجه التحديد ! فالأسباب كثيرة ومتنوعة ومتناقضة ، وتزداد الصعوبة كلما قرأنا تصريحًا نسب إلى جلالته ، أو كلما سمعنا عن بيان صدر عنه وألقاه أحد المتحدثين باسمه .

والأمثلة عديدة :

في العدد الأخير من صحيفة لوبوا – الفرنسية – أدلى الملك حسين بحديث قال فيه :

(إن الصراع الدائر حاليا في الخليج هو أخطر ما شهدته المنطقة في تاريخها . فالحرب ستكون كارثة هائلة ستؤثر تأثيرًا خطيراً ليس على المنطقة وحدها ، وإنما على الاقتصاد العالمي كله . إذا نشبت الحرب فطلقتها الأولى ستكوَن في أية لحظة ، تمامًا

كما أنه يمكن أن تتخذ الأزمة اتجاهًا مغايرًا نحو التسوية السلمية ، وهذه التسوية السلمية هي الهدف الوحيد من وراء اتصالاتي وتحركاتي ومبادراتي .

إننا ضد ضم أراضي الغير بالقوة ، وموقفنا في ذلك واضح بالنسبة للأراضي التي احتلتها إسرائيل في 67 أو في غيرها . حقيقة أنه تربطنا علاقات قوية وطيبة مع العراق وعلينا ألا ننسى أن العراق هو الذي دافع عن الاستقرار في منطقتنا بما فيها استقرار المملكة العربية السعودية خلال 8 سنوات من الحرب ضد إيران » .

كلمات عادية يمكن المرور عليها مرور الكرام ، وإن كنّا لا نعتقد في مصداقيتها خاصة عندما يتحدث العاهل الأردني عن الدور التاريخي الذي قامت به العراق للدفاع عن استقرار المنطقة ، وكأن إيران هي التي أعلنت الحرب ضد العراق وليس العكس ؟! كأن تدهور العلاقات بين إيران والسعودية لم يكن بسبب تأييد السعودية للعراق في حربه المجنونة ضد إيران ؟! أو كأن هذا الاستقرار الذي يتحدث عنه الملك حسين لم يتبدد الآن بعد أن تنازل صدّام حسين عن كل مكاسبه الهزيلة من هذه الحرب لإيران ، وأعاد الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل نشوب تلك الحرب ؟!

المهم ..

سألت المجلة الفرنسية الملك حسين :

– (سبق أن صرّحت بأنه كان من الممكن تفادي هذه الأزمة ومنذ الساعات الأولى لاحتلال الكويت لو لم يبادر مؤتمر القمة العربي الطارئ في القاهرة بإدانة العراق ؟)

وأجاب العاهل الأردني :

(إنني متأكد تمامًا من ذلك . لقد اتصلت بالرئيس صدّام حسين في اليوم الأول لاندلاع الأزمة ووجدته مستعدًا للانسحاب من الكويت ، بل وحدد أمامي موعدًا قريبًا لبدء هذا الانسحاب بشرط واحد : ألا تدين الجامعة العربية العراق ، وكانت كلماته المحددة لي بالنص : « قل لإخوتي العرب ألا يدوّلوا هذا الصراع . قل

لهم أيضا إن الإدانات والتهديدات لا معنى أو تأثير لها لدينا ، قل لهم إننا نستطيع أن نبدأ بالانسحاب ، ولكن ليكن واضحًا أمامهم ضرورة تسوية مشكلة الحدود » .

وأضاف الملك حسين فقال : « إنه قام على الفور بنقل هذه الرسالة المحددة والواضحة والعادلة إلى الأخوة العرب ، وقال أيضا : إن الرئيس حسني مبارك وعدني بأنه لن تكون هناك إدانة من المؤتمر إلى أن تنتهي مهمتي في بغداد ، ومع الأسف الشديد – كما يدعى الملك حسين – لم يتحقق هذا !) .

ولا أعرف من يخدع من ؟!

إن ما حدث قبل وأثناء وبعد انعقاد قمة القاهرة مازال ماثلاً في أذهاننا ومعلنًا وثابتًا مسموعًا ومكتوبًا .

لقد التزمت كل الدول العربية بعدم إعلان إدانتها للعراق التزامًا بوعدها للملك حسين الذي تطوّع بالتوسط لدى صدّام حسين منذ اليوم الأول لاندلاع الأزمة ، وكم تحمّل الملوك والرؤساء العرب من تذمر شعوبهم نتيجة لهذا الصمت الغريب على عدوان وحشي قامت به دولة عربية ضد دولة عربية شقيقة ومسالمة ، وعلى الرغم من ذلك تحمّل الرئيس مبارك هذا الضغط الشعبي الجارف أملاً في نجاح الملك حسين في مهمته لدى صدّام حسين والتوصل إلى تسوية سلمية تقي منطقتنا وشعوبنا أهوال ما ينتظرها من أخطار وتفتت وانقسامات .

وكان الاتفاق بين الرئيس مبارك والملك حسين أن يحصل الأخير من صدام على وعد بالانسحاب الفوري من الكويت حتى يمكن لمؤتمر القمة المضي في تحقيق التسوية السلمية دون إدانة للباطل العراقي .

وطار حسين إلى بغداد وتعانق مع صدام وأغلقت خلفهما الأبواب ودارت المباحثات الثنائية لعدة ساعات ثم عاد حسين إلى عمان ليتصل بالرئيس مبارك تليفونيًا ويطلب منه ألا يدين مؤتمر القمة العدوان العراقي ، وعندما سأله الرئيس مبارك عن رأي صدام في شرط إعلان الانسحاب من الكويت فوجيء الرئيس مبارك بالملك

حسين يقول إن هذه الجزئية لم يتعرضا لها خلال اللقاء !

ولم يكن من الممكن على الرؤساء والملوك العرب الانتظار على صدّام حسين أكثر مما انتظروا . فلا هم يستطيعون تجاهل الباطل ، ولا هم يقدرون – أيضا – على تجاهل الضغط الهائل الذي تمارسه شعوبهم عليهم لوقف العدوان وإنهاء الاحتلال في الكويت .

كل هذا نعرفه ويعرفه الملك حسين قبلنا . فهو المايسترو الذي قاد عصابة الأربعة تمييع الأزمة وتقسيم الصف العربي ومنع الاتفاق حول التسوية السلمية ، وعلى الرغم من ذلك نسمعه الآن يحمّل رئيس مصر مسئولية نسف هذه التسوية ، بزعم أنه تسرّع وحشد القادة العرب ليعلنوا من القاهرة إدانتهم للعدوان العراقي .

إن القادة العرب انتظروا طويلا حتى يعطوا للعاهل الأردني الفرصة كاملة ليحصل من الرئيس العراقي على وعد بالانسحاب الفوري من الكويت ، وغاب الحسين طويلا ثم عاد ليطالب قادة العرب بعدم إدانة العراق ، وعندما سألوه عن الانسحاب من الكويت قال بكل بساطة إنه لم يبحث هذه الجزئية مع الرئيس العراقي ؟!

الذين يحسنون الظن بالعاهل الأردني قالوا وقتها إن الملك حسين نسي بحث هذه الجزئية بحسن النية ، أما الذين لا يثقون في الملك حسين – وما أكثرهم – فإنهم لم يقتنعوا بكلامه ولا بوساطته ولا حتى بحرصه المزعوم على إبعاد خطر الحرب عن منطقتنا العربية . فمن رأيهم أن كل مواقف العاهل الأردني منذ اندلاع الأزمة وحتى يومنا هذا تؤكد أن الملك حسين ليس بداعية السلام الذي يحاول تقمص شخصيته ، وليس – بالقطع – هذا الوسيط الأمين الذي تطوّع منذ اليوم الأول لاندلاع الأزمة للبحث عن تسوية سلمية لها بعد أن ثبت أنه كان – في مباحثاته – يخفي مالا يعجبه – ويكذب فيما يعنيه بلسانه ، أنه يحاول الآن أن يبرئ صدّام حسين من أنه يتمسك باحتلاله أرض الكويت – ويدعي – في حديثه للمجلة

الفرنسية – أن صدام حسين وافق على الانسحاب بشرط عدم صدور إدانة له من مؤتمر قمة القاهرة ؟!

إذا كان صدّام حسين عرض بالفعل الانسحاب من الكويت – كما يزعم الملك حسين – فلماذا أقدم على غزوه واحتلاله أصلا ؟ وإذا كان صدّام حسين يريد تسوية الأزمة سلميا وبحث مشكلة الحدود مع الكويت داخل إطار الجامعة العربية وبعد الانسحاب ، فلماذا لم يعلن نائبه الأول – الصول طه ياسين رمضان الذي رأس وفد بلاده في مؤتمر قمة القاهرة – هذه المبادرات كلها أمام المؤتمر بدلا من أن يوزع شتائمه على أعضاء الوفد الكويتي ، فيتهم الشيخ صباح الجابر بأنه من عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، ويلقي بطبق ناحية الشيخ سعد الصباح ؟!

وإذا كان الصول طه ياسين رمضان لم يعلن استعداد رئيسه للانسحاب الفوري من الكويت لأسباب لايجهلها أحد ، فلماذا صمت العاهل الأردني الذي كان حاضرا طوال جلسات مؤتمر القاهرة ؟ لماذا لم يعلن أمام قادة العرب نص ما قاله صدام حسين له عن الانسحاب ؟!

هل يعقل أن يحمل الملك حسين مثل هذه الرسالة ثم لا يعلن عنها في المؤتمر الذي عقد خصيصًا من أجل البحث عن تسوية سلمية لأزمة الخليج ؟

وهل يعقل أن يحتفظ العاهل الأردني – الذي لا ينام الليل خوفًا على الأمة العربية من أهوال الحرب المنتظرة – لنفسه برسالة صدّام حسين التي يبدي فيها استعداده للانسحاب الفوري من الكويت ، ثم لا يعلن عنها إلا في حديثه للمجلة الفرنسية وبعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر كاملة ؟!

العلاقات بين مصر والأردن كانت طيبة حتى اندلاع أزمة الخليج كما أن العلاقة بين الرئيس حسني مبارك تعدت العلاقات الرسمية بين رئيسين لدولتين ، إلى علاقة صديقين تزداد قوة ومتانة بمرور الزمن . وعندما اندلعت أزمة الخليج اتخذ الملك حسين موقفًا منها يختلف عن موقف الرئيس حسني مبارك في البداية لم يكن من

المتوقع أن تتأثر العلاقات بين القاهرة وعمان ، ولا بين مبارك وحسين نتيجة لهذا الخلاف في الرأي والسياسة ، أو على الأقل كان هذا هو ما كانت مصر تتوقعه من جانب الأردن خاصة أن مصر وقفت موقفًا صريحًا إلى جانب الحق وضد الباطل ، ولم تحاول أن تلعب فوق الحبال ، ولم تهادن أو تناور أو تتنازل عن مبادئ آمنت بها وعن تقاليد لا تتخلى عنها .

ولكن ما كنا ننتظره ونتوقعه فوجئنا بعكسه تمامًا .

فوجئنا بتصريحات أردنية رسمية تترك كارثة احتلال بلد عربي بقوات البغي العراقية وتتفرغ للإساءة إلى مصر وتنتقد سياستها ، وتكذّب رئيسها ، وتسخر من معاناة شعبها ، وتتهم صحافتها الحرة بالعمالة وتصف أصحاب الأقلام المصريين بأبشع الصفات !

كأن الرئيس حسني مبارك هو الذي أمر بغزو الكويت ؟! كأن الجيش المصري هو الذي احتل الكويت وقتل من قتل وشرّد من شرّد من شعبها ؟! كأن مصر هي التي تسببت في إثارة العالم كله ضد العراق وضد العرب بصفة عامة ؟! أو كأن تمسك مصر بضرورة الانسحاب العراقي من الكويت هو العقبة الوحيدة أمام تسوية الأزمة حلاً سلميًا على الطريقة الأردنية الهاشمية ؟!

تباكى جلالة الملك حسين على الكارثة التي تهدد الأمة العربية بالحرب الشاملة والمدمرة ، في الوقت الذي لا هم له فيه غير نسف كل محاولات التوصل إلى السلام .. الواحدة بعد الأخرى !

سمعنا عن مبادرة الملك الحسن – عاهل المغرب – التي دعا فيها إلى عقد مؤتمر قمة عربي طارىء وصفه بالفرصة الأخيرة أمام إبعاد خطر الحرب عن المنطقة .

أبطال عصابة الأربعة – ما عدا الملك حسين – سارعوا بإعلان موافقتهم العلنية أو السرية على حضور هذه القمة ، ربما حتى يستمر تراقصهم فوق الحبال وحتى يعود السذج إلى تصديقهم مرة أخرى . موقف الملك حسين – الذي لا يترك بوقا إلا صرخ فيه محذرًا من الهول ومطالبا بالحل السلمي – كان غريبًا وعجيبًا وإن

جاء منسجمًا ومنطقيًا مع تاريخه السياسي الطويل ! لقد سارع الملك حسين بنسف مبادرة الملك الحسن قبل أن تعلن باقي الدول العربية الأخرى رأيها .

فوجئنا بالمستشار الصحفي للملك حسين – خالد محادين – يملي على الصحفيين البيان التالي :

(من الصعب تصوّر انعقاد قمة عربية ناجحة بينما القادة العرب يديرون ظهورهم لبعضهم البعض ! فلا شك أن التجربة مع قمة القاهرة كانت مريرة حيث كانت غطاء لدعوة الغزاة إلى وطننا ! ومن هنا فإن قمة مماثلة تثير الرعب من نتائجها ! أن المطلوب هو قمة حقيقية وليست قمة تقدم لأعدائنا دليلاً آخر على عجزنا ! هل هناك علاقة بين جولة جيمس بيكر – وزير خارجية أمريكا – التي لم تجد أي حماس لفكرة العدوان على العراق إلا من القيادة المصرية ، وبين تلك القمة التي يمكن أن تهيىء الظروف لعدوان على العراق ؟!) .

انتهى تصريح وتعليق جلالة الملك حسين حول مبادرة زميله وصديقه العاهل المغربي جلالة الملك الحسن الثاني ، والذي تلاه نيابة عنه مستشاره الصحفي خالد محادين في نفس اليوم الذي طار فيه الصول طه ياسين رمضان – النائب الأول لصدام حسين – إلى الرباط لبحث المبادرة المغربية مع الملك الحسن .

وما أغرب وأعجب ما جاء في هذا التصريح .

فالعاهل الأردني يشكو من الانقسامات العربية ومن القادة العرب الذين يديرون ظهورهم لبعضهم البعض ، ولم يسأل جلالته نفسه من الذي أحدث هذه الانقسامات وهذه الطعنات في الظهر ؟ هل هم قادة العرب الذين رفضوا العدوان على الكويت ، أم هم قادة العرب الذين أيدوا هذا العدوان ؟! من الذي خلق هذه الأزمة الهائلة التي زعزعت الأمن داخل كل شبر من الأرض العربية ؟ هل هو الشيخ جابر الصباح الذي احتلت بلاده ونهبت خيراتها وقتل وشرّد شعبها ، أم هو الرئيس حسني مبارك الذي وقف إلى جانب الحق ورفض الباطل ، أو لعله الملك فهد الذي

فوجىء بالقوات المسلحة العراقية ترابط عند حدوده بعد أن اجتاحت الكويت في طريقها ؟

والملك حسين يندد بقمة القاهرة التي اضطرت إلى إدانة العدوان العراقي بعد أن نسي جلالته بحث جزئية الانسحاب من الكويت خلال مقابلته الطويلة مع صدام حسين في بغداد !! ومن رأي الملك حسين أن هذه القمة كانت مريرة بنتائجها ومريرة بقراراتها لدرجة أن الهدف الوحيد من ورائها كان – كما يزعم – هو تقديم الغطاء لدعوة قوات الغزاة إلى الوطن العربي .

وما أسخف هذا الرأي وما أوضعه ، فجريمة مؤتمر قمة القاهرة – من وجهة نظر العاهل الهاشمي – أنه وافق على أن تطلب المملكة العربية السعودية المساندة والمساعدة العسكرية من الدول العربية والإسلامية والصديقة ، لا للعدوان على الغير ، وإنما حماية لحدودها وأرضها وشعبها ، كأن المفروض على السعودية أن تلقى نفس مصير الكويت التي احتلت في ساعات معدودة من قبل قوات ضخمة لا تملك الكويت صدّها أو مواجهتها ؟! كأن المنتظر من الحكومة السعودية أن تستسلم للعدوان العراقي دون قيد أو شرط ولا تحاول الدفاع عن بلادها أو تطلب من الأصدقاء حمايتها من غدر الشقيق ؟! وكأن المطلوب من الحكومة الكويتية ومن الشعب الكويتي أن يؤيد غزو بلاده ويهلّل لاحتلاله ، وتشريد سكانه ، وإلغاء هويته انتظارا للحل السلمي والجهنمي الذي يبشر به جلالة الحسين والعصابة من حوله ؟!

لم يكتف العاهل الأردني بالتنديد بكل الملوك والرؤساء العرب الذين أدانوا العدوان العراقي وطالبوا صدام حسين بسرعة الانسحاب من الكويت ووافقوا على إرسال قوات عسكرية للمساعدة في حماية السعودية ، وإنما ندّد أيضا بالمبادرة السلمية التي طرحها العاهل المغربي الملك الحسن ووصفها بأنها الفرصة الأخيرة لمنع نشوب كارثة الحرب المنتظرة ، والملك حسين لا يكتفي برفض هذه المبادرة وإنما يتطاول على زميله وشقيقه العاهل المغربي فيتهمه – من خلال اتهامه لمبادرته – بأنها ستكون غطاء للعدوان الأمريكي على العراق ، لا لشيء إلا نتيجة لجولة وزير الخارجية

الأمريكي في المنطقة .

هكذا بكل بساطة يتهم الحسين الحسن بأنه يأتمر بأوامر الولايات المتحدة الأمريكية التي حملها له وزير خارجيتها للدعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربية بهدف إصدار قرار بشن الحرب ضد العراق .

لقد كنا نتصور أن زمن اتهام بعضنا للبعض الآخر بالعمالة للإمبريالية أو الشيوعية قد مضى وولّى من زمن بعيد ، ولكن العاهل الأردني الذي يتحلّى بالخلق الطيب وبالتربية الرفيعة جاء اليوم ليؤكد – بكل صفاقة – أن قادة العرب عملاء للولايات المتحدة الأمريكية .. تحركهم وتُنطقُهم كما تشاء !

إن العاهل المغربي كان واضحا في مبادرته عندما دعا إلى عقد مؤتمر قمة عربي طارئ ، وعندما أكد من جديد رفضه للاحتلال العراقي لدولة الكويت ، كما طالب العرب بضرورة البحث عن تسوية سلمية لهذه الأزمة ولغيرها من الأزمات والقضايا العربية المعلقة .

وإذا كان صدام حسين قد بادر بوضع العديد من الشروط كعقبة أمام انعقاد هذه القمة ، إلا أنه لم يتهم العاهل المغربي بالعمالة للولايات المتحدة الأمريكية ، كما اتهمه بذلك صراحة صاحب الجلالة المتربع فوق عرش المملكة الأردنية الهاشمية ليس هذا فقط ، بل إن حاكم العراق – المسئول الأول عن الكارثة – تماشى مع العاهل المغربي أملاً في كسب الوقت – أي وقت – وأوفد نائبه الأول الصول طه ياسين رمضان إلى الرباط للتشاور مع الملك الحسن في مبادرته ، مما أزعج العاهل الأردني فسارع بإصدار بيان يتهم فيه المبادرة بالخيانة ويتهم صاحبها وكل من يشارك فيها .. بالعمالة .

كيف يقول الملك حسين إنه يسعى إلى التسوية السلمية ، في الوقت الذي يرفض فيه آخر فرصة لوّح بها العاهل المغربي لتحقيق هذه التسوية ؟! كيف يمكن أن نصدّق ملك الأردن عندما يحذرنا من كارثة الحرب الوشيكة وهو الذي يرفض أن يجتمع

قادة العرب حول مائدة واحدة لبحث كيفية إبعاد شبح هذه الكارثة التي لا عهد للعرب بها من قبل ؟! وكيف يجد الملك حسين مؤيدا واحدًا لمزاعمه السلمية وللحل العربي ولخطر تواجد القوات الأجنبية فوق أرضنا ، ونحن نسمعه اليوم يوزع بذاءاته واتهاماته على باقي قادة العرب حتى يرهبهم ويمنعهم من الموافقة على الدعوة إلى عقد مؤتمر القمة الطارئ والعاجل ؟!

وتزداد دهشتنا وحيرتنا مع الملك حسين عندما نستعيد مواقفه القديمة ونقارنها بمواقفه الجديدة والغريبة في الوقت نفسه .

فالعاهل الأردني الهاشمي يهاجم قادة العرب – وبالذات الرئيس المصري حسني مبارك – لا لشيء إلا لأنهم – كما يزعم وكما يكذب – لم يستمعوا إليه عندما جاءهم حاملاً تنازل صدّام حسين وموافقته الكريمة والرحيمة على الانسحاب من الكويت بشرط عدم إصدار إدانة من القمة العربية ضده .

وما أبعد هذا الموقف الجديد من موقف الملك االقديم عندما دعا لص بغداد إلى عقد مؤتمر قمة طارئ لبحث كيفية معاقبة مصر السادات على توقيعها معاهدة السلام مع إسرائيل ، كان العاهل الأردني أكثر قادة العرب تحمسًا لعقد هذا المؤتمر الشهير ، كما كان أسرعهم في الموافقة على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع مصر التي كانت جريمتها الوحيدة أنها نجحت في استرجاع بعض أرضها المحتلة بالقوة ، ثم نجحت في استرداد بقية أرضها المحتلة بالسلام .

لماذا لم نسمع من العاهل الأردني – وقتذاك – أنه يرفض إبعاد مصر عن العرب ويرفض إبعاد العرب عن الشقيقة الكبرى مصر ؟ لماذا كان الملك حسين سعيدًا بهذا الانقسام العربي وحاول المستحيل مع السلطان قابوس لإقناعه بقطع علاقات بلاده مع مصر حتى لا يخرج على الوحدة العربية والصف العربي ؟ لماذا اختلف موقفه مع العراق عن موقفه السابق مع مصر ، على الرغم من أن ما فعلته مصر كان – وما زال – تستحق عليه التهنئة والإعجاب والاعتزاز في حين أن جريمة النظام العراقي في حق العرب جميعا هي التي تستحق الإدانة والتنديد والشجب ؟!

ولماذا لم ينفعل العاهل الأردني عندما وجد دولة عربية تغزو وتسحق دولة عربية أخرى ، وهو الذي يتغنى في كل مناسبة بالشرف العربي والأصالة العربية والشهامة العربية ؟!

كنا ننتظر من الملك حسين أن يكون صادقًا مع نفسه ومع شعاراته فيقف بلا تردد مع الحق وضد الباطل ، ويطالب العراق بسرعة الانسحاب من الكويت دون قيد أو شرط ، كنا نتوقع من عاهل المثل والمبادئ والتقاليد العربية أن يدعو إلى عقد مؤتمر عربي طارئ – مع استمرار رفض صدام حسين الانسحاب – لبحث كيفية معاقبة العراق وبنفس الأسلوب الذي اتبعه العرب خطأ وظلمًا مع مصر .

إن إصرار صدام حسين على رفض الانسحاب من الكويت كان فرصة لا تعوض أمام مصر للانتقام من « مهندس » المقاطعة العربية لكل ما هو مصري . فما كان أسهل على الرئيس حسني مبارك أن يطرح على القادة العرب اقتراحا بقطع كافة العلاقات مع النظام العراقي إلى أن يجبر على الانسحاب من الكويت ، ومن المؤكد أن هذا الاقتراح كان سيجد قبولاً وترحيبًا من كافة القادة – ما عدا عصابة الأربعة بالطبع – كعبرة لكل معتد لايحترم الجيرة ولا يلتزم بالقانون والشرعية ، ولكن الرئيس المصري ليس مثل الرئيس العراقي ، فالرجل كان ومازال حتى هذه اللحظة يوجه كل جهده وكل طاقاته وكل اتصالاته من أجل التوصل إلى تسوية سلمية لأزمة الخليج بعيدا عن تسوية الحسابات القديمة ، وبلا التفات إلى سخافة الاتهامات وصفاقة الهجمات التي يشنها صدام حسين ليل نهار عبر صبيته ومرتزقته وعبيده ضد مصر وسياستها .

هذا هو الفرق يا جلالة عاهل الأردن .

وهذا الموقف القوي والشريف من جانب مصر ، هو الذي أفقدك توازنك وأنت تتراقص فوق الحبلين كهواية قديمة أجدّتها وأدمنتها .

لقد خدعت نفسك عندما توهمت أن صديقك القديم حسني مبارك –

بتواضعه ومودته المعروفين عنه ـ لن يتخذ موقفًا معارضًا للغزو العراقي الوحشي للكويت . توهّمت ـ ياصاحب الجلالة ـ أن الرئيس المصري الذي طالما تماشى مع بعض مبادراتك وتحركاتك ، يمكن أن يتماشى أيضا مع مؤامراتك ومناوراتك التي شاركت بها صدّام حسين ، والتي تبلورت أخيرًا في غزو الكويت ، وعندما فوجئت بالموقف الشريف والقوي الذي وقفه الرئيس المصري ضد العدوان العراقي كانت هذه صدمتك الكبرى التي لم تكن تخطر على بالك ولا على بال حليفك في بغداد .

إنني أعذرك ـ ياصاحب الجلالة ـ والتمس لك المبرر لهذا التداعي الذي تظهر به علينا يومًا بعد يوم . لقد خابت كل حساباتك مع رئيس مصر ، فكان رد الفعل لديك منطقيًا ومقبولاً ومبررًا . فمهما تطاولت ، ومهما تطاول وزراؤك ، ومهما تدنت صحافتك ، ومهما انحطت أقلامك ، فثق أننا نعذرك ونعفو عنك ونتعاطف مع محنتك في افتقادك لتوازنك وانفلات كلماتك .

* * *

ولا أعرف لماذا تذكرت الآن ـ لحظة كتابة هذه السطور ـ كتاب « مؤامرة الصمت » الذي صدر عن حرب 1967 ، تذكرت دورك المريب في اندلاع هذه الحرب الذي أفردت له صفحات وصفحات في هذا الكتاب ، ومن المؤكد أنك قرأته ، وقرأت أكثر ما جاء فيه عنك بالاسم .

لقد اتهمك المؤلف صراحة بأنك كنت على علم بتفاصيل المخطط الإسرائيلي الأمريكي لسحب الجيش المصري إلى حرب يكون فيها القضاء على جمال عبد الناصر وعلى جيشه ، لقد كانت العلاقات بينك وبين عبد الناصر ـ قبل حرب يونيو 1967 ـ بالغة السوء . فالاتهامات المتبادلة بينكما تدنت إلى ما دون الصفر بكثير . كنت ـ يا جلالة الملك ـ تتهمه بالعمالة لحساب الاتحاد السوفييتي وكان عبد الناصر يتهمك بالعمالة لبريطانيا وأمريكا ، كنت تتهمه بالديكتاتورية وبتخريب الأمة العربية ، وكان هو يصفك بأنك ابن زين . ولم يكن من المتصوّر أن يحدث اتفاق أو تقارب بينك وبينه بعد أن تدنت علاقتكما إلى هذا الدرك .

ولكن ما كان مستحيلاً تحقق في لحظة ودون سابق تمهيد أو إنذار .

ودعني – يا صاحب الجلالة – أعيد إلى ذاكرتك ما جاء في هذا الكتاب عنك . يقول الكتاب : إنك كنت من أشد المتحمسين لسحب عبد الناصر إلى حرب لا قبل له بها حتى تتخلص منه ومن مؤامراته المتكررة ضد نظام حكمك ، وأن دورك في هذا المخطط الإسرائيلي الأمريكي كان مقصورًا على تشجيع عبد الناصر على الانسياق وسحبه ليلقى حتفه ونهايته التي كنت تتمناها له ، ويشهد الكاتب أنك قمت بهذا الدور بكفاءة تحسد عليها ، ففجأة تناسيت ما قاله عبد الناصر فيك وفي أسرتك وفي والدتك السيدة زين ، فجأة غسلت قلبك من كل كراهيتك وحقدك على ديكتاتور مصر ، وفجأة رفعت سماعة التليفون وتحدثت مع عبد الناصر ورجوته أن ينهي خلافك معه ويسمح لك بزيارته في القاهرة في نفس اليوم لأمر عاجل يتعلق بمستقبل الأمة العربية كلها ، ورحب عبد الناصر بدعوتك وكان في انتظارك في المطار وعانقك وأنت بملابسك العسكرية التي حرصت على ارتدائها كشيء لزوم الشيء .
ولعلك تتذكر – ياصاحب الجلالة – ما قلته لعبد الناصر وما كشفت أمامه من أسرار خطيرة وكيف أن إسرائيل ترتجف خوفًا منه ومن جيشه ومن أسلحته ، لقد صارحت عدوك القديم بأن هذه هي فرصته الهائلة في محو إسرائيل من الوجود ، أو على الأقل في ركوعها وسجودها عند محرابه . أكدت – يا صاحب الجلالة – أن مجرد التحرش بالقوات الإسرائيلية سيفزع إسرائيل وسيخيف أمريكا وسيزحف الاثنان حتى القاهرة أملاً في العفو عند المقدرة .

وكان لك ما أردته يا صاحب الجلالة .

انساق جمال عبد الناصر مع أسرارك ووطنيتك وحبك الدفين له الذي حل محل الكراهية والمقت الشديدين ، وتحرش عبد الناصر بإسرائيل ، فكانت الكارثة وكانت الهزيمة ، وكان فيها – أيضا – ضياع معظم بلدك بما فيها القدس الشرقية !

لا تقل لي إنك حزنت على ما أصابك ، فمهما كانت خسارتك فإن سعادتك بهزيمة عدوك الأوحد فاقت كل أحلامك وكل آمالك .

لا أعرف لماذا تذكرت هذه القصة القديمة وأنا أكتب هذا المقال ؟!

ربما لأنني أتصور أنك تحاول أن تعيد تاريخك مرة أخرى . أو ربما لأنني أراك تتقمص الآن مع صديقك وحبيبك وحليفك صدام حسين نفس الدور الذي قمت به مع عدوك وحليفك – في الوقت نفسه – جمال عبد الناصر قبل أيام معدودة من اندلاع حرب 5 يونيو سنة 1967 .

إذا كنت قد بالغت في تصوري فأرجوك – يا صاحب الجلالة – أن تفسر لي غرابة موقفك ، وشديد تجاهلك لمصلحة بلدك وعظيم اندفاعك منذ بداية « أزمة الخليج » في 2 أغسطس الماضي ! لماذا وقفت إلى جانب الباطل وضد الحق ؟! لماذا تجاهلت غزو واحتلال الكويت ؟! لماذا عاديت دول الخليج وهي التي كانت تسدد لك ديونك وتشتري لك أسلحة جيشك وتزودك مجانا بالبترول ؟! لماذا هذا التطرف من حاكم بلد فقير عُرف بالحكمة والتمهل وحساب الأرباح والخسائر قبل أن يُقْدِمَ على أية خطوة ، وعلى أي تحرك سياسي أو غير سياسي ؟!

لقد اعترفت – أخيرا جدا – أنك كنت على علم بالغزو العراقي للكويت قبل ثلاثة أشهر على الأقل .. فأين كانت عروبتك عندما أخفيت عن زملائك من الملوك والرؤساء هذا العدوان ، وأين توارت حسابات أرباحك وخسائرك عندما غامرت بكل ما كنت تعيش منه وعليه ويصل إلى خزائنك الخاصة من دول الخليج ؟!

لا تقل لي – ياصاحب الجلالة – إنك كنت عاجزًا عن إرجاع حليفك العنيد صدام حسين عن غيه ، ولم يكن أمامك إلا أن تنتظر حتى يبدأ زحفه على الكويت ثم تسارع بالتدخل للوساطة من أجل تحقيق التسوية السلمية للأزمة ؟! ولا تقل لي إن العناد لا يفلح مع المعاندين ، ولا تحاول أن تلقي بمسئولية استمرار احتلال الكويت على أكتاف غيرك من القادة العرب الذين كانوا أشجع منك وأشرف .

اسمح لي – ياصاحب الجلالة – أن أصارحك برأيي وأتهمك بأنك لسبب قد لا أعرفه – شجعت صدّام حسين على تطرفه وعلى تخطيطه لغزو واحتلال الكويت . ليس لدي الدليل – بالطبع – على هذا الاتهام الخطير ، ولكن عذري الوحيد أنني

عجزت عن تفسير موقفك الرافض للتسوية السلمية والتي لا يمكن أن تتحقق إلا بعد الانسحاب الكامل من الكويت . ففي مؤتمر قمة القاهرة لم تذكر كلمة واحدة عن موافقة العراق على الانسحاب ، مما أدى إلى إدانة المؤتمر للعدوان العراقي . وزاد من تأزيم الأزمة أكثر فأكثر . وعندما طرح العاهل المغربي مبادرته السلمية وطالب بعقد مؤتمر قمة طارئ في الرباط ، سارعت بالتشكيك في هذا المؤتمر ، ولم تكتف بذلك ، وإنما أكدت أن الدعوة مشبوهة والهدف الوحيد من ورائها هو تنفيذ تعليمات الولايات المتحدة الأمريكية بإعلان الحرب على العراق ومنح القوات الأمريكية الغطاء العربي لهذا العدوان ؟! وفيما بين قمة القاهرة والدعوة إلى عقد قمة الرباط لم تترك – يا صاحب الجلالة – مناسبة إلا انتهزتها لتعقيد الأزمة ، ومساندة المعتدي ، وتجاهل المعتدى عليه ، والتطاول على الذين أحسنوا إليك ، والتهجم على الذين كانوا يعتبرونك – حتى آخر لحظة – من الأصدقاء المقربين !

* * *

إذا كنت مخطئا في تصوري ، ومبالغا في اتهامي ، فقل لي – ياصاحب الجلالة – تفسيرًا واحدًا يمكن تقبله لموقفك الغريب والعجيب الذي صدم البعض ، وأكد للبعض الآخر صدق رأيهم القديم والجديد في شخصك .

ومعذرة يا صاحب الجلالة ..



فهرس

الموضوع | **الصفحة**

رقم الإيداع : ٢٩٣٨ / ١٩٩١
الترقيم الدولي : ٥ - ٠٣٣ - ٢٥٧ - ٤٤٧



صدام حسين وعصابة الأربعة

بأسلوبه اللاذع الرشيق يخرج علينا الأستاذ إبراهيم سعدة بما كتب عن « صدام حسين وعصابة الأربعة » وتأتي أهمية الكتاب من شجاعة الكاتب في صياغة عبارته وعرض فكرته واطلاع غزير قد توفر لديه عن كثير من الأخبار والأسرار ، وهو في كتابه هذا يقوم بدور وطني وتثقيفي في شرح طبيعة الاستبداد والفساد الذي قاد الأمة العربية إلى الكارثة المعاصرة . ولا أحد يمكنه التكهن على وجه الدقة بأبعاد جريمة صدام حسين في اجتياحه الكويت وتهديده للسعودية ودول الخليج والحرب الضروس التي نتجت عن هذه الجريمة .

كتاب الأستاذ إبراهيم سعده جدير بالقراءة والتمعن والاطلاع ولا غنى للقارىء عنه لما حفل به من معلومات قيمة قد ساقها الأستاذ في سلاسة ووضوح مع الإثارة الفائقة لما تم كشفه من وراء الستار .

أحمد رائف

الزهراء للإعلام العربي